التصفية للامام يحيى بن حمزة

٢١٨ تصفية القلوب عن درن الأوزار والذنوب، تأليف
ت م المؤيد، يحيى بن حمزة – ٧٤٥هـ. كتبت سنة ١٣٢٩هـ.
٢٦٢ق مسطرتها مختلفة ٢٤×١٨سم
٧٨٩٢ نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد.
ع ب الأعلام ٩: ١٧٤ الجامع الكبير بصنعا ٦/ الغربية
: ٣٥٩
١– الشعائر والتقاليد والأخلاق الاسلامية
أ– المؤلف ب – تاريخ النسخ.

التصفية
للامام يحيى بن حمزه
رضي الله عنه

كتاب
التصفية للقلوب

من درن الاوزار والذنوب تاليف الامام العلامة القدوة الفهامة
لسان الدين وبهجة المبارزين محيي علوم الال المصطفى ودرة تاج الايمة الملك المويد
المويد بالله رب العالمين يحيى بن حمزه بن علي بن ابراهيم بن يوسف بن علي بن ابراهيم بن محمد بن ادريس
بن علي بن جعفر بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد زين
العابدين بن الحسين السبط بن علي الوصي امير المومنين بن ابي طالب صلوات الله عليهم
اجمعين اللهم انفعنا بهم واحشرنا في زمرتهم وارزقنا محبتهم يا اكرم الاكرمين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وسلم يا كريم سمت علي فوق السماك مناقب
غطت على شمس الضحى انواره وتضاحكت ازهار روض كماله
وعلى على اعلا الفخار فخاره
والسلام

وقال في طراز قبره الامام المويد بالله كرم الله عليه السلام

نعم النبوة والهدى المتسلسل ان نشت كلا كله ويتحفل قبرا واشرف
في قبة ظربت علا خير الورى في الفخار وافضل والجود والمجد لاثر الاكمل
وعلى الامامة والزهاعة والندى وعلى المليك الاوجه المتطول المتفضل
وعلى السماحة والرجاحة والتقى المتبذل لب اللباب على النبي المرسل
والقائم المتوجب المنتخب ورجا كل موصل عن قبره وضريحه لا ينقبل
يحيى بن حمزه نجل آل محمد واطلب رضاه من المهيمن واتسال وتنال منه
كساك كل عظيمة وملاذ كل ملمة في علو المنزل شرفت مدينة يثرب بالمرسل
يا زايرا ترجو النجاة من الردى لذ بالضريح فبها وصي وكذاك في المستقبل
وعذ به متضرعا كي تكل فضيلة ووسيلة
شرفت ذمار بقبره كما شرفت ... فلين العلا ذمار حوا ...

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله المبدع اللطيف الخبير الذي أبدع في تصريف الأمور بعجيب التدبير وعدّل
تركيب الخلق بحسن التقويم والتقدير وزين صورة الإنسان فأحسن في عجيب
التصوير وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله من غير تأمل ولا تفكير
فضّله على قانون الحكمة ومطابقة المصلحة من غير تقديم ولا تأخير
وفوض تحسين الأخلاق إلى الاجتهاد من جهة الطب والتشمير
واستحثهم على تهذيبها باعث الخوف وسوط التحذير وسهّل على خواص
أوليائه تهذيب الأخلاق بما منحهم من التوفيق والتيسير
وامتن عليهم بما أعطاهم من الألطاف الخفية في تسهيل العسير
والصلاة على البشير النذير الداعي إلى الله بإذنه السراج المنير الذي لاحت
أنوار النبوة من أسارير وتلألأت مخايل الحق من مخايله وتباشيره
وعلى آله الطاهرين الذين أظهروا وجه الإسلام عن ظلمه وجاحديه
وحسموا حجج الباطل فلم يتشبث بقليله ولا بكثيره أما بعد فإن المقصود صوا
بهذا الإملاء هو الإشارة إلى تصفية النفوس عن الرذائل وتزكية
الأخلاق والتحلي بمحاسن الشمائل وتطهيرها عن الأوصاف الرذيلة وتنزيهها
عن الخصال المهلكة الدنية ليكون بذلك محرزا للطائف الجودة وتخليصا لنفسه
عن العلائق المدفوعة فيترتب على ذلك تحصيل النجاة عن عذاب الله والفوز برضوانه
والاختصاص بكرم جوائزه وضروب فضله وإحسانه وقد اقتضانا في ترتيبه أن
يكون محتويا على عشر مقالات هي وافية بالمقصود والغرض المطلوب مما يرتبط به
بمعونة الله وحسن توفيقه

المقالة الأولى في الرياضة

الرياضة

وتهذيب الأخلاق وعلم أثارها بعد أثارها لأنه كلام في قوام النفوس
وتطهيرها عن دنس الأوزار وتبعيدها عن أوصاف الآثام حتا تفوز بالسعادة
الأخروية وتفوز بالكرامات السرمدية قال مولانا الإمام
المؤيد بالله أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام المثال الصادق
في علاج النفوس بمحو الرذائل والأخلاق الرذيلة عنها وكسب الفضائل
والأخلاق الجليلة مثال البدن وعلاجه بإزالة العلل عنها وجلب الصحة
إليه فكما أن الغالب على أصل المزاج الصحة والاعتدال وإنما تعتري العلل العارضة
من جهة عوارض الأغذية وتغير الأهوية وتعاقب الأحوال فكذا كل مولود
فإنه يولد معتدلا صحيحا كما أشار صاحب الشريعة صلوات الله عليه
بقوله كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
أي يكتسب الرذائل والنقص والتقليد وهكذا حال البدن فإنه لا يخلق
كاملا وإنما يكمل بالتربية والأغذية الطيبة فهكذا حال النفس
فإنما تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب
الأخلاق بالعلم وكما أن البدن إذا كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون
الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة فكذلك النفس فإن
كانت طاهرة زكية مهذبة الأخلاق فينبغي أن يسعى في حفظها
وحفظ صفاتها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها
وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن يسعى لجلب ذلك إليها
وكما أن العلة المغيرة لاعتدال المزاج الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها
فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذا

فكذا الحال

حالة الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالعلم
ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهيات
وكما لا بد من احتمال مرارة الدوا في علاج الابدان ولا بد من احتمال
مرارة المجاهدة والصبر عليها لمداواة مرض القلوب بل اشد ممهدة
هذه القاعدة فلنذكر رياضة القلوب ثم نذكر رياضة الأبدان
ثم نردفه برياضة الاطفال فهذه أبواب ثلاثة نذكرها ونفصلها
بمشيئة الله سبحانه **الباب الأول** رياضة القلوب
وشرح عجائبها اعلم ان شرف الإنسان وفضيلته التي فاق
بها جملة من أصناف المخلوقات باستعداده لمعرفة
الله تعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي
الاخرة عدته وذخره هو القلب فانه انما يستعد لمعرفة
الله تعالى بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم
بالله تعالى وهو العامل لله والساعي الى الله والمتقرب اليه
والجوارح انما هي اتباع وخدم له وآلات يستخدمها القلب و
يستعملها استعمال الملك للعبيد والراعي للرعية ويشتمل
على لطايف واسرار نبين الاهم منها بعونه الله نوردها
في مطالب ستة **المطلب الأول في بيان ما يطلق**
عليه لفظ القلب ويطلق على معنيين المعنى الأول منهما على اللحم
الذي يكون في الجانب الايسر من صدر الانسان دقيق الاعلى عريض الأسفل
على شكل الصنوبرة وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف

وفي ذلك التجويف

وفي ذلك التجويف دم اسود وهذا القلب موجود
للبهايم بل هو موجود في حق الميت والكلام في شكله و
كيفيته ليس يتعلق به شيء من الاغراض الدينية وانما يتعلق
به غرض الاطباء المعنى الثاني وهي اللطيفة
الالهية التي تتعلق بها المقاصد الدينية وهي العالمة
المدركة وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي
المخاطبة والمطالبة والمثابة والمعاقبة ولها تعلق مع
القلب الجسماني وقد تحير اكثر عقول الخلق في ادراك
وجه العلاقة بينهما هل تعلقها هي تعلق الاعراض بالا
جسام او الاوصاف بالموصوفات والبحث عن ذلك
دقيق وليس ذلك من همنا وانما همنا اصطلاحه على اي
وجه كانت حقيقته وهكذا حال الروح فانه
يطلق على معنيين احدهما الجسم اللطيف منبث في
سائر البدن وثانيهما على اللطيف العالمة المدركة
وهكذا حال النفس فانها تطلق على المعنى الجامع للقوة
الغضب والشهوة في الانسان وعلى اللطيفة التي هي العالمة

المدركة
المدركة

او تعلق الصورة بالمراة او
تعلق المكان بالمتمكن او غير
ذلك من سائر الاوصاف جواهر

المدركة الآمرة الناهية فبان مقتضيات أيضا وهكذا العقل فإنه يطلق
على معنيين أحدهما اللطيف التي أشرنا إليها فإنها هي العاقلة
المثابة المعاقبة وثانيهما على العلم بالحقائق المفردة والمركبة
فهذه حقائق أربعة القلب والروح والعقل والنفس فالألفا
ظ متغايرة أربعة والمعاني خمسة والخامس هو الجامع لها
وهي المتفقة عليه فالقلب الجسماني والروح الجسماني والنفس
الشهوانية والعلوم العقلية فهذه أربعة والخامس
هو اللطيفة المدركة العاقلة التي هي متصفة بالصفات
التي ذكرنا من الإحساس والعلم والإدراك فهذا ما أردنا ذكره
من شرح صفاته في بيان الخاصية لقلب الإنسان ومثاله ووجوده

فأما الخاصة فاعلم أن الله تعالى قد أنعم
على سائر الحيوانات سوى الآدمي بالشهوة والقدرة
والحياة والحواس الظاهرة كالسمع والبصر حتى أنه ألهمها
الأمور الإلهامية الجبلية فيما يكون فيه صلاح
لها ومصالح للعباد ولهذا فإنك ترى الشاة تهرب من الذيب
إذا أبصرته لما تعرفه من عداوته لها الإلهامي من قبل حضوره قبله

بخصائص

بخصائص لأجلها عظم شرفه واستحق القرب من الله تعالى
وهذا هو العلم بالأمور الدنيوية والأمور الأخروية والحقا
ئق العقلية فإن هذه الأمور وراء الأمور المحسوسة
ولا مشاركة فيما بينه وبين سائر الحيوانات فيها كا
لعلم بالأمور الجزئية التي تحتاج الأمة رتبته العلم كالعلم
بانكسار الزجاج وإغراق الماء واحتراق النار وغير
ذلك ونحو العلوم النظرية فإنها متولدة عن المقدمات
الضرورية وحاصلة عنها فحصل من مجموع ما ذكرناه
ههنا أن تميز الإنسان يكون بخاصيتين العلم
والأشرف من أنواع العلم هو العلم بالله تعالى وصفاته
الذاتية كالعالمية والقادرية وسائر الصفات
السلبية والإيجابية وعلوم الحكمة في أفعاله فإن
بإحراز هذه العلوم يحصل كمال الإنسان وفي كماله
إحراز السعادة الأخروية والفوز بجوار الله تعالى
في دار كرامته والحكمة ونعني به حالة للنفس يدرك
به الصواب من الخطأ في جميع أفعاله وتكون مطابقة لمنهاج الحق
ومسلك الصواب

ومسالك الصواب واليه الاشارة بقوله تعالى وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب فلا فضل له الا بالحث على هدي الاطراف
ومصداق ما قلناه ان الانسان من حيث انه يتغذى
وينمو فهو نبات ومن حيث انه يحس ويتحرك بالاختيار
فهو حيوان ومن حيث الصورة والقامة فهو كالصورة
المماثلة من شمع أو خشب وانما خصيصته معرفة
حقايق الاشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
على جهة الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه
بالملايكة فحقيق أن يكون لاحقا بهم وجدير أن يسمى ملكا
كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته
الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط
الى حضيض البهايم فيصير إما غمرا كالثور واما شرها
كالخنزير واما ضاريا كالكلب واما حقودا كالجمل
أو متكبرا كالنمر أو ذا روغان كالثعلب او يجمع
ذلك كله كالشيطان المريد فما من عضو من اعضائه الا
ويمكن استعماله والاستعانة به على الطاعة لله

تعالى والوصول به

تعالى والوصول به الى السعادة الاخروية فيكون لقاء الله
مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله فمن أجل
ذلك كان الانسان متميزا بما ذكرناه وأما المثال
له فاعلم ان الله تعالى قد ركب الانسان
تركيبا عجيبا وقومه في أحسن تقويم وكذلك الامثلة
الدالة على نهاية الحكمة فيه وجملتها انا نذكر
المثال الاول أن نقول مثل نفس الانسان في
بدنه كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة
للنفس وعالمه ومستقره وقواه فاما جوارحه
فهي بمنزلة الصناع والعمال وأما العقل فهو بمنزلة
المشير الناصح والوزير العاقل وأما الشهوة فهي
كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة وأما
الغضب والحمية فهو كصاحب الشرطة والعبد الطالب
للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح
وتحت نصحه الشر القاتل والسم الهايل ودأبه منازعة
الوزير في كل تدبيره فالوالي في مملكته متى استشار

مكان الوزير

هذا العدو بين المس لينبه وهو العقل صاحب المملكة واستقامة
احواله ومتا كانت مسخرة لهذا الطبب الخبيث خرج الامر
وفسد الملك فهكذا حال النفس متا كانت مطيعة للشهوة
صو اتباعه بقد صيرها كانت كما قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ
الهه هواه وأضله الله على علم ومتا كانت مطيعة للعقل
كانت كما قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوا فان الجنة هي الماوى

المثال الثاني

وهو ان البدن كالمدينة والعقل كمثل ملك مدبر
لها والحواس بمنزلة الجنود والاعوان والاعضاء بمنزلة
الرعية والنفس الامارة بالسوء هي الشهوة والغضب بمنزلة
عدو ينازعه في مملكته ويسعى في هلاك رعيته فان
جاهد عدوه وقهره على ما يجب حمد اثره واستقام
ملكه وان ضيع نفسه واهمل رعيته ذم اثره وبطل
امره وكان خائنا عند الله تعالى

المثال الثالث

مثال العقل كمثل فارس متصيد فالشهوة كالفرس
والغضب بمنزلة الكلب فمتا كان الفارس حاذقا والفرس

مروض والكلب

مروض والكلب مؤدب فقمن كان جديرا بالنجاح وهما
ومتا كان الفارس اخرق والفرس جموحا والكلب عقورا
فلا فرسه ينقاد للحاجة ولا كلبه يسترسل باشارته
مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب
فخرق الفارس مثل لجهل الانسان وقلة حكمته
وجماح الفرس مثل لغلبة الشهوة في البطن والفرج
وعقر الكلب مثل للغضب واستيلايه فهذه
الامثلة التي اوردناها جعلناها امثلة لخلقة الانسان
وتركيبه واما جنوده فاعلم ان الله تعالى
بقوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقال صلى الله عليه وسلم الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف والقلب في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
فهذه هي فايدة الجند وصفاته ومطيب والرجل والعين
والاذن واللسان وسائر الاعضاء جميعها خادمة
للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد
خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع خلافه قال الله

ولا تمردا

ولا تمرد عليه فإذا أمر العين بفتح الجفن انفتحت وإذا
أمر الرجل بالمشي مشت وإذا أمر اللسان بالكلام تكلم
وكذا سائر الأعضاء منقادة لأمره مسخرة له قريبة
تحت أمره وجملة الأمر أن جنوده أصناف خمسة
الصنف الأول هذه الأعضاء التي ذكرناها
كاليد والرجل وسائرها الصنف الثاني
الحواس الخمس نحو الشم والذوق والسمع والبصر واللمس
الصنف الثالث القدرة فإنما هي آلة في هذه
الأفعال كلها وبها تحصل الآثار الفعلية الصنف
الرابع الإرادة وهي الباعثة على هذه الأفعال
المقبلة لوقوعها على الوجه المخالفة الصنف الخامس
العلم والفكر فإن هذه الأمور كلها الأسباب وجو
دها وحصولها فحقه أن يستقيم بهذه الآلات في
بهن له الجنة على اختيار السعادة الأخروية ونجاة النفس
من عذابهم وإن هو ترك الاستقامة وحكم على نفسه
الغضب وقوة الشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا

مبينا وهذا حال الأكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
في استنباط الحيل لقضاء وطر الشهوات فضلوا عن طريق
النجاة وهلكوا عن منهاج الجنة وخلقت النفوس مطيعة
للشهوات الفاضلة وإيثارها لحصل من جميع ما ذكرناه
هاهنا بيان خاصية الإنسان ومعرفة جنوده
وبيان أمثله بالإضافة الأجساد والآلة التي بها
سالمين في حقه والله أعلم المطلب الثالث
في بيان كيفية اتصاف القلوب بالعلوم وغير هاهنا
بين الصفات المضافة إليها الحقائق المعلومات كالمرآة بالإ
ضافة إلى الصور المنطبقة فيها فإن لكل معلوم حقيقة
ولتلك الحقيقة صورة فينطبع في مرآة القلب ويتضح
بها وكما أن المرآة غير وصورة الأشخاص غير وحصول
مثالها غير فهذه ثلاثة أمور فهكذا هاهنا ثلاثة
أمور القلب وحقائق المعلومات وحصول تلك الحقائق
في القلوب فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه مثال
حقائق المعلومات والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء

اعلم ان محل العلوم هو القلب
وهو بالاضافة حاصل

كلها والعلم عبارة عن حصول المعلوم في القلب كما مثلناه
في المرآة من غير تفرقة بينهما وهذا وقع مثالا في حق القلب
والعلم والمعلوم وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لأمور
تعرض فيها وجملتها خمسة أولها نقصان الصورة كالمرآة
من الخشب فإنها لا تحصل فيها صورة لبطلان الجوهرية
وثانيها الصدأ والكدورة وإن كانت الجوهرية حاصلة
وثالثها العدول بها عن جهة الصورة كما لو كانت وراءها
ورابعها الحجاب المرسل بين المرآة والصورة وخامسها
عدم النور المتصل بالمرئي فهكذا حال القلب فإنه
مرآة مستعدة لأن تنجلي فيها الحقائق في الأمور كلها
وإنما خلت القلوب عن العلوم لمثل هذه العوارض أولها
نقصان القلب كما يكون في قلب الصبي وثانيها كدورة
المعاصي فإنها مظلمة للقلب وثالثها أن يكون معدولا
به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان
صافيا فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس طالبا له
ولا يحدق نفسه وفكرته إلا التأمل فلم يحصل

له العلم

له العلم ورابعها الحجاب فإن المطيع إنما لم يحصل العلم
المحقق لما حجب نفسه باعتقاد الجهل الذي سبق الاتفاق
فيهما على جهة التقليد وخامسها عدم نور التوفيق
من جهة من تعلمه فهذه الأسباب كلها هي المانعة عن معرفة
حقائق الأمور والإنسان قلب فهو صالح بالفطرة لمعرفة
الحقائق لأنه جوهر شريف مفارق لسائر الأعضاء
والجوارح بنسبته إلى الصفة التي أشرنا إليها وكما أن الإنسان
متصف بهذه الصفات المحمودة فقد تجتمع فيه أنواع من هذه
الأوصاف الذميمة الخبيثة وجملتها أمور ثلاثة السبعية
والبهيمية والشيطانية **الصفة الأولى السبعية**
فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع
من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم وأنواع
الأذايا جبلت لا ترعوي عن ذلك **الصفة الثانية البهيمية**
فهو من حيث غلبت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الجمع والحرص
والشبق وكثرة الأكل والشرب **الصفة الثالثة الشيطانية**
فمن جهة أنه متميز من البهائم مشاركته لها في الغضب والشهوة

وحصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل المعارف
في استنباط الحيل والخدع والمكر ويتوصل بالعقل الى اغراضه
باعمال كل حيلة ويظهر الشر في معرض الخير وهاذه هيئة
اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هاذه الشوائب
الثلث السبعية والبهيمية والشيطانية وكل ذالك مجموع
في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان
فالخنزير هو الحرص والكلب هو الغضب فانه السبع الضاري
والشيطان هو الشهوة فهاذه الصفات متى اجتمعت
فيما مملكت وولاة ذالك كله العقل فاذا كان الانسان
تحت ايالة فهو السلطان القاهر عليها وحصلت النجاة من ذالك
واذا كان مقهورا لغلبة الشهوة والكبر مع طول ابقب فيها
حصل الهلاك نعوذ بالله منه المطلب الرابع
في بيان تسليط الشيطان على القلوب بالوسوسة اعلم
ان القلب هو صنيع الرحمة والملائكة ومسلك الشياطين
والغضب ومغضبات ذالك قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة
والناس وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان
واضع

واضع خرطومه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم
قلبه وفي خبر بين أخذ قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم فليضيقوا مجاريه
بالجوع الى غير ذالك من الاحاديث فاذا تقررت هاذه القاعدة فما حصل
من الخير انما هو بسبب الاثار الحاصلة في القلب وما حصل من الشر فهو من
الاثار الحاصلة فيه ايضا والباعث على تلك الاثار جهات ثلاث الجهة
الاولى هي الاسباب الظاهرة كالحواس الخمس فانه اذا ادرك بالحواس
شيئا فانه يحصل منه اثر في القلب فاذا شاهد ~~ما يرضيه~~
الانسان ما يحبه فانه يثير المحبة والمودة والملاطفة واذا شاهد ما يكره
فانه يحصل الغضب والنفرة فلهذا كانت الكراهة منتشئة آثار العداوة
والبغضاء الجهة الثانية الاسباب الباطنة كالخيال والشهوة اذا
هاجت بكثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب آثار وان لم يحصل
هناك شيء من جهة الحواس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل
الخيال من شيء الى شيء وبسبب الانتقال ينتقل القلب من حال الى حال
والمقصود ان في التغير والتاثر دائما من هاذه الاسباب الجهة الثالثة

الخواطر الحاصلة في القلب ونعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار
والأذكار فإنه يحصل هناك اعتقادات وعلوم وظنون على جهة التجدد
وعلى سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر في القلب بعد أن كان
غافلا عنها والخواطر هي المحركات للإرادة فمبدأ الأفعال الخواطر
ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك
الأعضاء ثم إن الخواطر المحركة منقسمة إلى ما يدعو إلى الشر وهو ما
يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير وهو ما ينفع في الدار الآخرة فهما
خاطران مختلفان وافتقرت إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى
إلهاما والخاطر المذموم الداعي إلى الشر يسمى وسواسا ثم إن سبب
الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا
واللطف الذي يتهيأ القلب به لقبول إلهام الملك يسمى توفيقا والذي يتهيأ به
لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تفتقر
إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى من شأنه إفاضة الخير
وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف

وقد خلقهم

وقد خلقهم الله تعالى وسخره من أجل ذلك والشيطان عبارة عن خلق خلقه الله
تعالى شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم
بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق
في مقابلة الخذلان والقلب متجاذب بين الشيطان والملك والشيطان يضله
ويغويه والملك يرشده ويهديه فمتى جاهد الإنسان نفسه بطرح
الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة صار قلبه
مستقر الملائكة ومهبطهم وإن اتبع الإنسان مقتضى الشهوات والغضب ظهر
تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عشا للشيطان ومعدنه
لأن الهوى خواص تبع الشيطان ومرعاه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في القلب
لمتان لمة من الملك ووعد بالخير وتصديق للحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله
فليحمده ولمة من الشيطان الصدق وإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي
عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان فقد اتضح بما ذكرناه من
الاستبصار حقيقة الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان
والله أعلم بالصواب

المطلب الخامس في بيان مداخل الشيطان

إلى القلوب اعلم أن القلب مثاله مثال حصن رفيع والشيطان

عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ
الحصن إلا بحراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه وحماية القلب عن وسواس
الشيطان فرض عين واجب ولا يتوصل إلا دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله
خلله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه
صفات العبد مثل الشهوة والغضب والحدة والطمع وغيرها وهي كثيرة
ولكنا نشير إلى الأعظم وسائله في إغواء الخلق وتسليطه عليهم بها
وجملتها وسائل عشرة نذكرها ونذكر كيفية علاجها والتخلص منها
فهذا تقرير التعريف **الأول في ذكرها الوسيلة**
الأولى الحسد والحرص فمتى حصل فيه هاتان الخصلتان عمي وصم
وهما من أعظم مداخل الشيطان وأكبر وسائله وقد روي أن
نوحا عليه السلام لما ركب الفلك وحمل في السفينة من كل زوجين
اثنين كما أمر رأى في السفينة شيخا لم يعرفه قال له نوح من أدخلك
قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي و
أبدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فإنك رجيم فقال
إبليس نعوذ بالله منه خمس أهلك بهن الناس

وسأحدثك

فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك إلا
الثلاث مره يحدثك بالاثنتين صح

وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتين فقال
هما اللتان لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما أهلك الناس الحرص
والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وبالحرص أصبت
حاجتي من آدم أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة التي نهي عنها فو
سوست له حتى أكلها **الوسيلة الثانية الشهوة**
والغضب فإنهما من أعظم المكايد للشيطان فمهما غضب الإنسان لعب به الشيطان
وعن بعض الأنبياء أنه قال لإبليس بأي شيء تغلب بني آدم قال آخذه عند الغضب
وعند الهوى وظهر إبليس لراهب فقال أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم فقال الحدة
إن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقيل لإبليس كيف تغلب
ابن آدم فقال إذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإن غضب جئت حتى أكون على رأسه
الوسيلة الثالثة حب الشهوات والزينة في الدنيا في الثياب والأثاث والدور
والمراكب فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب إنسان باض فيه وفرخ فلا يزال
يدعوه إلى عمارة الدنيا وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع الأبنية ويدعوه
إلى التزين بالأثواب النفيسة ومتى نزل عليه فإذا وقعه فيها فقد استغنى عنه
ثانيا وجه فإن بعض ذلك يجر إلى بعض فلا يزال يؤدي به من شيء إلى شيء إلى أن يساق

البال أجله فيموت وهو في بحر الاماني يعوم وفي سبيل الضلال يخوض ومن ذلك يحتي
شوالى نعمة نعوذ بالله منه الوسيلة الرابعة الطمع فاذا كان الطمع
غالبا على القلب زين الشيطان تحسين له التصنع لمن يطمع فيه حتى يصير المطموع
فيه كأنه معبود وقد قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم اياكم والاستشعار
الطمع فانه يشرب القلب شدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا وهو
مفتاح كل سيئة وسبب احباط كل حسنة وهذا هو الغاية في الخسران والهلاك
الوسيلة الخامسة العجلة في الامور وكثرة الطيش والفشل وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الاناة من الله والعجلة من الشيطان وروي
انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت
الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم
فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه قد ولد
واذا الملائكة قد حفت حوله فقال لهم ان نبيا قد ولد البارحة
ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فاياسوا
من عبادة الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ايتوا بني آدم من قبل الخفة
والعجلة الوسيلة السادسة الفتنة بالدراهم والدنانير وسائر اصناف
الاموال والعروض والدواب والعقارات وكل ما يكون فضلة على قدر الحاجة
والقوت فهو مستقر الشيطان وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

لما بعث

قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤوا
وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث
محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم فينصرفون خائبين فيقولون ما صحبنا قوما قط
مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون للصلاة فيمحون ذلك فقال ابليس رويدا
بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم الوسيلة السابعة
البخل وخوف الفقر فان البخل هو اصل لكل خطيئة وروي ان ابليس انه قال ما غلبني ابن آدم فلن
يغلبني في ثلث امور ان يأخذ المال من غير حقه وينفقه في غير حقه
ويمنعه من حقه وقال سفيان الثوري ليس للشيطان سلاح على
الانسان مثل خوف الفقر فاذا قبل منه ذلك اخذ في الباطل
ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء وهو من اعظم الآفات
على الدين الوسيلة الثامنة سوء الظن بالمسلمين وقد قال تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على غيره بالظن فالشيطان
يبعثه على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه
او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار او يرى نفسه خيرا منه
وكل ذلك من المهلكات ومهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا لعيوبهم

فاعلم انه خبيث في الباطن فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب
العيوب للخلق الوسيلة التاسعة الشبع من الطعام والتأنق في
المآكل الفاخرة فان الشبع يقوي الشهوات وهي اسلحة الشيطان التي
يصول بها وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فرأى عليه معا
ليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق فقال هذه الشهوات
التي اصيب بها بني آدم فقال هل لي فيها شيء فقال ربما شبعت
فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر فقال له هل غير ذلك قال لا فقال يحيى
لله علي ان لا املأ بطني فقال ابليس علي لله ان لا انصح مسلما الوسيلة
العاشرة تعاطي العوام الذين لم يمارسوا العلوم ولا ابتحروا فيها في
التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي الامور التي لا تبلغها عقولهم
حتى ابعدهم ذلك الى الاعتقادات الكفرية وهم لا يشعرون وهم في غاية
ما يكون من الفرح والسرور والاطمئنان الى ما وقع في صدورهم وهم في
غاية الجهالة ويظنون ان ما اعتقدوه هو العلم والبصيرة فما هذا حاله
يكون من اعظم الابواب للشيطان في التلعب بعقولهم وايقاعهم في الامور
المكروهة فهذه وسائل الشيطان ومداخله الى القلب وهي كثيرة وفيما
ذكرناه تنبيه على ما وراءها وعلى الجملة فليس في الآدمي صفة مذمومة

الا وهي سلاح ومدخل

للشيطان ومدخل من مداخله التقريب الثاني في بيان العلاج
في دفعها وازالتها اعلم ان علاج هذه الامور وازالتها انما تكون
بالدعاء الى الله تعالى والالتجاء اليه في دفعها وازالتها وبالاجتهاد في قلع هذه
الصفات المذمومة عن القلب بالعناية في ذكر الله تعالى فهذه دوافع ثلاثة
نذكرها الدافع الاول تكون بالالتجاء الى الله تعالى بالدعاء وتحصيل الالطاف
الخفية في ابعاد الشيطان وازالته وعن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال كان
شيطان ياتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بيده شعلة نار فيقوم بين
يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبريل صلى الله عليه وآله وسلم
فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق
الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفئت شعلته وخر على وجهه وعن
الحسن البصري انه قال نبئت ان جبريل اتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان
عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وعن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اتاني شيطاني فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه
والذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة
اخي سليمان لاصبح طريحا حتى تنظروا اليه الدافع الثاني

القناية في إزالة هذه الصفات المذمومة من القلوب وقلعها منها فان الشهوات
مثل الكلب في التسلط على الانسان فاذا كان الانسان متصفا بهذه الصفات الذميمة
من الغضب والحسد والحرص والطمع وغير ذلك كان بمنزلة من يكون بين يديه خبز ولحم
فان الكلب لا محالة يتهجم عليه ويتوثب ولا يندفع ولهذا لم يكن متصفا بها لم يطمع
فيه لانه لا داعي له هنالك ويكون دفعه باسهل ما يكون وابتر فانه ربما
يندفع بالتهديد والانتهار فيزال بنقايضها فيزال الغضب بالرضا والسكينة
ويزال الكبر بالتواضع ويزال الحسد بمعرفة الحق للمحسود وان الذي اختص
به فضل من الله تعالى فلا يمكن دفعه ويزال الطمع بالورع والاكتفاء بما
اعطاه الله تعالى ويزال الحرص بتحقق زوال الدنيا وانقطاعها بالموت وهكذا
يفعل في كل خصلة مذمومة بالاجتهاد في ازالتها الدافع الثالث ذكر الله تعالى
واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون والمعنى انهم اذا الم بهم شيء من هذه الصفات الذميمة
من عدو الله تعالى تذكروه فعند ذلك يحصل التبصر لهم في عواقب امورهم
ثم الذكر لا يكون طاردا للشيطان الا اذا كانت القلوب
معمورة بالتقوى والنقا فاما اذا كانت خالية عن ذلك فربما يكون
الذكر حجة ومثال هذا من يطمع في شرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة
مشحونة بغليظ الطعام ويطمع في انه ينفعه كما ينفع الذي شربه

بعد الاحتماء

بعد الاحتماء وتخلية المعدة عن الاطعمة والذكر دواء والتقوى احتماء فاذا
حصل الذكر في قلب فارغ عن غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع العلة بنزول
الدواء في معدة خالية عن الاطعمة كما اشار اليه تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب

المطلب السادس في بيان ما يؤخذ به العبد من وسا
وس القلوب وما يعفى عنه اعلم ان هذا امر غامض ولا يدرك الا با
لفكرة الصافية ويخفى على الاكثر ولا يدركه الا اهل البصائر وثمارتها
العلم او معرفة الشرع وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة فمما
يدل على العفو قوله صلى الله عليه وآله وسلم تجاوز الله عن امتي ما حدثت
به انفسها ما لم تقل او تفعل وفي حديث آخر يقول الله تبارك وتعالى
اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة
وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة فلم يعملها فا
كتبوها حسنة وان عملها فاكتبوها عشرا فهذا دلالة على
العفو عن عمل القلب والهم بالسيئة وفي حديث آخر من هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة
ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت وفي حديث آخر
اذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها وكل ذلك دال على

القصد أو كقوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وهو ما الم
بالقلب من التصميم والإرادة وأما ما يبت له على المؤاخذة فقوله تعالى
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى إن السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فدل ذلك على أن عمل الفؤاد
كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها
فإنه آثم قلبه وقال تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه
المسألة لا تقف عليه إلا بعد الإحاطة بتفصيل الأعمال من مبدأ ظهورها
هذا إلى أن يظهر الفعل على الجوارح فنقول للقلب قبل عمل الجارحة أربعة
أحوال الأول [illegible] الخاطر الذي يرد على القلب كما لو خطر على باله
صورة امرأة وأنها وراءه في الطريق لو التفت إليها لرآها الثاني
تهيج حركة الشهوة وهيجان الرغبة التي في الطبع وتتوق النفس
مما هذه الحالة فإنه يتولد من جهة الخاطر ونسمي هذا ميل الطبع الثالث
حكم القلوب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها وهو على كل
حال حكم للفعل الرابع تصميم العزم وجزم النية فيه وما هذه
حاله نسميه عزما فهذه كلها أربعة أحوال للقلب كما أن ما ذكرنا تقرر
هذه القاعدة فالمختار أنه لا يقع المؤاخذة بتلك الأحوال الثلاثة المتقدمة

أعني الخاطر

أعني الخاطر وحركة الشهوة وحكم القلب فإن هذه الأمور لا تدخل تحت
الاختيار فهذه كلها ليس فيها حب ثم على الفعل وكلها أحاديث النفوس والتي
تهجس في الخاطر وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم تجاوز الله عن أمتي ما
حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل وأما الحالة الرابعة وهو التصميم
العزم وتحديد القصد فيه يقع المؤاخذة وفيه وقع التردد بين المتكلمين
هل يحرم
هل يكون مشاركا للفعل على الإطلاق في كونه كفرا أو فسقا وذهبت طائفة
أخرى إلى أنه غير مشارك بكل حال وقالوا إن الله يتجاوز عن هذه العزوم
والإرادة وصار صائرون إلى التفرقة فإن كان العزم مشاركا للفعل المعزوم
عليه في حكمه في الكفر والفسق وإن كان غير مشارك
للفعل المعزوم عليه في كونه كفرا أو فسقا لم يأت لأصحابه وقالوا
على أن هذا أن العزم على شرب المسكر ليس فسقا لما لم يأت فسقا
والعزم على الاستخفاف بالله تعالى وبأنبيائه يكون كفرا لما كان مشاركا
له في الوجه الذي صار به كفرا وهذا هو المختار من جهة أن العزوم والإ
رادات أمور مضافة إلى الأفعال فلهذا كانت لاحقة بها وعلامتها

للعزم ومه في الحكم
أصلا فقالت
حالية بعد بكون
مشاركا كما هاهنا

ما ذكرناه من التفصيل يتضح الأمر فيحمل المؤاخذة على العزوم والارادات
ويحمل نفي المؤاخذة على ما ذكرناه من الاحوال التي تحصل للقلب قبل اعمال الجوارح
والبرهان القاطع على صحة ما فصلناه قوله تعالى
وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء فان هذه الآية لما نزلت جاء قوم من الصحابة فقالوا يا رسول الله
كلفتنا ما لا نطيقه ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه
فكيف يحاسب على ذلك فقال صلعم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا
وعصينا ولكن قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها فبين تعالى ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال
القلوب لا يؤاخذ الله به وقوله اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقا
تل والمقتول في النار قيل يا رسول الله فهذا القاتل فما بال المقتول
فقال انه اراد قتل صاحبه وفي هذا دلالة على ان كل فعل يدخل تحت
الاختيار من اعمال القلوب فانه مؤاخذ به وعليه يحمل النفي الذي
ذكرناه نجز غرضنا من الباب الاول في الكلام في رياضة القلوب الباب
الثاني في رياضة النفوس وتهذيب الاخلاق

اعلم ان الاصل

اعلم ان الاصل في تهذيب الاخلاق وتطهيرها عما يكون شائنا لها هو
حسن الخلق فانه صفة سيد الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم وافضل
اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة اهل
التقوى ورياضة اهل العبادة والاخلاق السيئة هي السموم والبوا
ئق المهلكة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة
من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين
وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما
ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار
الرحمن وتمام المقصود يحصل من هذا الباب ببيان مقاصد خمسة

المقصد الاول في بيان حقيقة حسن الخلق

وبيان معناه اعلم ان كثيرا من مشايخ الطريق في التصوف قد تكلموا
في حقيقة حسن الخلق واكثر كلامهم يميل الى بيان حكمه وتفصيل ثمرته
واعرضوا عن ذكر ماهيته وحده فحكي عن الحسن البصري انه قال حسن الخلق
بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وحكي عن بعضهم انه قال حسن الخلق

هو ان لا يبالي بشتم ولا يضجر من شيء ويصفو قلبه لله تعالى وقال آخر هو كف الاذى
وحمل المؤن وقال آخر هو ان يكون بين الناس غريبا ومعهم قريبا وقال
غيره هو رضا الخلق في السراء والضراء وحكي عن بعضهم
انه قال هو الرضا عن الله تعالى وسئل بعضهم عن حسن الخلق فقال اوّله
الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للجاهل والاستغفار له والشفقة
عليه وحكي عن امير المؤمنين كرم الله وجهه انه قال حسن الخلق
في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال اقول هذه ان لا يكون
لكن جملة سواه تعالى فيها وامثاله انما هو تعديد للاحكام والثمرات
دون الحقيقة والمختار عندنا تفصيله نشير اليه فنقول الخلق والخُلق
عبارتان مستعملتان معا فيقال فلان حسن الخلق والخلق اي
حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الكاملة الظاهرة ويراد
بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك
بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة
اما قبيحة واما حسنة ولا شك ان النفس المدرك له بالبصيرة

اعظم قدرا

المدرك له بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بحاسة البصر
ولهذا اعظم امره باضافته اليه فقال اني خالق بشرا
من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله
تعالى والخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال
الى سهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فاذا كانت
هذه الهيئة تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت
خلقا حسنا وان كانت الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة
التي هي المصدر خلقا سيئا فحصل من جميع ما ذكرناه هاهنا ان حسن
الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الفم والانف
والخد بل لا بد من حسن الجميع حتى يتم حسن الخلق فكذا حسن الخلق
لا يتم الا بكمال الخصال الحسنة بفضلها بعد عاد بمشية الله تعالى
وانما قلنا في الماهية انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على
الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك منه ويترسخ

وانما قلنا انه يصدر عنه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف
بذل المال والسكون عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم واعتبرنا
صدور الافعال المحمودة وهي كثيرة لكن امهاتها خصال اربع الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل **الخصلة الاولى الحكمة**
ونعني بها حالة للنفس تدرك بها الصواب عن الخطاء في جميع الافعال
الاختيارية لان الحكمة هي ثمرة قوة العقل فمتى حصل الاعتدال
في العقل ما به يتم حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة
الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا الاسرار فاذا افرط في الزيادة
فيها حصل المكر والخداع والدهاء ومتى حصل التفريط فانه يثمر البله
والغمارة والحمق والجنون **الخصلة الثانية الشجاعة** ونعني
بها كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ومتى وجدت
فانها تثمر الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات
وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وهذه كلها اخلاق محمودة واما افراطها
فهو التهور ويصدر عنه الصلف والتكبر والعجب والخرق والاستماتة
والبذخ واما تفريطها فيصدر عنه المهانة والذلة والجزع والخساسة
وضعف النفس والصغر عن تناول الحقوق الواجبة **الخصلة الثالثة**
العفة ونعني بها تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع
ومتى كانت حاصلة فانه يصدر عنها السخاء والحياء والمسامحة والقناعة
والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط
فيحصل البخل واللؤم والانقباض والوقاحة **الخصلة الرابعة**
العدل حالة للنفس وقوة بها تحصل السياسة للغضب والشهوة

وتحملها

وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطهما عن الاسترسال والانقباض على حسب
مقتضاهما والافراط فيه يورث الشح والانقباض والتفريط يورث الظلم
والفساد فهذه هي امهات محاسن الاخلاق وهي الجامعة للفضائل
فمتى حصلت على جهة سبيل الاعتدال فهي الغاية ولم يبلغ كمال الا
عتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والناس متفاوتون
في القرب والبعد منه في هذه الاخلاق فكل من قرب في هذه الاخلاق فهو
قريب من الله بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكل من جمع
كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم
جميعا اليه ويقتدون في جميع افعالهم به ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق
كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد فانه يكون
قريبا من الشيطان اللعين المبعد من رحمة الله وما بعث رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم الا من اجل ان يتمم مكارم الاخلاق فهذا ما اردنا
ذكره في حقيقة حسن الخلق وابانة معناه **المقصد الثاني**
في بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق وتحصيل ذلك من جهة
الايات والاخبار والاثار فهذه جهات ثلاث **الجهة الاولى** الايات كقوله
تعالى لرسوله صلى الله عليه واله وسلم انك لعلى خلق عظيم وقوله تعالى
خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ~~فيما حكاه~~
عن لقمن والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
وقوله تعالى فيما حكاه عن لقمن الحكيم يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله
تعالى ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا فقد اشار تعالى
في هذه الايات الاربع الى الخصال والاخلاق المتقدمة وكلها داله على حسن

الاخلاق وفضيلتها وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور وعلى الجملة فان القران كله دال على الاشارة الى مكارم
الاخلاق ومحاسن الاداب وفقنا الله لها الجهة الثانية الاخبار كقوله
صلى الله عليه واله وسلم ثلاث من اخلاق اهل الجنة العفو عمن ظلمك والا
عطاء لمن حرمك والاحسان الى من اساء اليك وقوله صلى الله عليه واله
وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقوله عليه الصلاة والسلام
اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وجاء رجل
الى الرسول صلى الله عليه واله وسلم من بين يديه فقال يا رسول
الله ما الدين فقال الخلق الحسن ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال
الخلق الحسن ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن
الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين قال حسن الخلق فقال يا رسول الله
ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب قال صلى الله عليه
واله وسلم ما حسن الله خلق احد وخلقه فتطعمه النار قيل يا رسوله

قيل يا رسول الله

قيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى
الله عليه واله وسلم اوصني قال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة
الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقيل لرسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق
تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها وهي من اهل النار وقال ابو الدرداء
سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان
الخلق الحسن والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن
الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق
والمراد هاهنا بخلق الكفر والايمان علم الله بهما وكتبتهما في اللوح المحفوظ
على التقدير دون الايجاد بالقدرة كما هو راي الاشعرية وغيرهم من فرق المجبرة
وقال عليه السلام ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم
الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن
الخلق هو خلق الله الاعظم وسئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
اي المؤمنين افضل ايمانا فقال احسنهم اخلاقا وقال عليه السلام انكم لن تسعوا
الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال صلى الله عليه واله
وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن

وسلم انك امرؤ قد حسن الله
عن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رسول الله صلى الله عليه
خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان
واله وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يقول اللهم حسنت خلقي فحسن
خلقي وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكثر الدعا
ويقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة
عن الرسول صلى الله وسلم عليه انه قال كرم المؤمن دينه ومروته
عقله وحسبه خلقه وعن اسامة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
قال شهدت الاعراب يسألون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقولون
ما خير ما اعطي المرء قال خلق حسن وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلث من لم يكن
فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي
الله او حلم يرد به السفيه او خلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه
واله وسلم الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقال صلى الله عليه واله وسلم
ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد الجهة الثالثة
الاثار عن اهل الصلاح والتقوى قال ابن لقمن لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان
خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا
قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن
الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال

قال فاذا كانت ستا

قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخصال الخمس فهو نقي تقي
لله تعالى ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وان
كان غاية او يبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وقال بعضهم في تقلب
الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب ابن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخار
المكسور لا يرقع ولا يعاد طينا وقال الفضيل ابن عياض لان يصحبني
فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن
المبارك رجل سيء الخلق في سفر وكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه
بكى فقيل له في ذلك فقال تركته وخلقه لم يفارقه وقال الجنيد
اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخا وحسن
الخلق وهو كمال الايمان وقال بعضهم سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات
وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال
ما بين الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقيل ما الحسب قال احسنكم خلقا
افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس بنيان الاسلام حسن الخلق
وقال بعض الزهاد ما تقرب متقرب الى نعم الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى
صلوات الله عليه واقرب الخلق الى الله تعالى السالكون اثاره بحسن الخلق الفصل الثالث
في بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق قد قررنا فيما سبق ان حسن
الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب
والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل له طرق
ثلاث الطريق الاول يكون بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان

ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين
منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم وأديبا من غير مؤدب وهاذا
كما كان في عيسى ابن مريم ويحيى ابن زكريا صلوات الله عليهما وهكذا سائر الا
نبيا عليهم السلام ولا يبعد أن يكون في الفطرة والطبع ما قد ينال بالاكتساب
فرب صبي يخلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلاف ذلك فيحصل
له هاذه الاخلاق المحمودة بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق الكريمة

الطريق الثاني لاكتساب هاذه الاخلاق وهاذا يكون بالرياضة
والمجاهدة ونعني بذلك حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب
فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل
الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا النفس حتى يصير
ذلك طبعا ويتيسر عليه فعله فيصير جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه
خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على الافعال المتوا
ضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد النفس ومتكلف الى ان يصير ذلك له
خلقا وطبعا وهكذا جميع الافعال المحمودة والخلائق الجميلة شرعا انما يحصل بمثل
هاذه الطريق وغايتها ان يصير الصادر منه لذيذا ايضا ان كان صعبا منه
عنه والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم
تتعود جميع العادات الحسنة وان تترك جميع العادات السيئة ما لم يواظب عليها
مواظبة مشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم
بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادة
وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة

الا بالاجتهاد

الا بالاجتهاد والمواظبة ولهذا قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على
ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة بها على حسن
الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان
بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام والاستمرار في جملة العمر وكلما كان
العمر اطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولهذا فانه لما سئل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى
ولهذا كره الانبياء والاولياء الموت لما كانت الدنيا مزرعة الآخرة وكلما
كانت العبادة اكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس ازكى واطهر
والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في
القلب وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية
هاذه الاخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله
تعالى فلا يكون شيء أحب اليه من لقاء الله تعالى فاذا عرفت هاذا علمنا
ان الاخلاق المحمودة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال
الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء **الطريق الثالث**

يحصل بينهما مضاهية ان باب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان
الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع وان لم يشعر الخير والشر جميعا فمن تظاهرت
في حقه هذه الطرق الثلاث حتى صار فاضلا اما بالطبع واما بالاعتياد
والتعلم واما بمقارنة اهل الصلاح والخير فهو في غاية الفضيلة ومن كان
جابت اللذ ذالة بطبعه واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له ابواب
الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله تعالى فصل من جملة ما ذكرناه
فاعلمنا ان هذه الاخلاق الحميدة حاصلة بهذه الطرق الثلاث المقصد
الرابع في بيان علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيوب
نفسه فاذا جاهد نفسه وادناها مجاهدة حتى ترك كبائر المعاصي
والذنوب الظاهرة ظن في نفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى
عن المجاهدة فلا بد من علامات حسن الخلق ليكون الامر فيه واضحا فان
حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وجملة ما نشير اليه من العلا
مت حسنى هي دالة على الاخلاق الحسنة العلامة **الاولى** العرض

في كتابه تعالى وقد حكى تعالى صفة المؤمنين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق
فقال تعالى في صدر سورة البقرة هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلاة الى قوله المفلحون وقال في سورة التوبة التائبون
العابدون الحامدون الى اخر هذه الآية وقال في صدر سورة المومنين
قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله تعالى فانهم غير
ملومين وقال في اخر سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الا
رض هونا الى اخر هذه الايات في صفة المومنين فمن اشكل عليه حاله
في الايمان فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات
علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها
يدل على وجود البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده منها
وحفظ ما وجد العلامة **الثانية** العرض على سنة
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فانه صلى الله عليه واله وسلم وصف المومنين
بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المومن يحب لاخيه
ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه واله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم
جائزته ضيفه وقال صلى الله عليه واله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي خبر آخر ذكر ان
صفة الايمان هو حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى
الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال
لا يحل للمؤمن ان ينظر الى اخيه نظرة يؤذيه وقال لا يحل لاحدهما ان يفشي على
عما يكرهه لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله
فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره **الفائدة الثالثة**
سئل بعض الصالحين عن حسن الخلق فقال هو عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن
الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس
المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة
عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير
ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق
فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار
له والشفقة عليه وروي عن امير المؤمنين كرم الله وجهه انه دعا غلاما

لم يجبه

له فلم يجبه ثم دعاه ثانية وثالثة فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال
اما سمعت يا غلام فقال نعم فقال ما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك
فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى **الفائدة الرابعة**
حكي عن بعض الزهاد انه جمع علامات حسن الخلق فقال ان تكون كثير
الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير
العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا حليما
رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا
ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا تحب في الله وتبغض
في الله وترضى في الله وتغضب في الله وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن علامة
المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق
همته في الطعام والشراب كالبهيمة وحكى الحسن ابو الحسن عن جد الحسن
والحسين انه قال احسن الحسن الخلق الحسن ولما كثر الاذى على الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم من جهة كفار قريش قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ولهذا قال تعالى في معرض الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حين كذبه اما انعم به وانك لعلى خلق عظيم **الفائدة الخامسة**

حكي عن بعض الزهاد في صفة المؤمن والمنافق وفيه تنبيه على احسن الخلق
وسوئه قال المؤمن مشغول بالذكر والفكر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن
آيس من كل احد الا من الله عز وجل والمنافق راج لكل احد الا الله تعالى والمؤمن آمن من كل احد الا من الله
تعالى والمنافق خائف لكل احد الا الله تعالى والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم
دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة وا
لخلاء والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع
ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد
وأحق ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن
شكا من سوء خلق غيره فذلك دال على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال
الاذى ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غاية الاحتمال لكل اذى والصبر
لله وقد شرح الله له صدره وأشار بمن قبله من الانبياء بقوله فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل

المقصد الخامس في بيان الطريق التي

يتعرف بها الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بالانسان
خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف
العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون

القذا في عين غيره

القذا في عين غيره ولا يرون الجذع في عينهم فمن اراد الوقوف على
عيب نفسه فله في ذلك اربع طرق **الطريق الاول** ان
يكون جالسا بين يدي استاذ او شيخ بصير بعيوب النفوس مطلع
على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في جميع احواله و
هذا هو شأن المريد مع الاستاذ وتلك طريقة وما هذا حاله فهو يطلب
وجوده في هذا الزمان **الطريق الثاني** ان يطلب
صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ
احواله وافعاله فما كان يكره من اخلاقه وافعاله ينبهه عليه فهكذا كان
يفعل اهل الصلاح وافاضل العلماء ومن سلف من الائمة والخلفاء وحكي
عن عمر انه قال رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه
لما قدم عليه وقال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفاه فأبا والح عليه
فقال له سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة
بالليل فقال له عمر هل بلغك شيء غير هذا قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان
يسأل حذيفة يقول انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنافقين
فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو حاله

منهم لنفسه وكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما
لنفسه وحكي عن داود الطائي أنه اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس
قال فماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي **الطريق الثالث** أن
يستفيد عيوب نفسه من لسان أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا
ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه
بصديق مداهن يثني عليك ويمدحك ويخفي عنك عيوبك إلا أن الطبع
مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد والبغضاء ولكن
البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد أن تنتشر
على ألسنتهم **الطريق الرابع** أن يكون مخالطا للناس فكل ما رآه
مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه بتركه وما رآه محمودا فليتحبب نفسه
إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع
متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر
عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن
كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه
من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد
رأيت جهل الجاهل فجانبته **فهذه جملة الطرق**

الدالة على عيوب الإنسان وبعد نذكر مجاهدة للنفس وقد قال صلى الله عليه والسلام
المؤمن بين خمس شدائد صديق يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله
ونفس تنازعه وقال بعض الحكماء جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة بالضبط
على أوجه أربعة القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى
من جميع الأنام وليس على القلب شيء أشد من الألم عند الجفاء والصبر على الأذى وقال بعضهم من زين
الجوارح بالمشروع غرس في قلبه شجرة الندامة وقال بعض الأتقياء اجتمعت العلماء واتفق
الفضلاء على أن النعيم لا يدرك بالنعيم والله أعلم بالصواب وقد بلغ غرضنا
من الكلام في رياضة النفوس فنسأله أن يوفقنا فيما يشاء و
يبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكره وخشيته أن يلقانا
على استقامة ويرحمنا بمنه وفضله

الباب الثالث في بيان الطريق

الرياضة الأطفال في أول النشأة وتهذيب أخلاقهم وتأديبهم اعلم أن الصبي
أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل
نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير نشأ
عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب
وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة

القبيح عليه بحاله والوضيع والقايم بمصالحه وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا
انفسكم واهليكم نارا وصيانات الاب ينبغي له من نار الدنيا فانه يصونه من نار الاخرة
اولا واحق وصيانته ان تكون بتهذيبه وتاديبه وتعليمه محاسن الاخلاق وتشريف
النبيه ويحفظه من الاداب باختلاف اوقاته واحواله في التدريج فالمجمل ذلك علامات ان
اربع المرتبة **الرابع** في بيان الاداب المتعلقة باحوال الولادة وجملتها
ثمانية الادب الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر ولا حزنه بالانثى فانه لا يدري
ان الخيرة له في ايهما وكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له ابن او يكون انثى بل السلامة
منهن اكثر والثواب فيهن اجزل وقد قال صلى الله عليه واله وسلم من ابتلي
من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار وقال عليه الصلاة والسلام
من كانت له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعم
التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وعن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل
اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما
بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه من النار **الادب الثاني**
ان يؤذن في اذنه عند الولادة روى نافع عن ابيه قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة وروي

عن رسول الله صلى الله عليه

عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في
اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان **الادب الثالث** الختان في اليوم
السابع لما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه ختن الحسن والحسين في اليوم السابع
ولان فيه مخالفة لليهود فانهم يختنون اولادهم في اليوم الثامن فالعمل بالرسول
صلى الله عليه واله وسلم **الادب الرابع** التسمية بالمحبوب
والاناث ويستحب ان يكون الاسم حسنا لان ذلك من حق الولد على والديه وقد
قال صلى الله عليه واله وسلم اذا سميتم فاعبدوا وقال عليه الصلاة والسلام احب الاسماء
الى الله عبد الله وعبد الرحمن وينبغي تسمية السقط لما روي عن الرسول صلى الله عليه
واله وسلم انه قال ان السقط محبنطئا على باب الجنة حتى يدخل والديه فيقول له
انت ضيعتني وانت تركتني لا اسم لي فقال لابيه ومن له اسم بعده فيستحب
له به **الادب الخامس** يستحب ان يلقن اول ما ينطق
به لسانه لا اله الا الله ليكون اول خطابه كلمة التوحيد
وليكن من لعابه ذكر الله تعالى **الادب السادس** العقيقة عن الذكر
شاتان وعن الانثى شاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان او انثى لما روي عن الرسول
صلى الله عليه واله وسلم انه امر في الغلام شاتان وعن الجارية بشاة **الادب السابع**

يستحب ان يتصدق ويوزن شعره ذهبا او فضة وقد روي فيه خبر روي
انه عليه الصلاة والسلام امر فاطمة يوم سابع الحسن ان تحلق شعره وتصدق
بزنة شعره فضة ويستحب ان لا تكسر عظامها **الادب الثامن**
يستحب ان يحنك بتمرة او حلاوة لما روي عن اسماء ابنة ابي بكر انها قالت ولدت
عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعته في حجره
ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل بطنه ريق رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك فيه وكان اول مولود ولد
في الاسلام وفرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود سحرتكم فلا يولد
لكم **فصل في جملة ما يتصل من آداب الولادة في المرتبة الثانية**
في الاداب المتعلقة بالرضاع وجملة ما نذكره من ذلك اداب اربعة الادب
الاول المستحب ان لا يستعمل في حضانته ورضاعته الا امرأة صالحة متدينة
تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحلال فيه البركة واللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه
فاذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الحرام فيميل طبعه الا ما يناسب الحرام من
الخبائث المحرمات **الادب الثاني** يستحب ان يكون رضاعه
في تمام الحولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة ولما في ذلك من كمال التغذية باللبن لان بعد الحولين يحتاج الولد

الا ماهو اشبه

الا ماهو اشبه من اللبن وهو القوت **الادب الثالث** يجب على الام
ارضاع الصبي اللبأ وهو ثلاثة ايام وما بعدها ان طلبت الام ارضاعه
فهي احق سواء كان ذلك باجرة ام لا من غيرها الاجنبية فان كان غيرها يرضع بغير
اجرة وهي لا ترضع الا باجرة فمن يكون احق فيه تردد والاقرب انها احق
بالاجرة لان خلاف ذلك فيه مضارة بها وقال تعالى لا تضار والدة بولدها
الادب الرابع جميع النفقات المالية من الكسوة والنفقة
واجرة الرضاع كلها في مال الولد اذا كان له مال فان لم يكن له مال فانه يكون
على الاب لقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فهذه الاداب
كلها متعلقة بحال عدم التمييز والرضاع والحضانة وعدم الاستقلال بنفسه
المرتبة الثالثة اذا بلغ الصبي حال التمييز وصار ابعد من الصبي قابل التمييز
فينبغي ان يحفظ من اخلاقه وسط القرناء الجهال فاذا ظهرت في وجهه انوار الحياء
وكان يحتشم ويستحيي من بعض الافعال متنافيا فاضحة فهذه هدية من الله تعالى
اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وما هذا حاله فهو مبشر
بكمال العقل عند البلوغ فينبغي ان لا يهمل عن غايته الاعتناء في حقه بتأديب
الاداب وجملة ما نشير اليه مما يتعلق به من الاداب احد عشر ادبا الادب
الاول هو ان الغالب على الاطفال الشره في الطعام فينبغي ان يؤدب فيه
فلا ياكل الا بيمينه ويقول بسم الله عند اكله وليأكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام
قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من ياكله **الادب الثاني** ان يوصف

ان لا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين الاكلات ويلطف اللقمة
ولا يلطخ اثوابه **الادب الثالث** يعود اكل الخبز من غير ادام في بعض
الاوقات حتى لا يصير بحيث لا يرى الادام حتما واجبا ويقبح عنده كثرة
الاكل عنده ويمدح الصبي القليل الاكل حتى يقتدي بذلك **الادب الرابع**
ويحبب اليه الايثار بالاطعام وقلة المبالاة ويمدح عنده الطعام الذي
فيه خشونة اي طعام كان بحيث لا يكون معلقا بالطعام اللذيذ وتصعب عليه
مفارقته **الادب الخامس** يستحب ان يكون لباسه من الثياب البيض
دون الاثواب الملونة بالصباغة من المزعفر والمعصفر وانواع الديباج والابريسم
ويقرر عنده ان ذلك انما هو من لباس النسوان والرجال الذين لا خير فيهم ولا اجر لهم
وان الرجال يستنكفون عن ذلك وينكر عليه ذلك **الادب السادس** انه متى ما راى
على الصبي ثوبا من ديباج او حرير او ابريسم فينبغي ان ينكر عليه ويذم على لبسه
ويزال عنه بكل حال ولا يتفق له ذلك **الادب السابع** ينبغي
ان يحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب
الفاخرة وعن مخالطة من يرغب فيما ذكرناه فان الصبي اذا اهمل في اول
النشو خرج في الاغلب ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا
ذا فضول وجدة وانما يحفظ عن ذلك كله بحسن الادب **الادب الثامن**
انه يستحب ان يشتغل في المكتب بتعلم القران وباحاديث
الرسول صلى الله عليه واله وسلم وخطب امير المؤمنين كرم الله وجهه في الترغيب
ويقعد في المواعظ الحسنة واخبار الابرار وحكايات اهل الصلاح في الزهد
في الدنيا وحسن الرياضة للنفس فينغرس في قلبه حب الفضائل
الادب التاسع ينبغي ان يحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر الفساق

لحين ١٠٢ هـ

ويحفظ من مخالطة من عادته حالة في اتباع الهوى فان ذلك مما ينغرس في قلوب
الصبيان فانه يورث الفساد في النفوس **الادب العاشر** ان يعود كتابة
الخط وحفظ الامثال المشهورة به فان ذلك صفة كمال وزينة وقد قال امير المؤمنين
كرم الله وجهه عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق **الادب الحادي عشر**
اذا ظهر من جهة الصبي فعل جميل وخلق حسن فينبغي ان يكرم عليه ويجازى
بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة
واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره في ولاية من الخلق ولا يكاشف
في وجهه ويظهر له ان مثل هذا لا يتجاسر عليه احد لا سيما اذا استتره
الصبي واخفاه **الادب الثاني عشر** انه ان عاد الى
ذلك فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم عليه الامر فيه ويقال له اياك
ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر عليه العتاب
في كل حين فان ذلك يورث سماع الملامة في حقه ويسقط وقع الكلام في
قلبه **الادب الثالث عشر** ان يكون الاب حافظا للهيبة
الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره
عن القبائح وتظهر له الغضب بسبب الاب وخوفه منه **الادب**
الرابع عشر ينبغي ان يمنع من النوم نهارا فان ذلك
يورث الكسل في حقه ويمنع من النوم ليلا لان منعه من النوم ليلا
يورث الملالة والتبلد ويضعف عن مكابدة النوم وشدة التعب
الادب الخامس عشر ينبغي ان يمنع من استعمال الفرش

الوطية حتى يتصلب اعضاؤه ولا ينحف بدنه ولا يمنع عن التنعم بل
يعوّد الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم والمشرب فقد قال صلى الله عليه وآله
وسلم اياكم وفضول المطعم فانه يسم القلب بالقسوة الادب السادس
عشر ينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو
يعتقد انه قبيح فيتعود ذلك الا ان يتعود فعل كل قبيح الادب السابع
عشر ينبغي ان يتعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى
لا يغلب عليه الكسل ويتعود الميل اليه وان كان ممن يتعود الرمي وركوب الخيل
فلا باس بشغله وهكذا الحال في ركوب الخيل فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يعد
من اللهو الا لهو الانسان بفرسه ولهوه بقوسه ولهوه باهله الادب
الثامن عشر ينبغي ان يعوّد ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع
في المشي ولا يرخي يديه بل يكتفهما قدامه ووراه فعل المتكبرين فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه المشية وكذا حال التمطي عند المشي مكروه
ايضا وقد نهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم الادب التاسع عشر ينبغي
ان يمنع عن الافتخار على اقرانه وامثاله لشيء مما يملكه ابواه او شيء
من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره
من الصبيان ويلطف الكلام معهم الادب العشرون يمنع من ان ياخذ
على الصبيان من امثاله شيئا اذا كان من اهل الشرف والرياسة ويقرر في نفسه
ان الاخذ لؤم وخسة ونذالة وان الاعطاء كرم وشرف وان كان من اولاد الفقراء
فيقرر في نفسه ان الاخذ طمع وفي الطمع مهانة ومذلة وان ذلك من اخلاق الكلاب
فانه يتذلل

فانه يتذلل في انتظار لقمة الادب الحادي والعشرون ينبغي
ان يقبح الاولاد في حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما
اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب والسموم فان آفة الذهب والفضة
والطمع فيهما اعظم من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر من العقلاء
فان ضرر السموم ينقطع بالموت وضرر حبهما يتجدد بعد الموت الادب
الثاني والعشرون ينبغي ان يعوّد ان لا يبصق في المجلس ولا
يتمخط بحضور غيره ولا يستدبر غيره ولا يكثر التثاؤب ولا يضع
على وجهه ولا ينقلب على قفاه فان ذلك كله امارة دالة على الكسل
والتهاون الادب الثالث والعشرون ينبغي ان
يعلم كيفية الجلوس فاذا قعد يقعد واضعا ركبتيه على الارض ناصبا
قدمه اليمنى ويضع اليسرى على الارض او يقعد محتبيا بيديه هكذا كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقعد في اكثر احواله ولا يقعد متربعا عند
الاكل ويتربع اذا كان يكتب ليتمكن من وضع اللوح في حجره الادب الرابع
والعشرون ينبغي ان يمنع من كثرة الكلام ويبين له ان ذلك
من امارة الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام واولاد السفهاء من الناس
ليحترز عن ذلك [الادب الخامس والعشرون] ويمنع [ينبغي] من الايمان صادقا كانت ام كاذبا لا يعتاد
ذلك في حال الصغر ويمنع ان يبتدئ بالكلام ويعوّد ان لا يتكلم الا جوابا
وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر منه سنا وقدرا

فوقه

ان يقوم لمن هو فوقه

الادب السادس والعشرون
ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه ويمتنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه مثل ذلك فان ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ عن قرناء السوء الادب السابع والعشرون ينبغي ان يعلم شجاعة القلب والصبر على الشدائد ويمدح هذه الاوصاف بين يديه وشجاعته لها حتى ينغرس في قلبه حسنها ويتعود بها الادب الثامن والعشرون ينبغي له اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر ان الصبر داب اهل الشجاعة والرجال الاجواد ويعرف ان كثرة الصراخ هو داب المماليك والنسوان الذين لا صبر لهم على احتمال ما يكرهونه الادب التاسع والعشرون ينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ~~لينبغي ان يلعب في اللعب وان منع الصبي عن اللعب~~ ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب وضيقه بحيث لا يتعب في اللعب وان منع الصبي عن اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الخلاص منه راسا وقد اشار صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك بقوله روحوا القلوب ساعة فانها تصدا كما تصدا الحديد

(بعد ساعة)

الادب الثلاثون ينبغي ان يتقي الاكل مع الضيف

والاكثار

والانس بهم لئلا يكون متوحشا بمخالطتهم ويكون محبا لهم الادب الحادي والثلاثون ينبغي ان يعلمه طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب او بعيد او اجنبي وان يكون ناظرا اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم فهذه الآداب كلها متعلقة بسن التمييز في حالة الصغر قبل البلوغ والله الموفق للصواب المرتبة

(الرابعة)

منهما قارب البلوغ وعظم تمييزه ويشتمل على آداب خمسة الادب الاول ينبغي ان لا يسامح له في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان تعويدا وتمرينا وقد ورد الخبر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مروهم بالصلاة ابناء سبع واضربوهم وهم ابناء عشر الادب الثاني ينبغي ان يجتنب لبس الحرير والذهب ويعلمون كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من كل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الانسان الادب الثالث ينبغي ان يعرف في طلب الاطعمة والاشربة ادوية وانما المقصود بها ان يتقوى الانسان على العبادة لله تعالى وهكذا حال اللباس فان الغرض به هو ستر العورة فلا حاجة الى التانق في هذين الامرين فان الاشتغال بطلبهما والتفكه بهما والمنافسة فيهما ربما كان شاغلا عما يراد من امر الآخرة فينبغي الاعراض عنهما الا بتحقق في نفسه ان الدنيا كلها لا اصل لها لانها غير باقية وان الموت قاطع

لنفيسها وبديل جميع لذاتها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة
دار مقر لا دار ممر فمتى ما غفل عن هذه الامور كلها في اول النشوء فانه
ينتفع غاية الانتفاع الرجل الحاسن ينبغي ان يخطر بباله الموت
ويتذكره في كل ساعة ويعلمه ان العيش الفاني لا يدوم والدنيا لا
حتى تنقطع عنه دون حجته وتبتغي في الجنان نعمته فاذا كان نشوه
على هذه الصفة كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا ومؤثرا ثابتا
في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو على خلاف ذلك والعياذ بالله
حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر فنبا قلبه عن قبول الحق فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى
فان الصبي خلق جوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد
الجانبين كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وبتمامه يتم الكلام على هذه
المقالة الاولى في الرياضة للتهذيب وغيرها كما شرحنا من قبل والله اعلم بالصواب

المقالة الثانية في بيان الصفات المهلكات وجملتها عشرة
حب الدنيا والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد والغضب وحب المال وحب
الجاه وايثار الشهوات البطنية والفرج وما يندرج تحت هذه من الآفات المهلكة
كآفات اللسان من الكذب ونحوه واعلم ان محل هذه الصفات هو القلب
وكل واحدة من هذه الصفات كافية في الهلاك فينبغي الاجتهاد في دفعها

وان الدنيا

وان الدنيا ولنستعن بالله تعالى على ذم الدنيا ونذكر لكل واحدة منها ونفرد
لها بابا على التفصيل وشرح ما يحتمل كل واحد منها وبالله التوفيق

الباب الاول
في بيان الذم للدنيا وحقيقتها اعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم وقد صارت عدوة لله وعدوة لاوليائه وعدوة
لاعدائه اما عداوتها لله تعالى فلانها قطعت الطريق بين عبيده وبين اوليائه
ولهذا ما نظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاوليائه فلانها تزينت
لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة
الصبر في مقاطعتها وتحملوا المشاق في البعد عنها واما عداوتها لاعدائه
فلانها استدرجتهم بمكرها ومكايدها واقتنصتهم بحبائلها واقتنصتهم
بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها
وعند ذلك ملحقة اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها
الاكباد وحرمتهم السعادة الابدية على طول الايام فلنذكر ماهية
الدنيا ثم نذكر ذمها وبيان اصنافها وذكر المواضع فيها منها هذه بيانات اربعة
نفصلها بتوفيق الله تعالى البيان الاول في ايضاح بيان ذمها اعلم ان معرفة
ذم الدنيا والبغض عنها لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما ينبغي
ان يجتنب منها وما لا يجتنب فلا بد من بيان المذموم
المجتنب ما هي فنقول الدنيا والآخرة عبارتان
عن حالتين فكل ما كان قبل الموت فهو من الدنيا وكل

ما كان بعد الموت فهو من الآخرة فكل ما لك فيه حظ
وغرض ونصيب وشهوة ولذة عاجلة قبل الوفاة فهو
من الدنيا وليس مذموما على الاطلاق لكنه على ثلاثة
أقسام القسم الأول ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك
ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل ونعني بالعلم
ما كان متعلقا بذات الله وصفاته وأفعاله وملائكته و
كتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم فهذا هو علم الدنيا النافع ونعني بالعمل العبادة
الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ألذ الأشياء عنده
من جميع المطاعم والمشارب والملابس كلها فهذا حاله ليس معدودا من
الدنيا المذمومة بل هو خير محض يبقى في الآخرة القسم الثاني وهو المقابل
له على المناقضة وهو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة وهذا
مع التلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجة وا
لضرورة الداخلة في جملة الرفاهية وهذا كالتنعم بالقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والدور
والقصور ورفيع البنيان وغير ذلك من الملاذ حتى القبب من هذا كله هو الدنيا
المذمومة إذ ليس فيه شيء من أعمال الآخرة القسم الثالث وهو متوسط

بين الدنيا

بين الطرفين وهو كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام
والقميص من الثياب وكل ما لا بد للإنسان منه ليتأتى للإنسان البقاء
والصحة التي يتوصل بها إلى العلم والعمل فهذا حاله مأتيه يكون متوسطا
بين القسمين الأولين فإن قصد به وجه الله تعالى والوصول به إلى الدار
الآخرة فهو مثل الأول وإن قصد التنعم والتلذذ فهو من الثاني والأتباع
بعد الموت لا عمل الآخرة ويحكى عن عمر أنه استعمل أبا الدرداء على حمص
فاتخذ به كنيفا أنفق عليه درهمين فكتب إليه عمر بن الخطاب أما بعد
فقد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين
أذن الله بخرابها فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك وأهلك إلى دمشق
فلم يزل بها حتى مات فتحصل من هذا كله أن كل ما أريد به وجه الله تعالى فإنما
ويحكى عن سليمان صلى الله عليه أنه كان يأكل خبز الشعير ويطعم الناس لذائذ
الأطعمة وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه أتي له بلبن قد
مزج بعسل فأبى أن يشربه وقال لا أحرمه ولا أشربه وروي عن عمر أنه
أتي له بماء بارد وقد مزج بعسل فأداره في كفه وامتنع منه وقال
اعزلوا عني حسابها وكذا كانت سيرة التاركين للدنيا الراغبين للآخرة
رغبة عنهم والمعرضين عن الدنيا وتحصل من مجموع ما ذكرناه أن كلما أطلقه
الخطر أو أقلته المقبرة فهو مقصد وجه من الدنيا الإمكان خالصا لوجه الله تعالى

لا أشربه

يريد به من ثنائه والدار الآخرة فهو من الآخرة. الباب الثاني في ذم
الدنيا وهو حاصل من جهات ثلاث الجهة الأولى الآيات الواردة في ذمها
وهي كقوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وقال تعالى اعلموا
أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال تعالى إنما
مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما
يأكل الناس والأنعام وقال تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور
وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حقارة الدنيا وانقطاعها
وبطلانها وفنائها. الجهة الثانية وقد روي عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم أنه مر بشاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة ميتة
على صاحبها فقالوا نعم فقال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه
الشاة على صاحبها ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال
عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله
وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى

على ما يفنى

على ما يفنى وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
حب الدنيا مهلكة للدين وعن أبي بكر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيته
يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك
فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت مني
فلن يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار
الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم
أنه وقف على مزبلة فقال هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة
وعظاما قد نخرت فقال هذه هي الدنيا وهذه منه إشارة إلى أن زينتها
ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها
فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا
في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا
فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف
عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال يا معشر الحواريين إني
كببت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن الله تعالى ما عصي
إلا فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروها
ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت
حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم
فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعهم الدنيا فإنهم لن يتعرضوا لكم

مالكم فيه ودنياكم وأما التي ما تنقلوهي بالندم والهلاك وقال أيضاً الدنيا
طالبة ومطلوبة وطالب الآخرة يطلبه الدنيا حتى يستكمل من رزقه منها و
طالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأتي الموت فيأخذ بعنقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر إليها وروي
أن سليمان صلى الله عليه كان في موكبه والطير تظلله والجن والانس عن
يمينه ويساره ومر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود
لقد آتاك الله ملكاً عظيماً قال فسمع سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة
مؤمن خير مما اعطي ابن داود فانما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا
ما تصدقت فأمضيت أو اكلت فأفنيت أو لبست فأبليت وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له وعليها يعادي
من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من أصبح والدنيا همه فليس من الله والزم قلبه أربع خصال هماً
لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يفرغ منه أبداً وفقراً لا يبلغ غناه أبداً وأملاً
لا يبلغ منتهاه أبداً وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أريك الدنيا جميعاً
يا أبا هريرة قال قلت بلى يا رسول الله وأخذ بيدي وأتى بي إلى مزبلة فيها
رؤوس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص
كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظاماً بلا جلد ثم هي صائرة رماداً
وهذه العذرات ألوان أطعمتكم اكتسبتموها من حيث اكتسبتموها

ثم قذفوها

ثم قذفوها في بطونكم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق
البالية كانت رياشكم ولباسكم فأصبحت الرياح تصفقها وهذه العظام
عظام دوابكم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكياً على
الدنيا فليبك مما يرى فما اشتد بكاؤه ويروى أنه تعالى لما أهبط
آدم إلى الدنيا قال له ابن للخراب ولد للفناء وروي أنه وجد في صحف ابراهيم
عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قد قذفت
في قلوبهم بغضك والصد عنك وما خلقت خلقاً أهون علي منك كل
شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك ألا تدومي لأحد
ولا يدوم لك أحد وان بخل عليك صاحبك وشح عليك [illegible]
عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضمائرهم
على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما عندي لهم من الجزاء إذا وفدوا إلي
من قبورهم النور يسعى بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر
إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول
اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا فأرضاك لهم اليوم وروي
في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته ليخرج
الثقل ولم يكن ذلك مجعولاً في أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك
نهي عن أكلها فجعل يدور في الجنة فأمر الله سبحانه وتعالى ملكاً يخاطبه
فقال قل له أي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني

من الاذا اقبل الليل قيل له في أي مكان نطعه على الفراش أم على الثرى
أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ها هنا موضع يصلح لذلك
ولكني أهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجي اقوام يوم القيمة
واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقالوا يا رسول الله
مصلين كانوا فقال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنة
من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم
أحذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عيسى صلوات الله عليه
لا يجتمع حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يجتمع الما والنار في
إناء واحد وروى ان جبريل قال لنوح يا اطول الانبيا عمرا كيف وجدت
الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل
لعيسى صلوات الله عليه لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من قبلنا
وروى انه خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه
فقال منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب
في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا
وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه
سيكون بعدي اقوام لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنا
الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا من ادرك ذلك منكم فصبر
للفقر وهو يقدر على الغنى لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب
خمسين صديقا وروى عن عيسى صلوات الله عليه انه اشتد به المطر

الغنا وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز صح اصل

والرعد والبرق

والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فرفعت له
خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو
بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه اسد فوضع يده فقال الهي لكل شيء
مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله اليه مأواك في مستقر رحمتي
لأزوجنك يوم القيمة مائة حورا خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك
اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي
اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم وقال
صلوات الله عليه ويل لصاحب الدنيا يموت ويتركها ويأمنها وتغره
ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون
ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه
وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام ما لك ولدار الظالمين انها ليست
لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي
الا لعامل يعمل فيها خيرا فنعمت الدار يا موسى هي اني مرصد للظالم
حتى آخذ منه للمظلوم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله عليكم من بركات الارض قيل وما بركات
الارض قال زهرة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا
قلوبكم بذكر الدنيا فنهاهم عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عيسى
من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها
قرارا وقيل لعيسى على نبينا وعليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه

لو تعلمون ما اعلم
قال ابغض الدنيا ابغضه الله وقال صلى الله عليه واله الدنيا وقال عيسى يا طا
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولتركتم الدنيا
لب الدنيا تركك للدنيا ابر وقال صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعد
ي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب ومر موسى بن عمران
برجل وهو يبكي فقال يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران
لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له
وهو يحب الدنيا فهذه جملة ما ورد في ذم الدنيا من الاخبار
الجهة الثالثة في جهة الاثار حكي عن امير المؤمنين كرم الله
وجهه انه قال من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار
مهربا من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف
الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الا
خرة فطلبها وحكي عن الحسن البصري رحمه الله انه قال ما كانت الدنيا عندهم
وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال من
نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال
لقمان يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك
فيها تقوى الله تعالى وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله
لعلك ناج وما اظنك ناجيا وقال الفضيل بن عياض طال فكري في
هذه انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا
الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا
عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك نفسك في اكله وصم عن الدنيا وافطر

على الاخرة

على الاخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الزهاد كيف
ترى الدنيا قال تخلق الابدان وتجدد الامال وتقرب المنية وتبعد الا
منية قيل فما حال اهلها قال من ظفر بها تعب ومن فاتته نصب وقال بعض الحكماء كانت
الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان
عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او
بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا
ما يستحق لكنها اما تزيد واما تنقص وقال سفيان اما ترى النعم كانها
مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال بعض الزهاد من طلب الدنيا
على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه ومن طلب الاخرة على
المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه وليس لها غاية ولا نهاية
وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر
الاما اتاك الله عز وجل فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا
يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه
حقه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت
الشيطان فلا تسرق من حانوته فيجيء في طلبك فياخذك وقال الفضيل بن عياض لو
كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي ان
نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى
على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف
العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله

وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وما في يده عارية والضيف
مرتحل والعارية مردودة رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروي
ابو امامة الباهلي انه لما بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتت ابليس جنوده
فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا
يحبونها ما ابالي ان لا يعبدون الاوثان وانا اغدو واغليهم واروح بثلاث
اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه من حقه والشر كله
من هذا نبع وقال رجل لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا
قال ما اصف لك من دار من استغنى فيها فتن ومن افتقر اليها حزن ومن
ساعاها فاتته ومن اتاها واتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته
وقال هي دار حلالها حساب وحرامها عقاب وقال مالك ابن دينار اتقوا
السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وحكي عن بعض
الحكماء انه قال اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت
في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وقال مالك
ابن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وقال عيسى صلوات الله عليه الدنيا
والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احدهما تسخط الاخرى وقال الحسن
البصري رضي الله عنه والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم
من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت
ام لم تذهب ذهبت الى هذا او ذهبت الى هذا وقال الفضيل ابن عياض لو
كانت الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الاخرة

لكنت اتقذرها

لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقال سفيان
الثوري خذ من الدنيا لبدنك ومن الاخرة لقلبك وقال الحسن البصري والله لقد
عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن لحبهم الدنيا وقال وهب
قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى
خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه انك استدبرت الدنيا
من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار
تباعد عنها وقال بعض الزهاد اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص
اخرته وهو به راض فذاك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وكتب الحسن البصري الى عمر ابن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكأنك
باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجاب عليه عمر ابن عبد العزيز سلام عليك
كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال الفضيل ابن عياض الدخول
في الدنيا هين والخلاص عنها شديد وقال بعض الحكماء عجبا لمن يعرف الموت
حقا كيف يفرح وعجبا لمن يعرف النار حقا كيف يضحك وعجبا لمن رأى
تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعرف ان القدر حقا
كيف يغضب وقدم على معاوية رجل من نجران عمره مايتا سنة فسأله
عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم
فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا
الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده
او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك فقال لا حاجة لي اليك وقال داود

الطاي يا بن ادم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت
بعملك كان منفعته لغيرك وقال بعض الزهاد من سال من الدنيا فانما
يسال طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شي يسرك
الا وقد الصق به شي يسوك وكلما نتف بعث القدر من الكلام في ذم الدنيا
ففيه كفاية للمقصود ونبينه علا مرادنا والله اعلم بالصواب الباب
الثالث في بيان صفة الدنيا بالامثله وامثلتها مختلفه باختلاف
احوالها وهيلي مانذكره من ذلك امثله عشر المثال الاول
في سرعة زوالها اعلم ان الدنيا مثال الظل سريعة الفنا قريبة
الانقضا تعد بالبقا ثم تخلف بالوفا فانظر اليها فتراها ساكنة
مستقرة وهي سايرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن
الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمين اليها وانما يحس عند
انقضايها ومثالها بالظل فانه متحرك في الحقيقه ساكن في الظاهر
لا يدرك حركته بالبصر الظاهر وانما تدرك بالبصيرة الباطنه
وكان الحسن ابن علي رضي الله عنه يتمثل ويقول يا اهل لذات لا بقا لها
اغترار بظل زايل حمق ولما ذكرت الدنيا للحسن البصري قال احلام
نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع المثال الثاني من جهة
التغرير بخيالاتها فانها خيالات تشبه المنام واضغاث احلام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها مجازون ومعاقبون وعن بعض
الحكما ما شبهت نفسي والدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره

وما يجب تجنبه وعملك كان الذي ينبه كذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
فاذا الدنيا في ايديهم شي مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شي
اشبه بالدنيا قال احلام النايم المثال الثالث في عداوتها لاهلها
اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا
وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى
عليه السلام مثلت له الدنيا فراها في صورة عجوز هتما عليها من كل زينة
فقال كم تزوجت فقالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت
بل كلهم قتلت فقال عيسى صلوات الله عليه بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون
بالماضين وكيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر المثال الرابع
في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السراير
وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها
وكشفوا القناع عن وجهها تمثلت لهم قبايحها فندموا على اتباعهم لها وخجلوا
من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رايت في النوم
عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف
عليها معجبون منها ينظرون اليها فجيت ونظرت اليها وتعجبت من نظرهم
اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ
بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدينار والدرهم
وقال الفضيل ابن عياض قال ابن عباس يوتى بالدنيا يوم القيمه
في صورة عجوز شمطا زرقا انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف
على الخلايق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة

تناجزتم عليها وتقاطعتم الارحام بها و
حتى فيقال هذه هي الدنيا التي تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم بها ثم يقذف بها في جهنم فتنادي يا رب اين
اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها المثال
التاسع في بيان انقطاع الدنيا وزوالها اعلم ان الاحوال ثلاثة حال لم تكن
فيه شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحال لا تكون فيها مشاهدا
للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحال متوسطة بين الابد والازل
وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل
والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل وقال صلى الله عليه وآله
مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت
له شجرة فقام تحتها في ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين
لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة و
رفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة المثال العاشر في لين
موردها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل الدنيا تبدو لينة
لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات
فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب امير
المؤمنين رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا
مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة
ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اشد ما
تكون منها احذر ما تكون فيها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى
سرور اشخصه الى مكروه والسلام ولقد اجاد في كلامه هذا كل الا
جادة واحسن فيه غاية الاحسان في صفة الدنيا وبيان حالها والله

صفاتها

صفاتها المثال السابع في تعذر الخلاص منها بعد الدخول فيها قال الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الماشي
في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في
نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة
فذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها
كما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة
الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا يمنع حلاوة
العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا
يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد
حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن
تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة
تقسو وتغلظ المثال الثامن في بيان مخالفة اخر الدنيا اولها اعلم ان شهوات
+ في القلب لذيذة كشهوة الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات
الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجد للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في
المعدة غايتها وكما ان الطعام الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان
رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى
فعفونتها واكره نتنها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهد فان من
نهبت داره واخذ اهله وولده وماله كانت مصيبته والمه وتفجعه في كل ما
فقد بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى والذ
فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي
عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى
بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير
اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الدنيا ضربت
ما كره الى ما علمت يا رسول الله صلى الله قال فان الله ضرب للدنيا مثلا بما يصير

صح اصل

مثلا لابن ادم بطعامه فانظر ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الا ما ذا يصير
المثال الثاني في اشتغال اهل الدنيا بنعيمها وغفلتهم عن الاخرة اعلم
ان اهل الدنيا في غفلتهم عن الاخرة كمثل قوم ركبوا السفينة فانتهت بهم الى جزيرة
من الارض فامرهم الملاح بالخروج لقضاء حوائجهم وحذرهم من المقام وخوفهم من
مر السفينة فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته ودخل السفينة
فصادف المكان خاليا وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ما فيها من الملاح ثم رجع
الى السفينة فلم يصادف الا مكانا ضيقا وبعضهم اكب في تلك الجزيرة وشغف
بما فيها ونادا الملاح فلم يجبه ثم انه استحسن من احجار تلك الجزيرة فلم
يسعه المكان مع جمله فتارة يضعه في حجره وتارة يضعه فوق راسه
وبعضهم توغل في الجزيرة ونادا الملاح فاجابه بعد توقف فيسقط على الشوك
وبقي في مكان خايف من السباع واللصوص وبعضهم لم يسمع النداء وتخلف عن
السفينة ثم سارت فبعضهم اكلتهم السباع ومنهم من مات جوعا وخنق انفه وشمه
من كراهته الحياة فهذا مثال لجميع اصناف الدنيا واهلها في اشتغالهم بحظوظهم
العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم المثال
الثالث في اغترار الخلق بها حكي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه
انما مثلي ومثلكم كمثل قوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا ما سلكوا
منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة
لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في
حلة يقطر راسه فقالوا له قريب عهد بشريف وما جاءك هذا الا من قريب
فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا فقال على ما انتم قالوا على ما ترا

قال ارايتم

قال ارايتم ان اهديتكم الى ماء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال
عهودكم ومواثيقكم على ذلك فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه ابدا
قال فاوردهم ماء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا لبيك
يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم فقال
اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لا نجده وما نصنع بخير من هذا قال
وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه
شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه
وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا بين قتيل واسير ولله در من صلى الله عليه
وسلم في مثاله هذا لقد طابق ممثوله واوقع الجزاء على المفضل ممن وافقه
على طريقه ومن خالفه فقد غرق وهوى وفقنا الله بطريقه البيان
الرابع في اظهار المواعظ في ذم الدنيا قال بعض الحكماء
ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا
الى الدنيا فانها غدارة غرارة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها و
تزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها
عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلته ومطمئن اليها خذلته فا
نظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بليتها وحبيبها يموت وخيرها يفوت
فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل مدنف
ثقيل فهل على الدواء من دليل والى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى

صح أصل

لم الشقا ثم يقال فلان أوصا وماله احصا ثم يقال فلان قد ثقل لسانه فما يكلم
إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت
نفسك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكا أخوانك
وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق
وختم لسانك فلا تنطق ثم حل بك القضا وانتزعت روحك موالي
عطايه ثم عرج بها الا السما فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك
يك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف
أهلك الا مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعض الحكما لبعض الملوك ان احق الناس
بذم الدنيا وقلاها من بسط الدنيا له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع
آفة تغدو علا ماله فتجتاحه او علا جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من
القواعد او تدب الا جسمه فتسقمه او تفجعه بشي هو ضنين به من احبابه فا
لدنيا هي احق بالذم هي الاخذة ما تعطي والراجعة فيما تهب بينا هي تضحك
صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينما هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي
تبسط كفها بالاعطا اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج علا راس صاحبها اليوم
وتعفره بالتراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب وبقا ما بقي تجد في الباقي من
الذاهب خلفا وترضا بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الا عمر
ابن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامه وانما انزل
آدم اليها عقوبة فاحذرها فان الزاد منها تركها والغنا منها فقرها لها

في كل يوم

في كل يوم قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهي
حتفه فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر علا
شدة الدوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدنيا الغدارة الختالة الخداعة
التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وأملت بآمالها وتشوفت لخطابها
فاصبحت كالعروس المنجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة
والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة وللرشا علا احبابها قابلة
فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله تعالى
عز وجل حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغا و
نسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته
واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته فمن رغب فيها
لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم
علا غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون
لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار
فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا
فيها الى فنا فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع فيها ما ولا وادبر ولا يدري
ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن
آدم فيها علا خطر ان عقل ونظر وهو من النعما علا خطر ومن البلا علا حذر
فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت
النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جا من الله عنها زاجر وفيها واعظ فما لها فما لها

عندهم تعالى قدرة وما نظرت اليها منذ خلقها ولقد عرضت علا نبيك صلى الله عليه واله بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عندهم جناح بعوضة فابا ان يقبلها اذ كره ان يخالف علامه تعالى امره او يحب ما ابغضه خالقه وقد خرج عن ضمان الباب الاول في ذم الدنيا من مقالة المهلكات وهو تعالى الموفق للصواب

الباب الثاني في بيان كسر الشهوتين

البطن والفرج اعلم ان من اعظم الامور المهلكة لابن ادم انما هو شهوة البطن اخرج ادم وحوى من دار القرار الى دار الذل والمهانه والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن علا التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الافات لان شهوة الفرج هي تابعة لشهوة البطن ويتضح مقصودنا من هذا الباب بايضاح فضيلة الجوع ثم ايضا فوايده وايضاح طريق الرياضة في تقليل الطعام ثم ايضاح شهوة الفرج وفوايدها وبيان فضيلة من يخالفها فيه ايضاحات خمس

الايضاح الاول

في بيان فضيلة الجوع وذم الشبع وله جهتان الجهة الاولى الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل ملكوت

السموات والارض

السموات والارض من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل من قل اكله وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال صلى الله عليه واله وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه واله وسلم البسوا الصوف وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال صلى الله عليه واله وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال الرسول صلى الله عليه وسلم افضلكم عندهم اطولكم جوعا وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يجوع من غير عوز اي مختارا له وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله ليباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما من اجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه واله وسلم ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وفي حديث اسامة وحديث ابي هريرة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا هم الاخفيا الاتقيا وروى الحسن البصري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى

صلى الله عليه اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله تعالى وفي التوراة
ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل
وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري
السمين وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه
المومن ياكل معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء والمراد بالمعاء
الشهوة لان الشهوة تقبل الطعام كما يقبل المعاء وروي
عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة
قال بالجوع والظما وروي جحيفه تجشى في مجلس رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا يوم
القيمة اكثرهم شبعا الجملة الثانية الاثار قال عمر اياكم
والبطنة فانها ثقيل في الحياة نتن في الممات وقال سفيان الثوري
العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمن لابنه
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل ابن عياض يا طالب نفسه اي شي تخاف
تخاف الجوع لا تخف ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع [illegible] واصحابه
وقال بعض الزهاد الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليل اجلستني
فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وقال بعضهم عند شدة المرض
والجوع الهي انت ابتليتني بالمرض والجوع وكذا تفعل باوليايك
فباي عمل اوجد

فباي عمل اوجدي تشكر ما انعمت به علي وقال يحيى ابن معاذ جوع الراغبين منبهة
وجوع التايبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة
وجوع الزاهدين حكمة وقال ابو سليمان الداراني لان اترك لقمة من عشاي
احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزاينه لا يعطيه الا
من يحب وقال بعض الزهاد لم يرى الاكياس شيئا افضل من الجوع في الدين والدنيا
وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الاخرة من الاكل وقضاهم لما يصيبه الى
بصاح الثاني في بيان فوايد الجوع وافات الشبع وجملة
ما نشير اليه من فوايده عشرة الفايدة الاولى صفاء القلب واتقاد القر
يحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار
في الدماغ شبه السكر حتى يستولي على معادن الفكر فيثقل القلب بسبب
ذلك عن الجريان في الافكار الفايدة الثانية رقة القلب التي يتهيا بها
لادراك حلاوة المناجاة لله تعالى فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور ا
لقلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا
من قسوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه
بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر في ذلك الفايدة الثالثة
الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان
والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن
لربه وتخشع له وتقف على عجزه وذله والبطر والفرح باب من ابواب النار

وأضيقها الشبع والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأضيقها الجوع ومن أغلق بابا
من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمغرب
والمشرق فالبعد من أحدهما قرب من الآخر. الفائدة الرابعة أن لا ينسى
بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجيعان وينسى الجوع
والموفق العاقل لا يشاهد بلاء إلا وذكر بلاء الآخرة ويتذكر من عطشه عطش
الخلائق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى يجوعون فيطعمون
من الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل. الفائدة الخامسة
كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن
منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات
لا محالة الأطعمة فتقليلها تضعف كل الشهوات وقوة السعادة كلها في أن
يملك الإنسان نفسه والشقاوة في أن تملك الإنسان نفسه وتكون هي
المستولية عليه. الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر
فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وحكي أنه اجتمع رأي
سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر
وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس
مال الإنسان الذي فيه يتجر. الفائدة السابعة تيسير المواظبة
على العبادة فإن كثرة الأكل تمنع كثرة العبادة لأن الأكل يحتاج إلى زمان
يشتغل فيه بالأكل وربما احتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل
اليد والخلال ثم يكثر تردده للخروج إلى بيت الماء وهذه أوقات لو يصرفها إلى
العبادة عوضا عن الأكل المباح وليس لها سبب إلا كثرة الأكل والتوسع في الشبع

الفائدة الثامنة

الفائدة الثامنة صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول
فضلات الأخلاط في المعدة والعروق ثم إن المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب
ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب
وكل ذلك يحتاج إلى مؤن كثيرة وتبعات وفي الجوع ما يمنع من ذلك كله. الفائدة
التاسعة خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر
يسير والذي يتعود الشبع صار بطنه غريما ملازما آخذا بمخنقه كل يوم
فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل الخبيثة فيكتسب من الحرام
فيعصي أو من الحلال فيذل أو يتعب وربما احتاج إلى أن يمد عينه إلى الخلق
بالطمع فيما في أيديهم وهو غاية الذل والمؤمن خفيف المؤنة. الفائدة
العاشرة التمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين
فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما يأكله فخزانته الكنيف
وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى ورحمته فهذه جملة ما يجب ذكره
من فوائد الجوع وأما آفات الشبع فهي نقائض هذه الخصال التي أوردناها
فلا حاجة بنا إلى ذكرها. الإيضاح الثالث في بيان
الرياضة في كسر شهوة الجوع اعلم أن على السالك لطريق الآخرة المأ
خوذ عليه أن لا يأكل إلا حلالا فالعبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحر فإذا
كان مجتزئا على هذه الخصلة فالمتوجه عليه وظائف ثلاثة الوظيفة الأولى في
تقليل الطعام وله درجات خمس الدرجة الأولى أن يرد نفسه إلى قدر ما يقيم
به الروح الذي لا بقاء له دونه وهذا إنما يكون بعد الرياضة الكبيرة وتقليل

الطعام قليلا قليلا لانه لو تركه دفعة واحدة لصعب ذلك وشق الدرجة
الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو
رغيف واحد ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر الدرجة
الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف ويكاد هذا
ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب الدرجة الرابعة ان يرد نفسه
الى مقدار المن وهو زايد على المد ويشبه ان يكون ما وراء هذا اسرافا الد
رجة الخامسة ان لا يكون هناك تقدير وهو ان يكون اكله عند
صدق الجوع ويقبض يده عند الاعند شهوة صادقة والمختار ان يقدر الا
نسان مع نفسه في الاكل الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها وعلى
الجملة فلا يمكن تقدير الطعام لانه يختلف بالاحوال والاشخاص والمقايس والا
وقات الوظيفة الثانية في وقت الاكل وفيه درجات ثلاث
الدرجة الاولى ان يطوي ثلاثة ايام وروي عن بعضهم انتهاها الاربعة ايام
بطول تمامها عن حاجة الاعتدال الماكول وانتهاها بعضهم الاثلاثين وبعضهم الى
اربعين وحكي عن بعضهم انه يطوا خمسين يوما وعن بعضهم ستين يوما وكل ذلك
يكون بطريق الرياضة ويكون في الاوقات المتتابعة الدرجة الثانية
ان يطوا يومين ولياتي ذلك خارجا عن العادة بل ذلك ممكن الدرجة
الثالثة وهي ادناها ان تقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا
هو الاقل وروي ابو سعيد الخدري عن الرسول صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف الصالح

يأكلون في كل يوم

يأكلون في كل يوم مرة اكلة وقال عليه السلام لعايشة اياك والاسراف فان
اكلتين في اليوم من السرف فاذا كان اكلتان في اليوم سرف فالاكلة في اليومين
اقتار والاكلة في كل يوم وسط وهو المحمود في حديث عايشة كان الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم يواصل الى السحر ومن اقتصر على اكلة واحدة فيستحب
ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع
الليل للقيام الوظيفة الثالثة في نوع الطعام واعلى الطعام الخبز
ونهاية الترقية واوسطه الشعير منخولا وادناه شعير من غير نخل
والاعلى ادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه الطبيخ بالدهن من غير
لحم والعادة للسالكين لطريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام والاستمرار
بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان ويأكله فانه يقتضي
بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا لنفسه بلذات الدنيا حتى يالف
ويكره الموت ولقاء الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم وتصير الدنيا محبوبة
للآخرة عنده واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت
الدنيا محبوبة عنده واشتهى الانقلاب الى الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت اجسامهم عليه وانما همتهم الوان الطعام
وانواع اللباس واوخام الاصوات الا ان سالك فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات
الايضاح الرابع في بيان شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان
لفايدتين الاولى منهما بقاء النسل ودوام وجود العالم الثانية ان يقيس بها

لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجسام فهي آفات النفا
يدنات في شهوة الفرج ولكن في لذة الفرج من الآفة ما يهلك الدين والدنيا
لم تضبط وتقهر ولم ترد الا حال حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل هو الشبق الشهوة للنكاح وسادن رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم نعوذ بالله من شر سمعه وبصره وقلبه ومنيه وقال النساء حبائل الشيطان
ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان الشيطان
قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع
سري ورسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوات والنصف الاخر هو الغضب
ان هذه الشهوة لها افراط وتفريط واعتدال فهذه ثلاث حالات الحالة الاولى الا
فراط وهو كلما يقهر العقل ويخرجه عن حد الاستقامة حتى يصرف همته الى
الاوطي النساء والجواري فيشغله ذلك عن سلوك طريق الاخرة وعن العبادة وربما
اليه في حتى يمر ذلك الاقتحام الفواحش وملابسة المحظورات وقد ينتهي افراطها الى ان اقدم
الامر الى ينسقي احدهما ادويه ويقوي المقوية للشهوة الطعام وما مثل ذلك
الاكثر على يلي شياه صاربة فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال في اثارتها و
تهيجها ثم تشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق
ام من ريب الانسان الخلاص منه فليطلب سبب الخلاص من ثانيهما انه
قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل في

والمرتبة الثالثة

افراط المحبة بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة الحد في البهيمية لحد البهائم لان العاشق
ليس يقنع بان اقت شهوة الوقاع التي هي اقبح الشهوات حتى اعتقب
ان شهوته لا تقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة كيف ما اتفق
فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد ذلا الى ذل
وعبودية الى عبودية وحتى يكون العقل موظفا بقدم الشهوة
وقد خلق الانسان لا يكون مطاعا ولا يكون خادمها مقا والعشق هو
المحبة المفرطة وهو مرض القلب الفارغ الذي لا همه له ولا هو مشغول
الا بمعشوقه وعلاجه انما يكون في اوائله بترك المعاودة للفكر
والنظر فاما بعد استحكامه فانه يعسر دفعه **الحالة الثانية**
التفريط وهذا انما يكون بالضعف والعجز بالفتنة عن امتاع المنكوحة
وهذا ايضا مذموم في الرجال لان فيه انقطاع النسل وعلاج ما كان قبل يمكن
دواه وقد يكون خلقه لا يمكن دواه ولم نذكر علاجا بالضعف والعجز وانما
الكثر ناس يتداوى الزيادة الجماع وقوته **سؤال فان قيل** فكيف تكلمن
من علاج قوة الجماع وقد روي ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم شكا الى
جبرئيل ضعفه عن الجماع فامره باكل الهريسة **وجوابه** انه صلى الله عليه
واله وسلم كان تحته تسع نسوة الواجب عليه تحصينهن بالوطي وحرم
على غيره نكاحهن فكان طلبه للقوة لهذا المعنى لاجل التنعم **الحالة الثالثة**

الاعتدال في الطبع وهو محمود ولما كانت مطيقة للعقل والشرع في انبساطها
وانقباضها كان ذلك معاونا لقانون الشرع وحكمه ومتى افرطت
وكسرها ما يكون بالجوع والنكاح ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم معاشر
الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

الايضاح الخامس في بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج

واعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند
الهيجان على العقل لان مقتضاها قبيح ليستحيا منه ويخشى
اقتحامه وامتناع اكثر الناس من مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء
او محافظة على حشمته وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ
من حظوظ النفس على اخرى نعم من العصمة ان لا يقدر ففي العوائق
فائدة وهي دفع الاثام فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي
سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى
مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق
الشهوة وهذه هي درجة الصديقين ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم
من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة
يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات
حسن وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة
يوسف صلى الله عليه وآله وسلم وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها

معروفة وقد اثنى الله عليه بذلك في كتابه الكريم وهو امام لكل من وفق لمجاهدة
الشيطان في غلبة هذه الشهوة العظيمة فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه
الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من شهوة العين فان النظر بداية الزنا
فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم
الخوف فيه والا فان كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم يقصد لا يؤاخذ
بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وآله وسلم الاولى لك وعليك
الثانية يعني النظر وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء
المرأة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان في تردداته
عن وقوع النظر على النساء والصبيان ومهما تخيل اليه الحسن تقاضا
الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة
عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول
ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتألم لانه قصد التلذذ فقد
فعل ما آلمه فقد والذي يتعلق بقدرته ان لا يحله في كل حالاته عن المعصية
وعن ألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذه الطريقة اندفع عن قلبه كثير
من الآفات وان اخطأ في عينه وحفظ فرجه مع التمكن فذلك يستدعي
غاية القوة ونهاية التوفيق

الباب الثالث في بيان آفات اللسان

اعلم ان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه
الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين

الكفر والايمان الا شهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه
ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون
او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي اما بحق
او باطل وهذه خاصة لا توجد في سائر الاعضاء فان العين
لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد
لا تصل الى غير الاجسام فاما اللسان فهو رحب الميدان ليس له مرد
ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب
فمن اطلق اللسان سلك به الشيطان في كل ميدان ونحن بتوفيق
الله تعالى نذكر فضيلة الصمت اولا ثم نذكر الافات المتعلقة باللسان
فهنا مطلبان **المطلب الاول في بيان فضيلة الصمت ويحصل**
ذلك من جهتين الجهة الاولى من جهة الاخبار اعلم
ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلهذا امدح الشرع
الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا وقال ايضا
الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وروي عن سفيان
قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك
قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال
عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك
وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

من يتوكل لي

من يتوكل لي بما بين لحييه وما بين رجليه اتوكل له بالجنة وقال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي
والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات
الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولهذا اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما
فرغنا من ذكر الشهوتين البطن والفرج وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله تعالى وحسن الخلق وسئل عن اكثر
ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج والفم يحتمل ان يكون
المراد به اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد به البطن لانه
منفذه وقال معاذ بن جبل يا رسول الله انؤاخذ بما نتكلم فقال ثكلتك
امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد
السنتهم وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستقيم
ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
ولا يدخل الجنة رجل حتى يامن جاره بوائقه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد ابن جبير مرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تذكر
اللسان بان تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا وعن ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شيء
من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود ~~قيل يا ابا عبد~~
انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم

قيل يا ابا عبد الرحمن

عن ذا شيئة تعقله او شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال بل سمعت
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول اكثر الخطايا من ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كف لسانه ستر الله عورته
ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي
ان معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله اوصني فقال اعبد الله كانك
تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا
كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان ابن سليم قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت
وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وعن الرسول صلى الله عليه واله
وسلم انه قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقيل للنبي
صلوات الله عليه دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطق ابدا قالوا
لا نستطيع ذلك قال فلا تنطق الا بخير وقال سليمان ابن داود عليه
السلام اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ فيما يقول وقال صلى الله عليه واله وسلم
اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن
مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم
وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب

الذي يخوض في الباطل

الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان لسان المومن من وراء قلبه
فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان
المنافق امام قلبه فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه
الجهة الاثار كان ابو بكر يضع حجرا في لسانه يمنعه من الكلام
وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود
والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال
طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب ابن منبه في حكم
ال داود حقا على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه
مقبلا على شانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر ابن عبد العزيز اما بعد
فانه من اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه
من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع خصلتين للرجل
السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد ابن واسع لمالك ابن دينار يا ابا
يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس
ابن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك
يكون في ساير عمله وقال الحسن تكلموا عند معاوية والاحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت
وقال ابو بكر ابن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين
وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال
الاخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني

وقال الثالث ... عجبت

وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت اليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم
تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل أقدر مني على رد ما قلت فان
قال قايل فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه قلت
ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والريا
والنفاق والفحش والمراء وايذاء الخلق والتشدق بالكلام وغيرها فهذه آفات
كثيرة وهي سابقة الى اللسان ولا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب
وعليها بواعث من الشيطان الا من وفقه الله تعالى وعلم منه صدق
نيته فاعانه على امره وقيل ان المنصف من المقتصر لم يتكلم بقبيح
للقضى الاخرة ان يبقى سنة والربيع ابن خيثم ما تكلم بكلام
الدنيا عشرين سنة المطلب الثالث في بيان آفات
اللسان وفي تفردها واحدة واحدة وتبيانها بالاجمال فالاهم من خطايا
ربها ومن الموفق للصواب الآفة الاولى الغيبة والنظر فيها طويل
لاشتمالها على تفاصيل وجزئيات وهي مشتمله على تنبيهات
التنبيه الاول في بيان معناها واعلم ان حد الغيبة
هو ان تذكر اخاك بما يكره لو بلغه سوا كان نقصا في بدنه او نسبه
او في خلقه او في فعله او قوله او دينه وحتى في ثوبه وداره ودابته
فاما البدن فكان تقول انه اعمش او اعمى او احول او اعور وكذا
القصر والطول والسواد والصفرة والحمرة وجميع ما يتصور انه يكرهه

واما النسب

فكان تقول ان اباه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف
او شيء مما يكرهه واما الخلق فكان تقول انه بخيل او سيء الخلق
او مرائي او شديد الغضب او جبان او عاجز او ضعيف القلب
واما الفعل فكان تقول انه سارق او كذاب او شارب الخمر او
خاين او ظالم او متهاون بالصلاة او لا يحسن الصلاة في ركوعها
وسجودها ولا يضع الصلاة في مواضعها ولا يحترس من صومه عن الرفث
والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فهو فكان قليل
الادب يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا ويرى لنفسه حقا وانه كثير
الكلام كثير الاكل وانه نوام ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه
واما ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وهل تجوز
غيبة الفاسق ام لا فيه تردد فقال قوم تجوز
لقوله صلى الله عليه واله وسلم اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس وقال
اخرون لا تجوز غيبته هذا وهو المختار لان الاجماع منعقد من جهة
الامة على ان كل من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب له ويؤيده ما روي
ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم هل تدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره قيل أرايت ان كان
في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد

بهتهم وعن الحسن البصري انه قال ذكر الغير ثلاثة اقسام الغيبة والبهتان
والافك وكلها في كتاب الله الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول
ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك **التنبيه الثاني**
في ذم الغيبة وظهور ذلك من جهات ثلاث **الجهة**
الاولى من كتاب الله تعالى قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقد نبه رحمه الله تعالى في الاية على
حكم وهات ثلاثة النهي بقوله ولا يغتب بعضكم بعضا وتشبيهه
باكل اللحم الميت وما هاذا حاله من هو اخبث الماكولات ومنها الكراهة
بقوله تعالى فكرهتموه **الجهة الثانية** من جهة الاخبار
وقد روى ابو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكونوا عباد الله اخوانا وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب
الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو صاحبه وقال انس ابن مالك
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة
اسري بي وهم يخمشون وجوههم باظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم
ابن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني

الله به قال الاقرع

الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي
وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاسمع العواتق ومن المراة المورثة
الا ان ينادي في بيعه فقال يا معشر المسلمين من آمن بلسانه ولم يومن
بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه
تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه الله في جوف بيته واوحى
الله الى موسى انه من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا
عليها فهو اول من يدخل النار **الجهة الثالثة**
الاثار قال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة
فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمز
الطعان في الناس واللمز الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا
عذاب القبر انه يكون من ثلاث اثلاثا ثلث من الغيبة وثلث من النميمة
وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في
جسمه وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصلاة ولا
في الصوم ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر
عيوب الناس فاذكر عيوب نفسك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذا في عين
صاحبه ولا يبصر الجذع في عينه وكان الحسن رضي الله عنه يقول يا ابن ادم
انك لا تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ
باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك

في خاصة نفسك واجب الصيانة الا عمن كان كذلك او يشنع على المسلمين
من صلى ثم غيبه رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب
النار وقال عمر عليكم بذكر الله فانه دواء واياكم وذكر الناس فانه

جـ ٣ السبب الثالث في بيان الاسباب الباعثة

على الغيبة اعلم ان الاسباب الباعثة على الغيبة هي كثيرة لكن الناس كثيرا وشغفهم بها وجمعتها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين فاما الثمانية

فالاول منها تشفي الغيظ وذلك انه اذا اجرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى منه بذكر مساويه من كان الغضب من جهته وكذلك اجال الحقد اذا كان كثير الغضب فانه يبقى ذكره بالنقص فصار الحقد والغضب باعثين على نقصه وذكر عيبه

الثاني الاستشعار وهو ان يستشعر من انسان بانه سيقصده بالمضرة ويطول لسانه فيه ويقبح حاله عند الرؤساء والاكابر ويشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ذلك بما يطعن في عرضه واسقاط شهادته او يبتدئ بذكر ما فيه صادقا عليه ليكذب عليه فيروج كذبه بالصدق الاول

الثالث موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الاعراض فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر اعراض الناس فيرى انه لو انكر عليهم اقطع المجلس واستثقلوه ونفروا فيساعدهم على ذلك ويرى ذلك من حسن المعاشرة الرابع

ان ينسب الى

ان ينسب الاشي فيريد ان يتبرا منه بذكر الذي كان فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه الخامس التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه ويحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه من اجل ذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا الى زوالها الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه واعظامه السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب والمحور والمزاح المفرط وهذا غالب على كل من ترك همته وركت حالته وصار مضحكة الناس الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا للمستهزأ به واستصغارا فهذه هي الاسباب العامة في الخلق واما الاسباب الثلاثة الخاصة لاهل الدين فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات فالاول منها اظهار التعجب وهو ان يقول الرجل من يتمسك بالدين ويظهر التعجب من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل وذكر المتعجب منه فسهل الشيطان ذكر اسمه في معرض التعجب فيصير به مغتابا من حيث لا يدري الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به

فلان فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في
اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون

الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه
انسان إذا رآه وسمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب
أن يظهر غضبه ولا يظهر اسمه ولا يذكره بالسوء فذكره باسمه يكون
غيبة فهذه الأمور الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام
والاحتراز عن هذه الأمور أصعب للمرء

التنبيه الرابع في بيان العلاج الذي يمنع الإنسان عن الغيبة

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل
وإنما علاج كل شيء بما يضاده ويباينه وعلاج الغيبة ينتهج
فيه منهجين اجمالي وتفصيلي

المنهج الأول ما يكون علاجه الاجمال وهو أن يعلم العبد تعرضه لسخط الله تعالى ولائمته بما رويناه
من هذه الأخبار وهو أن يعلم أنها تحبط حسناته فإنها تنقل يوم القيامة
حسناته إلى من اغتابه عوضاً عما استباحه من عرضه وهو مع ذلك متعرض
لمقته وشبه عنده بمن يأكل الميتة وينقص الثواب والأجر ولا يبعد أن يكون
فيستحق عنده تعالى ما ورد فيه من الوعيدات الشرعية وفي الحديث عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد فمهما آمن

العبد بما ورد

من القلب بما وردت به الأخبار لم ينطق لسانه بالغيبة خوفاً من ذلك و
ينفعه أيضاً أن ينظر في نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه
وذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما
وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويلوم غيره وإن لم يجد
في نفسه عيباً فليشكر الله تعالى على ذلك ولا يلوث نفسه بأعظم الذنوب
فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم الذنوب وأكبر العيوب وإن كان
لا يرضى أن أحداً يغتابه فينبغي أن لا يغتابه لأخيه خلق الله تعالى
فهذا علاج علاجه الجملي

المنهج الثاني ما يكون علاجه التفصيل
فطريقه أن ينظر في الأسباب الباعثة التي قد مر ذكرها متفرعاً
واحداً واحداً ويسعى في إبطالها كالغضب والحقد والحسد والاستهزاء
لتعجب وتشفي الصدر وغير ذلك من الأسباب المرئية للغيبة كما سيأتي شرح
هذه العلاجات فيما بعد بعون الله تعالى

تنبيه اعلم أن الغيبة كما تكون
باللسان وهو الأكثر الجاري المتعارف قد يكون أيضاً بالقلب وهو حرام أيضاً
كتحريم الغيبة باللسان فإنه كما حرم عليك أن تحدث الغير بمساوي الناس
فإنه يحرم عليك أن تحدث نفسك بها وتسيء الظن بأخيك ولسنا نعني
به تلك الخواطر التي تكون في القلوب والوساوس التي في الصدور ~~ونحوها~~ وميلها
وإنما نعني تحركات الظنون والإرادات والعزوم والأعمال الحاصلة في القلوب

فان الانسان مؤاخذ بذلك كما قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم
فاما الخواطر والوساوس فان الله تعالى يعفو عنها ومن ثمرات سوء الظن التجسس
فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي
عنه وقد قال تعالى ولا تجسسوا فالغيبة والتجسس وسوء الظن منهي عنها كلها
ومعنى التجسس الا يترك عباد الله تعالى تحت ستر الله بل يتوصل الى الاطلاع
وهتك الستر حتى ينكشف له ما ورآه ولو تركه على حاله لكان اسلم لقلبك
ولدينك فقد انكشف لك بما ذكرنا كيفية العلاج لهذه الآفات العظيمة التي
كثرت بها البلوى وعظم ضررها على الخلق وصارت عادة يفتتح بها الاكثر الا من
وفقه الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف
غيظه وقال وعظمه ومن اعظم البواعث عليها تشفي الغيظ بالمغتاب فتفضل الجزاء
على هتك عرضه من اجل ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ~~من اتقى ربه~~ ان لجهنم
بابا لا يدخله الا من اشفى غيظه بمعصية الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظه وهو
يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من اي الحور شاء

التنبيه الخامس في بيان الاعذار المرخصة في الغيبة اعلم
ان الرخصة في ذكر مساوي الغير وهو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به
فيدفع ذلك اثم الغيبة وقبحها وجملتها ستة **الصدر الاول**
التظلم فان كل من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا الا

قاضيا اما المظلوم

قاضيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى الامام وينسبه الى الظلم
ولا حرج عليه في ذلك اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذلك وقد قال صلى
الله عليه وآله وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال في الواجد مطل يحل عرضه
وعقوبته **الصدر الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر
ورد العاصي الى منهج الصواب والصلاح كما روي ان عمر بلغه
ان ابا جندل قد داوم على الخمر فلا يفارقها فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم
**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل
التوب الاية** ولم ير عمر ان ذلك غيبة فيمن قال وكذلك **الصدر الثالث**
الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف
طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه
ابوه او اخوه او زوجته ويجوز التصريح لما روي عن هند انها قالت
للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله ان ابا سفيان رجل شحيح لا
يعطيني ما يكفيني انا وولدي أفآخذ من غير علمه قال خذي
ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم ولم يزجرها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك **الصدر الرابع** تحذير المسلمين عن الشر
فاذا رأيت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى
اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف

العذر الخامس ان يكون الا

علا شناية البدعه والفسق اليه (واهل)

انسان معروف باسم يكشف عن عيبته كالاعرج والاعمش فلا اثم علا

من يقول ذلك وروي ابو زياد عن الاعرج وروي سليمان

عن الاعمش وما يجري مجراه فقد نقل العلما ذلك لضرورة التعريف

لانه صار بحيث لا يكرهه صاحبه ولو وجد منه وجه عن ذكره لكا

كان افضل واولى العذر السادس ان يكون مجاهرا بالفسق

كالمجاهر بالزنا وشرب المسكر والقتل بغير حق وكان متظاهرا به لا يستنكف

ان يذكر به ولا يكره ذلك فاذا ذكرته بما يتظاهر به ولا اثم هنالك

علا الذاكر وقال صلى الله عليه واله وسلم من القا جلباب الحيا عن وجهه

فلا غيبه له وقال عمر ليس لفاجر حرمه وقال صلى الله عليه واله وسلم من تعزا

بعزاء الجاهليه فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا فاما اذا لم يكن متظاهرا

به فذكره يكون غيبه محرمه قال عوف دخلت علا ابن سيرين فتناولت

الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من

الحجاج للذين ظلمهم فهذه المعاذير المرخصه لذكر النقايص التنبيه

السادس في بيان كفارة الغيبه لمن فعلها اعلم

ان الواجب علا المغتاب لاجل فعله ليخرج عن مظلمته وينبغي ان يطلب الحل

وهو حزين كئيب متاسف نادم علا ما فعله وحكي عن الحسن البصري

يكفيه الاستغفار

يكفيه الاستغفار دون الاستحلال محتجا بما رواه عن الرسول صلى الله عليه

واله وسلم انه قال كفارة من اغتبت ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة

اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وعن عطا انه قال تمشي

الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت

بحقك وان شئت عفوت وهذا هو المختار وقول القايل العرض لا عوض

له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد

القذف وتثبت المطالبه به وفي الحديث عن الرسول صلى

الله عليه واله وسلم انه قال من كانت لاخيه مظلمه في عرض او مال فليتحللها

منه قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم وهل يجب التحليل والاعلام

بالغيبه ام لا فيه تردد والاقرب انه غير واجب ولكنه مستحب والافضل

للمعتذر ان يبالغ في الثنا والاعتذار والتودد ويلازم علا ذلك حتا

يطيب نفسه وكان بعض السلف لا يحلل وقال سعيد بن المسيب لا احلل

من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فكيف احلله ان الله حرم الغيبه

عليه فما كنت احل ما حرم الله وقد فرغنا مما اردناه من الغيبه والله

الموفق للصواب الافه الثانيه النميمه وهي من جملة الافات

المتعلقه باللسان ويتحقق مقصودنا بذكر تنبيهات ثلاثه نوضحها

بمشية الله تعالى التنبيه الاول في بيان معناها وحدها

اعلم ان اسم النميمه يطلق في الاكثر علا من ينم قول الغير الى المقول فيه

كما يقال فلان ان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس النميمة مخصوصة بالقول بل معناه وحدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول اليه والمنقول عنه او كرهه ثالث وسوا كان النقل بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسوا كان المنقول من الاقوال او من الاعمال وسوا كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه ام لم يكن بل حقيقة النميمة افشا السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان ورآه من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ان يكون في حكايته فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رآ من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره وافشاه فهو نميمة وافشا السر فان كان ما ينم به نقصانا او عيبا في المحكي عنه كان قد جمع الغيبة والنميمة **والباعث** على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له والتفرج بالحديث او الخوض في الفضول الاباطيل ذلك من البواعث فهنا شرح فايدتها وصفاتها ومن اعلم

التنبيه الثاني في بيان ذم النميمة والتحذير عنها ويظهر ذلك من جهتين نذكرها **الجهة الاول** من جهة الكتاب وقد قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم الى قوله زنيم قال عبد الله ابن المبارك هو ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشي بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل

اللهمز هو النمام

الهمز هو النمام وقال تعالى حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد قيل كانت حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر قومها بالضيفان وكانت امرأة نوح تخبر بانه مجنون وغير ذلك

الجهة الثانية الاخبار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم فقالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل شاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر

وهو الذي يحصل علانيته ولا الذطي

علا الزنا ولا قتات وهو نمام ولا جيوث ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يجعل علا

وهو صاحب المكس اشكى الجبايه ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يجعل علا الاخبار اصاب

عنهم ان لم تفعل كذا وكذا انه لم يفز به وروى كعب الاحبار اصاب

بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا

استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمه فقال يا رب من هو حتى

اخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمه واكون نماما فتابوا باجمعهم

فسقوا ويقال انه اتبع رجل حكيما سبعمائه فرسخ في سبع كلمات فلما

قدم عليه قال اني جيتك للذي آتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها

وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسا منها وعن النار وما احر منها

وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنا منه وعن اليتيم وما اذل منه

فقال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب

القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجه الا القريب اذا

لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسا من الحجر والنمام اذا بان امره

اذل من اليتيم **التنبيه الثالث في بيان ما ينبغي لمن يفعلته ا**

لنميمه ان يفعله اعلم ان كل من حملت اليه النميمه وقيل له ان فلانا

قال فيك كذا او كذا او فعل فيك كذا او كذا او هو يريد فساد امرك او في ممالاة

عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجرا ذلك فعليه من الاداب ستة

الامر الاول ان يصدقه فيما قاله لان النمام فاسق وهو مردود

الشهاده

وهو مردود الشهاده قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ

فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة وروي عن عمر ابن عبد العزيز انه د

خل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال ان شئت نظرنا في امرك

فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الايه ان جاءكم فاسق بنبأ وان

كنت صادقا فانت من اهل هذه الايه هماز مشاء بنميم وان شئت

عفونا عنك فقال العفو يا امير المومنين لا اعود الامثله ابدا **الامر**

الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح اليه فعله قال تعالى وامر

بالمعروف وانه عن المنكر وحكي ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه

واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزياره واتيتني بثلاث

جنايات تبغض الاخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك

الامينه وحكي ان سليمان ابن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه

رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال

الرجل ما فعلت ولا قلت فقال ان الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري

لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام **الادب**

الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى فيجب بغض

من يبغضه الله تعالى وحكي عن امير المومنين كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى

برجل فقال يا هذا انا نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت

كاذبا عاقبناك وان شئت نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المومنين

وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له قال كثرة الكلام وإفشاء
السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أمير البصرة إن
فلانا أعلم الأمير أن ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني ما قال
حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي
أني لم أصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت السعاية
عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل أحد من الناس
إلا منهم **الأدب الرابع** أن تبغضه في الله فإنه بغيض
عند الله ويجب بغض من يبغضه الله واعلم أن النمام ينبغي أن يبغض
فلا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة
والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة
وهو ممن قد سعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى إنما السبيل على
الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق والنمام منهم وقال
صلى الله عليه وسلم إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه
وهؤلاء بوجه والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم إن من شر الناس من
اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
قاطع قيل هو قاطع الرحم وقيل هو القاطع لوصلة بين الناس وهو النمام
الأدب الخامس أن لا تحملك ما حكي لك على التجسس والبحث
لتحقق ذلك لقوله تعالى ولا تجسسوا وحكي عن مصعب بن الزبير نحن نرى
قبول السعاية شرا من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول

إجازة

إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي
فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر
العورة والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت
سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس لغير رشده
يعني ليس ولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذن
في الكلام فقال إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب
إن قبلته فقال له قل فقال إنه قد اكتنفك أقوام واكتنفك رجال ابتاعوا
دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا
تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ إليهم فيما استحفظك الله فإنهم لن يألوا
الأمة خسفا والأمانة تضييعا والأعراض تمزيقا والحرمات انتهاكا أعلى مراتبهم
البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤول عما اجترحوا
وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك وإن أعظم
الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره **الأدب السادس**
أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان هكذا
وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد أتيت بما عنه نهيت وحكي أن
رجلا سعى بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما سليمان للموا
فقة فقال له زياد إن كنت قد قلت ما قيل فقد ائتمنتك عليه فأنت
خائن وإن كنت لم أقله فأنت كاذب فأنت غير منفك عن الخيانة والكذب
وقال رجل لعمرو بن عبيد إن الأسواري لا يزال يذكرك في قصصه بشر

فقال له عمر وما رغبت حتى جالسته الرجل حيث نقلت اليّ احب بنته ولا
ادبت حتى حيث ابلغتني عن اخي وكلنا ابلغه ان الموت يجمعنا والقيمة
تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض الشعراء الى الصاحب
ابن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فكتب
على ظهر الرقعة السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله تعالى وا
ليتيم جبره الله تعالى والمال ثمره الله تعالى والساعي لعنه الله تعالى وقال الحكيم
الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط
خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك
وصل اقاربك وامنعهم من قبول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويريد
خداعك ولكن اخوانك من اذا فارقتهم لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم
النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم
لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى
بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم فينبغي ان يتوقى
بالصبر والاحتمال والتصبر **الآفة الثالثة** الكذب في القول
واليمين ولا شك ان الكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وقبحه
ظاهر وانه من جهات ثلاث **الجهة الاولى** الكتاب قوله تعالى في
كتابه الكريم قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وقال تعالى ومن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين وقال تعالى الا لعنة الله على الكاذبين وقال تعالى ويل يومئذ
للمكذبين

للمكذبين وقد كرر في سورة المرسلات مرارا كثيرة والتكذيب هو قولك
للغير انه هو كاذب وهو كذب لا محالة وقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقبحه
معلوم من جهة العقل والشرع خلافا للاشعرية حيث قالوا ان قبحه لا يعلم
بالعقل وبنوا هذا على مذهبهم الردي وهو بطلان الاحكام العقلية
وقد عرفت ان قبحه انما هو من جهة الشرع لا غير **الجهة الثانية**
الاخبار روي على ابي بكر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اياكم والكذب
فانه مع الفجور وهما في النار وروى ابو امامة عن الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم انه قال الكذب باب من ابواب النفاق وقال صلى الله عليه وآله وسلم
كبرت خيانة ان تحدث اخاك بحديث هو لك مصدق فانت له كاذب وقال ابن
مسعود رضي الله عنه لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب
عند الله كذابا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجلين وهما يتبايعان
شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله
لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما
لا اثم على الخيار في الروح فتلوت ماهنا بحم للحما لهم بالاثم والكفارة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان التجار
هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس قد احل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيا
ثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله
تعالى يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر

والمتبل راتب وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل
جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى
يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل كان جار سوء يؤذيه فصبر على
اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان معه قوم في سفر او سرية
فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا على الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى
يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشناهم الله التاجر الحلاف والفقير المختال
والبخيل المنان وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به
القوم ويل له ثم ويل له وعن عبد الله ابن جراد انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا رسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن
قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين
لا يؤمنون وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه اللهم طهر قلبي
من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حلف
على يمين باثمة ليقتطع بها مال امرء مسلم بغير حق لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وقال
صلى الله عليه وآله وسلم على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال
موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر
قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم
العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احدا يلفى

نفسه ليكذب

٦٠

نفسه ليكذب وقال عليه السلام ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد عنه
الملك مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
تقبلوا لي ستا اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم
فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اؤتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم
وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان
كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب
واما كحله فالنوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر فهذه
كلها اخبار دالة على قبح الكذب ودخله وحصول الوعيد عليه والله اعلم
الجهة الثالثة الاثار قال امير المؤمنين كرم الله وجهه اعظم
الخطايا عند الله اللسان الكذاب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال
عمر ابن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه
احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا
فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن بعض اهل
الصلاح قال اجلست اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب
وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي

ما ادري ايتهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني
اوجر على ترك الكذب لاني ما اتركه انفة وقيل لبعض الشعراء من يكذب
كذبة واحدة هل يسمى كاذبا قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض
الكتب ما من خطيب يخطب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق
وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضت انبتتا وقال مالك
بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه
وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان
الكذب يشين صاحبه

تنبيه يذكر فيه الحذر من الكذب بالمعاريض

اعلم انه قد نقل عن السلف ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي
ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان
الى الكذب فاما اذا لم يكن هناك حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض لما فيه
من الايهام الكذب ولكن التعريض يباح لاجل الحاجة والضرورة ومثال المعاريض
ما روي ان معاذا عامل عمر انتهى عمله فلما رجع قالت امراته ما جئت
به مما ياتي به العمال الى اهليهم وما كان قد جاء بشيء فقال قد كان الضاغط
الرقيب على القوم يقال ان ثم ضاغطا على القوم اي رقيبا عليهم ينقص الخلع
ضاغطا قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابي بكر فبعث
عمر ودك ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر

ذلك دعا معاذا

ذلك دعا معاذا وقال له ابعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك
فضحك عمر واعطاه شيئا فقال له ارضها به وكان النخعي لا يقول لا
بنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما
لا يتفق وكان ابراهيم النخعي اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي
اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هاهنا لئلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب
في البيت وهو يكرهه خط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس
هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا
تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة نعم
انما يباح للاغراض الخفيفة لتطييب قلب الغير بالمزاح كما نقل عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يدخل الجنة عجوز وقال زوجك الذي في عينيه
بياض وقال احملك على ولد البعير وغير ذلك على جهة المطايبة وتفريح النفس

فاما الكذب الصراح فهو حرام ولا يستثنى منه
الا ما رواه ام كلثوم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا يرخص في الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح
والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت
اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل
كذب ليصلح بين ~~الناس~~ اثنين وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يصلح بين الناس

بأنا كنا هل اصطلح بين الناس ولم يعنه بالكذب فهذه آفة الكذب فيما وضعناها
ما فيها وهم أعلم **الآفة الرابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان
وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فإنه
لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم وقال صلى
الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال
صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم
يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل
والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على
ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها
كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل
سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق والبيان يحتمل
كشف ما لا يجوز كشفه إما في القول وإما في العورة لأن في الأمور ما لا ينبغي التصريح به لأنه
يناقض المروءة وقال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق وقال
الرسول صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما
أحسنهم أخلاقا واعلم أن حد الفحش والتفحش الذي أراد الرسول صلى الله عليه
وسلم بما ذكرناه من الوجه عليه وهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة
ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وما يتعلق بها وإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة
يستعملونها

يستعملونها ويفصحون بها في الأدب به وبمجالس الناس ولا يكون ذلك إلا فيمن اختص
بالوقاحة وغلظ الوجه وعدم المبالاة بالدين فأما أهل الصلاح فإنهم يتحاشون
عن التلفظ بها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يتعلق بها
ويقال بها قال ابن عباس رضي الله عنه إن الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن
الجماع والمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الجماع وليست بفاحشة
وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير وهذه
العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد
وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية عن
قضاء الحاجة بأن يقال خرجت البرا ولا يقال خرجت للبول والتغوط والخراءة فإن
هذا وما شاكله مما يستحيي منه ولا ينبغي أن تذكر ألفاظه الصريحة فإنها
فحش فلهذا فإنه يتحشى في الفاحشة الكناية عن النساء فلا يقال زوجتك ولا امرأتك
ولكن يقال أهل ولدي وأهل بيتك وأهل الدار وأهل الستر وأهل الحجرة وهكذا أهل
العاهات فإنه يستحيي عن ذكرها فلا ينبغي أن يفصح بها إلا أن التصريح بها
يكون من الفحش أيضا فلا يقال لمن به برص وهو أبرص وبه وجع البواسير ولكن
يقال في بدنه نفث المذموم وفي بدنه تلك الأبرص وجالسه تصفحه لمن به
وجع البواسير وحكي أن عمر ابن عبد العزيز كان يتحفظ في منطقه فخرج به خراج
في إبطه فقلنا ماذا يقول فقلنا له من أين خرج قال من باطن اليد **الآفة
الخامسة** الاستهزاء والسخرية وهما حرامان مهما كان يؤذي

الا اذا به قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة
والاستهزاء والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد
يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء اذا
كان ذلك بحضرة المستهزئ به لم يسم ذلك غيبة وقال ابن عباس رضي الله عنه
في قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة
التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان
الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس فوعظهم مما يخرج من الانسان من جرم من الصوت
علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المستهزئين بالناس
يفتح لاحدهم باب الى الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق
دونه ثم يفتح باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه
فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فما ياتيه بعد ان يقول له هلم هلم باسا
منه وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه
لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى الاستحقار بالغير والضحك منه
استهانة به واستصغارا له وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه
مسخرة فربما يفرح بالمسخرة وانما المحرم الاستصغار الذي يتأذى به المستهزأ به

لما فيه

٦٣

لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا تخبط
ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه او على
صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب
والضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها المذمومة من امثالها والعلم

الآفة السادسة من المراء والمجادلة بالباطل

وفيه تنبيهات اربعة **التنبيه الاول** في ذمه وهو منهي
عنه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته
من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى
الله له بيتا في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة
الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدال وحرموا العمل وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا
يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال عليه السلام ست من
كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل
الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك
المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن
عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر
التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها
يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدل وقال

وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال ايضا المراء يقسي
القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك
وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت
خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقلت حلوة وقال حامضة
لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك
بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما
ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفاك اثما ان لا تزال مماريا
وقال عمر لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث فلا تتعلمه لتماري به
ولتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى
بالجهل منه وقال عيسى صلوات الله عليه من كثر كذبه ذهب بهاؤه ومن لاحى
الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه
وقيل لميمون بن مهران ما لك لا يفارقك اخ لك فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه

التنبيه الثاني في بيان حد المراء وانما اخرنا الكلام في ماهيته
لان ذمه اجمل في المقصد فيه انما هو كل اعتراض على الكلام الغير باظهار
خلل فيه اما في اللفظ او في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء انما يكون بترك
الاعتراض والانكار وكل كلام سمعته الناس فان كان حقا فصدق وان كان باطلا
ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون
في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة العربية او من جهة النظم

والترتيب

والترتيب فسوء التقديم والتأخير وذلك من طريق علوم المعاني والبيان وتارة يكون
من جهة قصور المعرفة ويكون تارة من جهة الطغيان الجاري على اللسان وكيفما
كان فلا وجه لاظهار خلله واما من جهة المعنى كأن يقول ليس الامر كما
تقول وقد اخطأت فيه من جهة كذا وكذا واما من جهة قصده فكأن يقول
هذا الكلام حق ولكن لم يرد به صاحبه وجه الله تعالى واما قصد به الرياء
والسمعة وما يجري مجراه قال الواجب السكوت في مثل هذا لما فيه من السلامة
عن هذه الافات المتفرعة الا المراء **نعم** انما فضل السلامة في هذا
حال اذا كان السؤال على جهة الاستفادة لا على جهة العناد والمناكرة
والتلطف في تعرف الصواب الا في معرفة الحق ونقض الغير بالقبيح وتنبيه
الى القصور والجهل واظهار فضل نفسه فما هذا حاله فهو المحذور في الدين المثير للعداوة
والبغضاء بسبب المراء **التنبيه الثالث** في الباعث على المراء وحملها
يبعث على ذلك **الاول** منهما اظهار الفضل لنفسه والعجب بحاله وذلك يوجب
الا تزكية النفس وهو مقتضى طلب الدنيا واظهار العلو والتكبر وهي من صفات
الربوبية الامر **الثاني** الهجوم على نقض الغير باظهار عيبه وجهالته
في التمثيل وهي مقتضى صفات السباع فانه يوجب الاتم يقع منه ونقصه
واذيته وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان للمرء والباعث عليهما هو
المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال بالباطل مقو لهذه الصفات المهلكة
وهذا هو النهاية في الكراهة بل هو مقتضيه مهما حصل فيه اثر الغير وتقطيع
عرضه ولا ينفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المقترح على ان ينقض كلامه

بما يمكنه من حق او باطل ويفتخر في المقدرة بكل ما ينصره ويمكنه كذبا او صدقا
وعند هذا ينفر الشيطان بين المتمارين كما ينفر التهارش بين الكلبين
الضاريين فان كل واحد منهما يجتهد في ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية
واقوى في افحامه وقطعه فاما الجدال لطلب الحق وازالة الباطل في التطلبات
متعبد مما ندب الله تعالى اليه بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والتي هي احسن
تنفرد بطريق الصواب واظهار الحق بالحجاج المقصود به وجه الله تعالى

التنبيه الرابع في بيان علاجه والسلامة عنه انما يكون بكسر
الباعث عليه وهو اظهار اسبابها والسبب في المراء هو ما ذكرناه ويحكى ان ابا
حنيفة رحمه الله تعالى قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك
الجدال فقال له احضر في مجالس العلم ولا تتكلم واسمع ما يقال قال ففعلت ذلك فما
رايت مجاهدة اشد علي منها لان كل من يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه
لم يقدر عليه الصبر عنه واكثر ما يحصل فيه المراء هو المذاهب والعقائد فان
المرء لم يقرض منها كثيرة وكل من الف امرا او تعود الى جدله بالباطل فانه يتقوى عليه سلطان
الغضب والكبر وهما خصلتان مهلكتان فنعوذ بالله من استيلائهما على الانسان
وقوة سلطانهما على القلوب **الآفة التاسعة** اللعن لحيوان
او جماد او انسان واعلم ان ذلك مذموم واللعن عبارة عن الطرد
والابعاد وقد صار بالشرع منقولا الى الطرد والابعاد عن رحمة الله تعالى وذلك جائز
الا على من يتصف بصفة تبعده عن رحمة الله تعالى كالكفر والفسق كما قال تعالى الا لعنة الله
على الكافرين وعلى الظالمين وعلى الكاذبين والصفات المقتضية للعن تكون على ثلاث
مراتب **المرتبة الاولى** صفة خاصة كاليهودية والنصرانية والمجوسية
وعلى الزناة والشربة واكل الربا واموال الايتام والظلمة وكل ذلك جائز لاستحقاقهم
لذلك المرتبة

لذلك **المرتبة الثانية** عامة الكفرة والفسقة واهل البدعة وغيرهم
من الذين تقرر كفرهم وفسقهم **المرتبة الثالثة** ايقاع اللعن على شخص
معين وهذه المرتبة هي اخص مما سبقها من المرتبتين السابقتين فكل شخص تقرر
كفره جاز لعنه كما يقال فرعون ملعون وابن ملجم ملعون ويزيد قاتل الحسين
ملعون كما تقرر من هذا **سؤال** قد قال قائل ان اطلاق اللعن
على كل من تقرر كفره او فسقه ومات مصرا على ذلك جائز فكيف الحال فيمن ثبت
كفره او فسقه في حال الحياة هل يجوز اطلاقه عليه ام لا **جوابه**
من وجهين اما اولا فلان ذلك يجوز اطلاقه لان الاعتبار انما هو بالحالة التي
هو عليها من كفر او فسق فلهذا جاز لعنه مطلقا اعتبارا بحاله واما ثانيا
فلا يجوز لعن الكافر والفاسق في حال حياتهما على جهة الاطلاق لان التوبة من
جهتهما ممكنة فلا يجوز الاطلاق وانما يكون على جهة الشرط وان لم يكن
شرطا فانه مضمر وقد دل الشرع على ذم اللعن بقوله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن
لا يكون لعانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم
وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن الحصين بينا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة فضجرت
منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة
فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن
احد الارض الا قالت الارض لعن الله اعصانا لربه وعن عائشة رضي الله عنها قالت

فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا
ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين
او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال
لا اعود وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة
وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بعير فلعن بعيره فقال
يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا وقال رجل لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر رضي الله عنه ان ابغض
عباد الله الى الله تعالى كل طعان لعان وقال عليه السلام لعن المؤمن يعدل قتله **الآفة**

الثامنة الخوض في الامور الباطلة وهو الكلام في المعاصي

نحو حكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك
في مراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة وحكايات مقامات المغنين فان كل ذلك لا يحل
الخوض فيه فانه حرام فاما الكلام فيما لا يعني او الاكثر فيما يعني فهو ترك الاولى ولا
تحريم فيه خلا ان من يكثر الكلام فيما لا يعنيه لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس
يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل
وانواع الباطل لا يمكن ان يحصر لكثرتها وتفننها ولذلك فانه لا مخلص منه الا بان
يقتصر على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما يهلك
صاحبها وهو يستحقرها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة
من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه الى يوم القيمة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا

وقال رسول الله صلى الله عليه

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى
وكنا نخوض مع الخائضين فهذا هو الخوض في الامور الباطلة وهو وراء ما ذكرناه في الغيبة
والنميمة والفحش وغيره وقريب منه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة و
حكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم على وجه الطعن واشتغال جاهل تبعي بكل ذلك
بالباطل والحديث فيه خوض في الباطل نعوذ بالله في الخوض فيما لا يعني **الآفة**

التاسعة الخصومات وهي ايضا مذمومة

وتعرف وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل والجدال عبارة
عن امر يتعلق باظهار المذاهب فاما الخصومة فهي لجاج في الكلام ليستوفي به مالا
او حقا مقصودا وذلك تارة يكون على جهة الابتداء وتارة يكون على جهة الاعتراض
والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سابق وقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع
وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين
وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين
ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا
اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع
فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن الخصومة
قال فاني ايضا لا اطلب منه شيئا عندك **سؤال** فاذا كان للانسان حق لا بد له
من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته
ذمه **جواب** ان هذا الذم انما يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم
بغير علم فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج
على قدر الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس حراما ولكن الاولى تركه ما وجد

اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومه وحمله على حد الاعتدال متعذر والخصومه توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين ويجدد العداوه حتى يفرح كل واحد بمسآءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومه فقد تعرض لهذه الاخطار واقل ما في الخصومه هو تشويش الخاطر حتى انه في الصلاة يشتغل بمحاجه خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومه مبدا كل شر فينبغي ان لا يفتح بابها الا لضروره وعند الضروره ينبغي ان يحفظ صاحبها عن غير الفوايد القطعيه وقد قال النبي وقولوا للناس حسنا وقال صلى الله عليه وسلم الكلمه الطيبه حسنه وقال بعض الحكماء كل كلام لا ينبغي ان تنطق الا انك ترضى به جليسك فلا تاتي به عليه ثقيلا فلعلهم ان يعودوك به ثواب المحسنين

الآفة الخامسة التقعر بالكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه فكل ذلك من التكلف الممقوت والتصنع المذموم الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فوق الثرثار المتكلم فيما لا يعني والمتفيهق يتكلم بملء فيه من فوق لسانه والمتشدق الذي يكثر الكلام من غير فايده وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العاده وهكذا التكلف بالسجع في اثنا المحاورات لان اثر التكلف والتصنع يظهر عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على المقصود

ومقصود الكلام

ومقصود الكلام التفهيم للاغراض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطب والمواعظ والتذكير من غير افراط ولا يطلب الغريب من الكلام لان المقصود انما هو تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولا شك ان لرشاقة الالفاظ تاثير فيه فهو لايق بهذا المقام فاما المحاورات التي في قضا الحاجات فلا يليق بها التسجيع والاشتغال بهذا يكون من التكلف ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحه والتميز بالبراعه وذلك كله يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة الحاديه عشر الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات كالكذب والمرا والتملق والغيبه والنميمه وحقه ان يتكلم بما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم خلا انك اذا تكلمت بما ليس فيه حاجه وانت مستغن عنه فلا حاجه بك اليه فانت مضيع زمانك ومحاسب على لسانك ومستبدل الذي هو ادنا بالذي هو خير وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الا ما لا يعنيه ولم يدخرها ثوابا في الاخره فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام العبد تركه ما لا يعنيه وقد ورد ما هو اشد من هذا قال انس انه استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيا لك الجنه يا بني فقال الرسول صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله تكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي حتى اتاه فلما دخل فقال ابشر يا كعب فقالت امه هنيا لك الجنه يا كعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه المتالية على الله فقال هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه

وعن ابي كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل
الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
بذلك فقالوا له اخبرنا باوثق عملك في نفسك بما ترجوا به الخير قال اني لضعيف
العمل واني اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال خير قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان فقلت
فقلت نعم قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك قال مجاهد سمعت
ابن عباس رضي الله عنهما يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك فانه
فضل ولا امن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في
امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعيب ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم
يغلبك وان السفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان تذكر به
واعفه بما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ومأخوذ
بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا
يعنيني وقال بعض الحكماء امرنا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست
بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر لا تتعرض لما لا
يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي
الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك
الذين يخشون الله وجه **تنبيه** اعلم ان السبب الباعث على الكلام فيما لا يعنيه
هو الحرص على معرفة ما لا حاجة اليه او التبسط في الكلام على جهة التودد او تفويت
الوقت بحكايات لا فائدة فيها **وعلاج** ذلك كله ان يعلم ان الموت بين
يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه معدودة عليه وعمره راس ماله وان
لسانه شبكة يقدر ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران

هاذا علاجه

هاذا علاجه من جهة العلم واما من جهة العمل فالعزلة عن الناس وان يلزم نفسه السكوت
ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان على غير المعتاد عسير جدا والله اعلم
بالصواب **الآفة الثانية عشر فضول الكلام** واعلم
ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن امسك الفضل من قوله وانفق الفضل من ماله وعن الحسن البصري رضي الله عنه يقول الله
تبارك وتعالى يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكلت ملكان كريمان يكتبان عملك
فامل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان ابن داود بعث بعض عفاريته
وبعث معه نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق ورفع
راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأل سليمان فقال عجبت من الملائكة
على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال الحسن
من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه ساء خلقه عذب
نفسه وتكلم رجل عند الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كم دون لسانك من باب فقال
شفتاي واسناني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
انذركم فضول الكلام حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وعن الرسول صلى الله عليه وسلم
انه قال ما اوتي رجل شرا من فضل لسان وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه
الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال بعض الحكماء من قتيلة
الغافلة ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع
سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الانسان لسانه
وروي ان ابا الدرداء راى امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان
خيرا لها وقال بعض الزهاد يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام

وعن بعضهم ان الرجل يكلمني بالكلام لجوابه أشهى إليّ من الماء البارد الى الظمآن
فأترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم
ويكبر في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم
أخزه وقد نجز عن صناعة بيان فضول الكلام وحده والله الموفق للصواب

الآفة الثالثة عشر المزاح وأصله مذموم

الا قدرا يسيرا يستثنى منه فلنذكر حكمه ونذكر مزاح الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ففيه تنبيهان التنبيه الأول في حكمه فا
علم ان المزاح فيه انبساطا ومطايبة وطيبة قلب والمنهي عنه هو الافراط
والمداومة فاما المداومة عليه فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب
مباح لكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك و
وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة
والوقار فلا يخلو عن هذه الامور فمن في باب المزاح وكان غرضه ان يضحك
الناس كان ذلك منكرا وقلما قبحنا في كراهة فضول الكلام وقال عمر من كثر ضحكه
قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه
قل حياؤه ومن قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة
وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل
لأخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم فقال هل اتاك انك خارج منها قال لا

قال ففيم الضحك

قال ففيم الضحك قال فما رؤي ضاحكا حتى مات وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك
دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت رجلا في الجنة يبكي ألست
تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير فهو اعجب
فتحصل من جميع ما ذكرناه ان المزاح منكر ومكروه الا مقدارا ما استثني لما روي عن
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه والله اعلم التنبيه

الثاني مزاحه صلى الله عليه وآله وسلم

روى ابو هريرة رضي
الله عنه انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا
وروي ان رجلا سأل ابن عباس فقال هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح
فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه كان صلى الله عليه
وآله وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري
ذيلا كذيل العروس وروى انس بن مالك ان رسول الله كان من افكه الناس
وروي انه كثير التبسم وروي انه اتت اليه عجوز فقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء
فجعلناهن ابكارا وروي ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو الذي بعينه بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض
فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت والله ما بعينه بياض فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد الا
الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءته امرأة اخرى فقالت يا رسول الله
احملني على بعير فقال احملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وآله وسلم

وتعلل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح معها وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له
ابو عمير فكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما فعل
النغير والنغير هو عصفور صغير وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم في غزوة بدر فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تعالي حتى
اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا
فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاءنا ونحن بذي المجاز وانا جارية
قد بعثني ابي بشيء فقال اعطنيه فابيت وسعيت فسعى في اثري فلم يدركني
وقالت عائشة رضي الله عنها سابقني رسول الله فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني
فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وسودة فصنعت حريرة والحريرة طعام فيه قطع من لحم وجئت به فقلت لسودة كلي
فقالت لا احبه فقالت والله لتاكلين او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقه فاخذت
من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي
وجعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يضحك وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
كان يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى الصبي لسانه فيهش اليه وروي ان الرسول صلى الله عليه
واله وسلم قال لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل
بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى بدت نواجذه وروي
ان خوات ابن جبير صاحب ذات النحيين كان جالسا الى نسوة من بني كعب

بطريق مكة

بطريق مكة وكان يقول ما فعل بعيرك شرود فقال احبسه كي تفتل لي ظفيرا فقال له رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم يا ابا عبد الله ما فعل بعيرك الشارد فقال يا رسول الله قيده
الاسلام والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله فهذه مداعبات يباح مثلها على الندور لا
على جهة الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب
سؤال فان قال قائل قد نقل المزاح عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم واصحابه
فكيف تنهى عنه وجوابه ان الملائكة لا تقاس بالحدادين ولله المثل الاعلى
وهو الخبر الكبير ان رسول الله يمزح ولا يقول الا حقا افتقدر ايها المسكين على ما
تقدر عليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من انه يمزح ولا يقول الا حقا فلا باس في مزح
حق ولكن من الغلط الفظيع ان يتخذ الانسان المزاح ويواظب عليه ويفرط في
الضحك ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فهذا قياس ما اشبه الى

فصل الرابع عشر الغناء والشعر وهما من الافات

المتعلقة باللسان فاما الغناء فالذي عليه سادات اهل البيت عليهم السلام ولسنا
نعرف الا الامة منهم هو تحريم الغناء وكراهته وانه مناقض للمروة والدين
وتنجر به الشهوة وتنقص به الطبائع وهذا هو راي الفقهاء ابو حنيفة
والشافعي ومالك حكي عن ابي حنيفة انه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من
الذنوب وكذلك سائر الكوفة سفيان الثوري وحماد والشعبي والنخعي
وغيرهم واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها
مغنية فله ردها بالعيب وهو مذهب سائر المدينة واما الشافعي رحمه
الله فقد حكي عنه انه قال الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه

لذة شهادته وهل اهل الحنان عندنا ولا اعتبار بما حكي عن الشيخ ابي حامد
الغزالي من كونه مباحا أصلا وربا وقد أورد فيه إجلاله وكيله وحكاه عنه
لا عبرة بكلامه ولا يقتدى به بخلافه وهي محموله في حق من مقلها على اجزائه
في الدين ونزول قدره في حال من تلبس بها وعلى الجمله فان الولوع بالغناء
لتلبس به انما هو داب السفله وهو مناقض للمروه ولقد كان للشيخ ابي حامد
الغزالي عفه عن نظر استحباب الغناء واباحته وضد وجه عن إيثاره في
الكتب الدينيه فضلا عن الاحتجاج عليه والذي يدل على كراهته وحظره قوله
تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث وقد قال فيه علماء التفسير ان لهو الحديث
هو الغناء وهو محكي عن ابن مسعود والحسن البصري والنخعي وقوله تعالى افمن هذا
الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس السمود
هو الغناء بلغة حمير وروى جابر عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال
ان ابليس أول من ناح وأول من تغنى فجمع بين النياحة والغناء وفي هذا دلالة
على كونهما محظورين وروى ابو امامة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه
قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما
صدره حتى يمسك وروى عن عقبة ابن عامر عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ثلاثة لا تعد من اللهو لهو الانسان بفرسه ولهوه بقوسه ولهوه بامرأته وما
عدا ذلك فهو مفسد وحرج في اللهو وروى ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عثمان ما تغنيت
ولا تمنيت

ولا تمنيت وقال الفضيل ابن عياض الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد
الفجور وقال بعض الحكماء اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة
وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله الخمر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه
النساء فان الغناء داعية الزنا واما الشعر فهو من جملة الكلام
حسنه حسن وقبيحه قبيح خلا ان التجرد له مذموم قال الرسول صلى الله عليه وسلم
لان يمتلئ جوف احدكم قيحا احب الي من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل
عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في
صحيفتي شعر وعلى الجمله فان انشاد الشعر ونظمه ليس حراما اذا لم يكن
فيه هجو واذيه وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان من الشعر لحكمه وقد انشد
الشعر بين يدي رسول صلى الله عليه واله وسلم فلم ينكره وامر بان ينشد له

الركن الثاني عشر في الوفاء [illegible]

واعلم ان اللسان سباق الى الوعد ثم ان النفس بعد ذلك لا تسمح بالوفاء فيصير
الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا
بالعقود وقال صلى الله عليه واله وسلم العده دين وقال الوأي مثل الدين وافضل
والوأي هو الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل صلى الله عليه فقال انه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه وعد انسانا في موضع فلم يرجع
اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره وعن عبد الله ابن ابي الحمسا قال بايعت
الرسول صلى الله عليه واله وسلم فوعدته ان اتيه في مكانه ذلك فنسيت يومي

والضبا و في اليوم الثالث اتيته وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي
انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لبعض الزهاد الرجل يواعد الرجل
الميعاد فلا يجي فقال ينتظره ما بينه وبينه ان يدخل وقت الصلاة
التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن
مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع
ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد
عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وكان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل
من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت قال احتكم ما شئت
فقال احتكم ثمانين ضاينة وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي لك ولقد
احتكمت يسيرا **الآفة الثامنة عشر كلام ذي اللسانين**
وذي الوجهين وهو الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل
واحد منهما بما يوافقه ويداهنه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين
وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان
له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين

الذي ياتي

الذي ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي حديث آخر الذي ياتي هؤلاء بوجه
وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله
تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابغض خليقة الله الى الله يوم القيمة الكذابون
المتكبرون الذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم
تملقوا لهم واذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وأ
مره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة
قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقات الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق
علامات كثيرة وهذا من جملتها **وروي** ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يصلي عليه فقال حذيفة يا امير المومنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا
قال اللهم لا ولا او من منها احدا بعدي **سؤال** فان قال قايل فبماذا يصير الرجل
ذا لسانين وذا وجهين وما علامة ذلك وما حده **جواب** ان الرجل
اذا دخل بين متعاديين وجامل كل واحد منهما الا الاخر فهو ذو لسانين
وذو وجهين وذلك يكون شرا من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد
الجانبين فقط فاما اذا كان ناقلا من الجانبين جميعا فهو شر من النمام فاذا
لم ينقل كلامه ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من العداوة مع صاحبه

فمداح ولسانيين وعكس اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره على الاخر وكذلك اذا اثنا على كل واحد منهما في مفاوضه بل طريق السلامة ان يسكت ويثني على المحق من المتفاوضين ويثني في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه الآفة

العشرون المدح والذم فاما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرناه فلنذكر بيان آفات المادح وآفات الممدوح وما يتوجه على الممدوح ففيه بيانات ثلاثة البيان

الأول في بيان إيضاح آفات المادح وجملتها اربع

الأولى منها انه ربما يفرط في المدح فينتهي الا الكذب قال بعض الحكماء من مدح إماما أو واحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الا الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند الرسول صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ويلك قطعت عنق صاحبك ان كان لابد أحدكم مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكي على الله احدا أحسبه كذا وان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة إنما تتطرق الا المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة والبراهين الشرعية كقوله هو تقي وورع وزاهد وخير وما يجري

فمراه اما اذا قال

مجراه أما اذا قال رأيته يصلي ويصوم ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قولهم عدل ورضا فان ذلك كله خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه وهو مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم البيان

الثاني في إيضاح آفات الممدوح وهما آفتان الأولى

منهما انه يحدث فيه كبرا او عجبا وهما مهلكتان وحكى الحسن البصري أن عمر كان قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذا اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا امير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن اطاطي منك الثانية هو انه اذا أثني عليه بالخير فرح به ورضي وفتر من نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الألسنة بالثناء عليه ظن انه قد أدرك ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما أفلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت أخاك في وجهه فكانما أمررت على حلقه الموسى وقال أيضا لمن مدح رجلا عقرت

الرجل عقره ثم وقال مطرف ما سمعت ثناء أو مدحة الا تصاغرت الي نفسي
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا
له من أن يثني عليه في وجهه وقال عمر المدح هو الذبح وذلك لأن الممدوح
يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يوجب الكبر والعجب
وهو مهلك كالذبح فلهذا شبهه به فان سلم المادح والممدوح عن هذه
الآفات لم يكن به بأس ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أثنى على
نفسه بقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول ذلك على جهة الا
فتخار كما يقصده الناس وذلك لأن افتخاره انما يقرب به من الله لمكانه منه
لا بكونه ولد الآدم وقال انا اول من تنشق عنه الارض وأول شافع
وأول مشفع وقال في امير المومنين كرم الله وجهه في الجنة اقوالا كثيرة في اظهار
مناقبه وفضايله وقال في أبي بكر وعمر وعثمان من سادات الصحابة ما يدل
فضلهم وعلاء مرتبتهم عند الله تعالى وانما كان ذلك لبعدهم عن تلك الآفات التي
ذكرناها

الباب الثالث فيما يتوجه على الممدوح

اعلم ان الذي يتوجه على الممدوح عند سماعه المدح ان يكون شديد التحرز
عن آفة الكذب والكبر والعجب وآفة الفتور والريا والسمعة ولا يحصل ذلك الا
بان يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقايق الريا وآفات الاعمال فانه يعرف
من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خاطره

لكن المادح

لكن المادح من مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الا
شارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب وقال سفيان
ما يضر المدح من عرف نفسه واثنى رجل على رجل من الصالحين فقال اللهم هولاء
لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا
اشهدك على مقته واثنى رجل على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى
رجل على امير المومنين في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال عليه السلام انا
دون ما قلت وفوق ما في نفسك وقد فرغنا مما اوردنا ذكره في المدح
والله أعلم

الآفة الثامنة عشر في الغفلة عن دقايق الخطا

في اثناء الكلام ونحو الخطاب لاسيما فيما يتعلق بالله تعالى وبصفاته وبما يرتبط
بالامور الدينية فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين والمحافظة على عثراته
الا الفصحاء العلماء فمن قصر في علمه او فصاحته لم يخل كلامه عن الزلل والخطا ولم
يأمن العثرات لكن الله تعالى يعفو عنه لجهالته وهذا وان كان الخطأ فيه ليس كفرا
ولا فسقا فلا يخلو كونه مقدوحا في عثرات اللسان وهفواته ومثاله
ما قال حذيفة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يقول أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل
ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريك وتسوية وهو على
على خلاف الادب الشرعي وقال ابن عباس جاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله
وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يطع الله ورسوله فقد رشد

ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام بئس خطيب القوم أنت هلا قلت ومن يعص الله
ورسوله فقد غوى وقوله ومن يعصهما لما فيه من الجمع بينهما في الضمير والمساواة وكان
بعض أهل الصلاح يكره ان يقول اعوذ بالله وبك ويختار ان يقول أعوذ بالله ثم بك
وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار ويقول انما يكون العتق بعد الورود وكما
نرى انهم يستجيرون من النار ويتعوذون منها وعن ابن عباس ان أحدكم يشرك حتى يشرك
بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم فان
الكرم هو الرجل المسلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول أحدكم عبدي
ولا أمتي كلكم عبيد لله وكل نسائكم إماء لله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي
ولا يقل المملوك ربي ولا ربتي ولكن يقول سيدي وسيدتي وكلكم عبيد والرب هو الله
وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم
ربكم فهذه آداب كريمة قد أشار اليها صاحب الشريعة في كلامه ينبغي الاقتداء به فيها
والامتثال لمراسيمه فيها الى أوضحناه

الآفة التاسعة عشرة الافصاح بقبائح عن نفسك

قد ستر الله عليك في الدنيا واشاعتها في المجالس والمحاضر والتبجح بفعلها فانها
من أقبح الخصال وأدناها لما فيه من سقوط المروة ورداءة النفس وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصاب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله
وفي حديث آخر اذا أذنب العبد ذنبا وستره الله عليه في الدنيا فالله تعالى أجل وأعلى

ان يفضحه غدا

ان يفضحه به في الآخرة واذا كان الامر كما قلناه فعليه ان يحترس نفسه عن مثل
ذلك لما ذكرناه انه من أقبح الخصال وأدناها

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى في ماهيته وكلامه والمريه في خلقه
وغير ذلك من قديمه أو حادثه والكلام في كيفية تعلقها بمتعلقاتها فانه لا حاجة
بهم الى السؤال عن ذلك وحظهم الاشتغال بالعمل بما جاء به القرآن والسنة من العبادات
وأحوال المعاملات على أن الاقتصار على ذلك ثقيل على القلوب والفضول خفيفة
عليها والعوام يفرحون بالخوض في الكلام لان الشيطان يخيل لهم انهم من جملة العلماء
واهل الفضل ولا يزال يحبب اليهم ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري خاصة
فيما يتعلق بالذات القديمة والصفات الالهية واما اللائق بالعوام هو شغل انفسهم
بالعبادة والتصديق بما ورد به القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم
من الامور الاخروية والاستقامة على ذلك وسؤالهم وبحثهم عما لا يليق بالعبادة
سواء وهم يتعرضون لذلك المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وسؤالهم كسؤال
ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وقد نبه على ذلك الرسول صلى
الله عليه وسلم حيث قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم قال أنس
ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر
وقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام رجل فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك
حذافة وقام اليه رجل فقال يا رسول الله أنا في الجنة أو في النار قال بل في النار فلما

الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشكوا مقام اليه عمر فقال رضينا بالله
ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا فقال اجلس فانك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال
صلى الله عليه وآله وسلم يوشك ان الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا أحب الله خلقني
فمن خلق الله فاذا احس احدكم ذلك فليقل آمنت بالله وبرسوله **ولنكتف
بما أوردناه** في آفات اللسان ففيه كفاية لمن أراد السلامة ومن تأمل
جميع ما ذكرناه في آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف
سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي
على طريق المتكلم فمن سكت سلم عن الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يكون التوفيق
حقائق ثالم والتسبب من الله تعالى مساعده وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت
لا تقدر على ان لا تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم نسأل الله تعالى عصمته في
الاقوال والافعال والبلوغ الى كماله ومرضاته أقصى البغية والآمال انه الجواد الكريم البر
الرحيم **الباب الرابع من مقالة المهلكات في الغضب**
اعلم ان شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وانها
المستكنة في الفؤاد استكنان الجمر في الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب
كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر في النار من الحديد وقد انكشف لاهل البصيرة والنا
ظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان الرجيم فمن استعلت
فيه نار الغضب فقد قويت قرابته الشيطان المنصوص عليها في القرآن كما قال تعالى
خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار

التلظي والاشتعال

التلظي والاشتعال وحقيقة الغضب انه غليان دم القلب لطلب الانتقام وهي
قوة حاصلة في القلب واذا حصل الغضب فله آثار اربعة **الاثر الاول**
تغير اللون بالصفرة وشدة الرعدة في اضطراب الاطراف وظهور الزبد على
الاشداق واحمرار الاحداق وانقلاب المناخر واضطراب الحركة واستحالة
الخلقة ولو رأى الغضبان قبح صورته عند غضبه حياء من قبح صورته
الاثر الثاني في اللسان باطلاقه بالشتم والسب والاذية وقبيح
الكلام وبالكلام الذي يستحيي منه ذو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب
الاثر الثالث على الاعضاء بالضرب والقتل والجرح وتمزيق الاثواب عند
التمكن من غير مبالاة فان فات المغضوب عليه او عجز عن التشفي فانه يرجع
الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الا
رض آسفا وربما صار بسبب السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا
من شدة الدهشة وربما كسر القصعة وضرب الحيوان ويشتمه ويعاطي الافعال
المجانين الا عد ذلك من التغيرات في حالة **الاثر الرابع** في القلب على
المغضوب عليه وهو الحقد والحسد واضمار السوء واظهار الشماتة وا
لحزن بالسرور والغم بما يناله من الفرح وهتك والاستهزاء فهذه حقيقة
الغضب وما يحصل من آثاره والمقصود يحصل بايراد تنبيهات ستة التنبيه
الاول **في بيان درجات الغضب** اعلم ان الناس بالاضافة الى
الحاصلة المهلكة لهم على ثلاث درجات افراطا وتفريطا واعتدالا وفي توضيح كل واحد

من نقائص الدرجات بكلام يخصها الدرجة الأولى الإفراط وهي أن يكون الغضب
غالبا على صاحبه حتى يكون الإنسان خارجا عن سياسة العقل والدين
وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ولا نظر ولا فكر ولا اختيار بل يصير
في صورة المضطر ولذلك سببان السبب الأول أمور غريزية جبلية
فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة
صورة غضبان ويعين ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب نار كما أشار إليه
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الغضب يوقد في فؤاد ابن آدم النار ألا ترون له
كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه السبب الثاني الأمور الاعتيادية
وهو أن يخالط قوما يتفاخرون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك
رجولية ويسمون ذلك بالشجاعة والرجولة حتى يقول أحدهم إني لا أصبر على ضيم ساعة
واحدة ومعناه ذلك أنه لا عقل لي ولا حلم ويذكره في معرض الفخر لجهله ومن سمع ذلك
رسخ في قلبه حسن الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمى صاحبه
وأصمه عن كل موعظة فإذا وعظ لم يسمع بل يزيده ذلك غضبا وإن استضاء بنور عقله
وراجع نفسه لم يقدر أن يزيل ذلك عن نفسه وينطفي نور العقل بدخان الغضب فإن
معدن الفكر القلب ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ
مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا
يبصر بعينه وتظلم عليه الدنيا بأسرها فكأنه سفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب
رياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطرب به غيظا فنعوذ بالله

من شدة الغضب

من شدة الغضب الدرجة الثانية وهي المقابلة لهذه
الدرجة وهي التفريط وهي بطلان قوة الغضب أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي
يقال فيه من الرجال من لا حمية له ولا أنفة ولهذا قال الشافعي من استغضب فلم
يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية فهو ناقص جدا وقد وصف الله
الصحابة بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال للرسول صلى الله
عليه وسلم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم والغلظة إنما
يكون من آثار قوة الغضب والحمية لا محالة فهذه الدرجة مذمومة كالدرجة
الأولى الدرجة الثالثة وهي درجة الاعتدال وهي المحمودة
وهي حالة الغضب التي ينتظر فيها إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب
الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال والاستقامة هو الذي
كلف الله به عباده وهي الوسط التي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم
بقوله خير الأمور أوسطها فمن مال غضبه إلى الفتور والضعف حتى أحس
من نفسه بطلان الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي
أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور
في اقتحام الجرائم العظيمة والفواحش المهلكة فليعالج نفسه ليقصر من سورة الغضب ويقف على
الوسط من الحق بين الطرفين وهو المنهاج القويم والصراط المستقيم التنبيه الثاني

في بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله الآية فذم الكفار بما تظاهروا
من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل والغضب لم ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من
السكينة وقد ظهر ذمه من جهتين

الجهة الأولى

من جهة الأخبار روي
أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب فأعدت عليه
مرتين كل ذلك يرجع إلي لا تغضب وقال ابن عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل لي قولا
وأقلل لعلي أعقل قال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي لا تغضب
وقال ابن منقذ وعن عبد الله بن عمرو أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا يبعدني
من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تعدون
الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابن عمر وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي
يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه ستر الله عورته
وقال سليمان بن داود عليه السلام إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب يستخف فؤاد
الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال
يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع ألا أغضب إنما أنا بشر قال لا
تقتني مالا قال عسى هذا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الغضب يفسد الإيمان كما يفسد
الصبر العسل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم وقال رجل

للرسول صلى الله عليه

للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يبعدني عن غضب الله تعالى
قال لا تغضب

الجهة الثانية

الآثار قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت
وثبت فيوشك أن تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا
من الملائكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان
أقدر ما يكون على ابن آدم عند الغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك
والعجلة فإنك إن عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا
عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله
فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح لي فإني إن ذهبت ندمت
فلم يلتفت إليه فقال إني أنا المسيح فقال الراهب فإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس
قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم
نقبله منك فقال إني أنا الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألني
عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء فولى مدبرا فقال له الراهب
ألا تسمع قال بلى قال فأخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل
إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وعن بعضهم الشيطان يقول وكيف
يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون فوق
رأسه وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار
رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين والجهل شين

وظهر والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وعن ابليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني
في اثنتين اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما
أحببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم وقيل لحكيم ما أملك فلانا
لنفسه فقال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال
بعضهم إياك والغضب فانه يصير الى ذل الاعتذار وقال بعضهم إياكم وا
لغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود
انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وليت شعري ما علمك
بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بأمانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز
الى عامله لا تعاقب عند غضبك فاذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن
غضبك فأخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة
عشر سوطا وأغلظ رجل من قريش على عمر بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلا
ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا
وقال بعضهم الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وقال وهب بن منبه للكفر
أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع ونقتصر من ذمه على ما ذكرناه

الشعبة الثالثة في بيان الأسباب المهيجة للغضب

اعلم أن الأسباب المهيجة
للغضب هي الزهو والعجب والفخر والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر
وشدة الحرص على المال والجاه فهذه أمور عشرة وهي بأجمعها أخلاق رديئة والأخلاق

في الغضب

من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها أما
لها الزهو وإنما يزال بالتواضع ويزال العجب بمعرفة الانسان نفسه وحقيقة
حاله وأما الفخر فيزال بالاعتراف بأنك من جنس عبيدك لا فضل بينك وبينه لأنه من
ولد آدم مثل ما أنك من ولد آدم وأما الفخر باكتساب الفضائل والفخر من أكبر الرذائل
وأما المزاح فيزال بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عليه
اذا عرفتها وأما الهزل فيزال بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم
الدينية التي تبلغك الاستفادة الى الآخرة وإحرازها وأما الهزء فيزال بالتكرم
عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فيزال بالحذر
عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما المماراة فيزال بالتنفس
لذة الفضل لنفسه والإعراض عن عيوب الناس وأما المضادة فيزال بالخوف من تعاقب
عن ظلم الخلق وخوف المعاقبة في الآخرة وأما الغدر فيزال بالعزم على الوفاء واعتقاد
ان الوفا ندم العبد وأما شدة الحرص على ضرورة العيش فيزال بالقناعة بقدر
الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق
وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها
ترجع الى معرفة غوائلها لتكون النفس راغبة عنها ونفور عن قبحها ثم
المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة
على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت عنها

ومن أعظم البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب
شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة و
جهلاً فينبغي ان يعالج هذا الجهل بأن تتلا عليه حكايات اهل العفو والحلم
وما استحسن فيهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبيا والحكما والعلما وا
كابر الملوك الفضلا وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهال والاغنيا
الذين لا عقل لهم ولا فضل عندهم التنبيه التاسع في بيان علاج الغضب
عند هيجانه اعلم ان الغضب اذا هاج فيجب التثبت فيه حتى لا
يكون صاحبه مضطرا الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج عند هيجانه
بمعجون العلم والعمل فهذان نوعان النوع الاول في علاجه بالعلم وذلك يكون
بامور ستة الاول منها ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها
في فضل كظم الغيظ والعفو والاحتمال ويرغب في ثوابها فيبعثه ذلك الى العفو وكظم
الغيظ ويمنعه عن التشفي والانتقام ويحكى ان عمر بن الخطاب غضب على رجل فامر بضربه
فقيل له يا امير المومنين خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين فكان
عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف وكان يتأمل الاية وكان وقافا عند
كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر له الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله
وهو ان يقول قدرة الله اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي
عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة أحوج ما اكون الى العفو وقد قال تعالى
في بعض الكتب

في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين اغضب
فلا امحقك فيمن امحق الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والا
نتقام وتشمير العدو في مقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصا
يبه وهذا لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان
لا يخاف من الاخرة وان كان يخاف الاخرة فخوفه من انتقام الله تعالى عز وجل والعقاب له
يكون اعظم الرابع ان يتفكر في صورته عند غضبه بأن يتذكر
صورة غيره في حال غضبه ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة
صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك
للغضب بالانبيا والعلما والحكما ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلب والسباع
واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا والعلما ومن العادة الميل الاحب
الاقتدا بهولا ان كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس ان يتفكر
في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد أن يكون له سبب
مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير
حقيرا في أعين الناس فاذا كان الامر هكذا من جهة الشيطان فليقل لنفسه
ما أعجب أمرك يا نفس تأنفين من الاحتمال الان ولا تأنفين من خزي يوم القيمة
والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين ان تصغري في أعين
الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملايكة والنبيين فمهما كظم

الغيظ فينبغي ان يكظم لله وذلك لعظمه عند الله تعالى فيهن وامثالهم من مقادير في
الايمان وحقائقه فينبغي ان يقرره في قلبه **والسادس** ان يعرف
لنفسه ويضع في قلبه انه اذا غضب صار مشابها لله تعالى في هذه الصفة
ولا شك ان غضب الله تعالى حكم وصواب وغضبه مقتضيه وخطا واذا كان الامر
كما قررنا صار قبح منه الغضب لاجل المشابهة كما قبح الكبر من جهتنا وهي
حق في حق الله تعالى فهكذا حال الغضب فانه قبيح من العبد حسن من الله تعالى
فهذه ما يتعلق بعلاجه من جهة الامور الدينية **النوع الثاني**
في بيان علاجه بالامور العملية وهو مثل ان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه
وآله وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي
اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن ويستحب ان يقال
ذلك عند الغضب فان لم تزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت قاعدا
واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس
والاضطجاع السكون الذي هو سبب زوال تلك الثورة وتتغير تلك الحالة واغتسل فان النار
لا يطفيها الا الماء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب احدكم فليغتسل
بالماء البارد فانما الغضب من النار وقال عروة ابن محمد لما استعملت على اليمن قال ابي
أوليت قلت نعم قال اذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض من تحتك ثم عظم خالقهما
وغضب المهدي يوما على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه

فقال خلوا سبيله

فقال خلوا سبيله وروي عن عمر انه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق
وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب هذا تقرير علاجه
ازالة الغضب مع الاستقامة بتوفيق الله تعالى **التنبيه الثامن**
في بيان فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ
وذكر ذلك في معرض المدح والثناء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه
كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله
عورته وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم
من عفى بعد القدرة وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا ولو شاء
ان يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وقال ابن عمر وقال رسو
ل الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جرع عبد قط جرعتين افضل عند الله من جرعة غيظ تلقا
ها بحلم او جرعة مصيبة تلقاها بصبر جميل وقال ابن عباس قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفا غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من كظم غيظه وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلايق فخيره
من اي الحور شاء فهذه ما يتعلق بفضله من جهة الاخبار **واما الاثار**
فقد قال عمر من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا
يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك
بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال

وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرًا كثيرًا واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة
اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال
الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر ما تقضي بالفصل ولا تعطي
الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل ألم تسمع الله يقول خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت
فكأنما كانت نارًا فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان
بالله إذا رضي لم يدخل رضاه في الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا
قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل إلى سليمان عليه السلام فقال أوصني قال لا تغضب
قال لا أقدر قال فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك

التنبيه السادس في بيان فضيلة الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن الكظم عبارة
عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غضبه ويحتاج فيه إلى
مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادًا فلا يهيج الغيظ وإن
هاج فلا يكون في كظمه تعب والحلم ما كان بالطبع وهو دليل على كمال العقل واستيلائه
وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه بالتحلم وكظم الغيظ تكلفًا
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير
يعطه ومن يتوق الشر يوقه وفي إشارة هذا الكلام إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم
أولًا وتكلفه كما أن اكتساب العلم التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه

ولا تكونوا من جبابرة العلماء

ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم أشار بهذا الكلام إلى أن التجبر
والتكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال أبو هريرة
قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وآله وسلم خمس
من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال أمير المؤمنين
كرم الله وجهه وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم
درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارًا وما يملك إلا أهل بيته وقال أبو
هريرة إن رجلًا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم و
يسيئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكأنما تسفهم
المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل الرمل وقيل الرماد الحار
وقال رجل من المسلمين اللهم إنه ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من
عرضي شيئًا فهو عليه صدقة فأوحى الله إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أني قد غفرت له
وقيل في قوله تعالى ربانيين أي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلامًا قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا
يدركني ولا يدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم
قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليليني منكم أولو الأحلام

والشيطان ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات
الأسواق وقوله هيشات الأسواق فيه احتمالان أحدهما أن يريد به التحذير
عن الهيشات في الأسواق لأنها مقاعد الشيطان وأماكنهم والوقف في المساجد
أحق وأولى وثانيهما أن يريد به التحذير عن الهيشات إلا الأسواق لأجل المكاسب
والأرباح وفي ذلك إهمال للعبادة وتعطيل لجانبه فظهر في الاحتمال الذي يكون
فائدة الحديث وصفناه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحليم الحيي
المتعفف التقي ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف الغبي وقال صلى الله
عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه
عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس فهذه الأخبار
دالة على فضيلة الحلم كما أشرنا إليه وأما الآثار فقد قال عمر تعلموا
العلم وتعلموا له السكينة والحلم وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ليس الخير أن
يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة
ربك وإذا أحسنت حمدت الله وإذا أسأت استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا
العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال بعض الحكماء علامة العقل الحلم وجماع الأمر
الصبر وقال ابو الهيثم أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا فيه شوكا
لا ورق فيه وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه إن أول عوض الحليم من حلمه أن الناس
كلهم أعوان له على الجاهل وقال معوية لعرابة الأوسي أي الرجال أشجع قال من رد

جهلا بحلمه

جهلا بحلمه فقال أي الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال أنس ابن
مالك في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال هو الذي يشتمه
أخوه فيقول له إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر الله لك وقال معوية
لعرابة بن أوس بم سدت قومك يا عرابة قال كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم
وأسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل ومن قصر عني
فأنا خير منه وسب رجل ابن عباس فقال يا عكرمة هل للرجل من حاجة
فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد
أنك من الفاسقين فقال له ليس تقبل شهادتك وعن علي ابن الحسين رضي الله عنه
أنه سبه رجل فرمى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم وقال الأحنف
ابن قيس إني لست حليما ولكني أتحالم وقال رجل لجعفر ابن محمد إنه قد وقع بيني وبين
قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال إن تركك له ذل فقال
جعفر إنما الذليل الظالم وحكي أن سفيها ظفر برجل حليم فأوجعه فلم يغضب
فقيل له في ذلك فقال أقمته مقام حجر ورجمت الغضب ومر المسيح ابن مريم بقوم
من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال
كل أحد ينفق مما عنده وقد خرجنا عن ذكر فضيلة الحلم من جهة الأخبار والآ
ثار وبالله التوفيق الباب الخامس في المسلك الحمد اعلم أنه لا أحد إلا ولله
نعمة فإذا أنعم الله على أحد نعمة فلك فيها حالتان الى الله [illegible] ان شكر كان النعمة

وتحب زوالها وهذه حالة تسمى حسداً وعلى هذا يكون ماهية الحسد وحقيقته
كراهة النعمة وحب زوالها عن صاحبها الاغين **الحالة الثانية**
ألا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه
تسمى غبطة ويدل على ما ذكرناه من هذه التفرقة ما روي عن الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم أنه قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا
نعمة أصابها كافر أو فاسق وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وعلى إفساد
ذات البين وتشويش الدين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها
فإنك لا تحب زوالها من حيث أنها نعمة بل من حيث أنها صارت آلة للفساد و
لحقه ولو أمنت فساده لم تغمك نعمته بحال فهذه ماهية الحسد وأسبابه
وسنذكر علاج زوالها وبيان التفرقة بين الحسد وحقيقته وإذا مهدت هذه
القاعدة فلنذكر ذم الحسد والمنافسة فهذه تنبيهات أربعة نذكر ما فيها
بعون الله تعالى **التنبيه الأول في المشتبه** اعلم أن للحسد عوامل
أو خطارات مهلكة للدين وهو أصل لكل فساد ومنبع لكل آفة وقد ورد فيه
التشديد وظهر ذمه من جهتين نوضحهما بعون الله تعالى **الجهة الأولى في**
الأخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله
عليه وآله وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا

وقال صلى الله ثلاث

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج
من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وقال صلى الله
عليه وآله وسلم قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء أما إني لا أقول إنها الحالقة
للشعر وإنما هي الحالقة للدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا
ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك فيكم أفشوا السلام بينكم وقال
صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر
وقال صلى الله عليه وآله وسلم إنه سيصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر
والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي
ثم الهرج وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي
أن موسى صلى الله عليه وآله لما تعجل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فقال
إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال
أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا
يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا قال الله تعالى الحاسد عدو
لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي
وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة
محسود وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن لنعم الله أعداء فقيل ومن هم قال الذين يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ستة يدخلون النار بستة

قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار
بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد الرسالة الحوانت والحانات
وقال أنس بن مالك كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يطلع عليكم
رجل من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع علينا رجل من الأنصار تنطف لحيته
من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال وقال في اليوم الثاني وقال في اليوم
الثالث كذلك والرجل يطلع علينا في هذه الأيام قال فاتبعته وقلت له أريد
أن أعرف عملك فقال مالي عمل ولكني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا
ولا حسدا على خير أعطاهم الله إياه قال هذه هي التي بلغت بك وهي التي
لا نطاق **الحديث الثاني** الآثار قال بعض السلف أن أول خطيئة كانت
هي الحسد حسد إبليس آدم على أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية
وقال بعض الزهاد أنه دخل على بعض الأمراء فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال
وما ذاك فقال إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به وإياك والحرص فإنه أخرج
آدم من الجنة وإياك والحسد فإنه ابن آدم قابيل قتل أخاه هابيل وإذا ذكر أصحاب
رسول الله فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت النجوم فاسكت وحكي
عن ابن سيرين أنه قال ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف
أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده
على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك

باولاد يعقوب

85

باولاد يعقوب نسيت ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا
وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل
الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها وقال بعض الحكماء
الحسد جرح لا يبرأ وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد
إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان
الذي أعطاه كرامة عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد
من مصيره النار وقال بعض الحكماء لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا
ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما
ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا
ولنجز غرضنا من مذمة الحسد

التنبيه الثاني في بيان أسباب الحسد

اعلم أن مداخل الحسد كثيرة جدا ولكنها تنحصر جملتها وهي سبعة أسباب
السبب الأول منها العداوة والبغضاء وهما أشد أبواب الحسد
وأكثرها وقوعا فإن كل من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه
بوجه من الوجوه فإنه يبغضه لا محالة قلبه ويرسخ في نفسه العداوة فإن
عجز عن أن يتشفى بنفسه أحب كل نكبة تحصل له فمهما أصابت عدوه
بلية فرح بها وظن أنها مكافأة من جهة الله على بغضه وأنها وصلت إليه من أجله وربما

أصابته نعمة ساءته وعلى الجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة لمن خشيته
السبب الثاني التعزز وهو أن يثقل على الحاسد أن يترفع
عليه غيره فإذا أصاب بعض المحسودين سلطانا واختص بولاية واستفاد علما
أو مالا وخاف أن يتكبر عليه المحسود وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال
علوه وتفاخره عليه فتعرض المحسود هو السبب في وقوع الحسد من غيره له
السبب الثالث أن يكون الحاسد في طبعه أن
يتكبر على المحسود ويستصغره ويستخدمه ويستحقره ويتوقع منه الانقياد
والمتابعة له في أغراضه فإذا نال المحسود نعمة وارتفع حاله خاف أن ينقلب الحال
في حقه ويترفع عليه ويستنكف عن متابعته وربما يتشوف الاستواء وأنه
وهو الاتصاف بعد أن كان دونه فلا جرم كان ما ذكرناه باعثا له على حسده
السبب الرابع المماثلة والمساواة ومثالها ما أخبر عن
الأمم الماضية في تكذيب الأنبياء وردهم إذ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وقوله
أنؤمن لبشرين مثلنا وقوله ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون فتعجبوا
من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر وهم واحد أمثاله
النبوة عندهم حسدا أن يتفضل عليهم ويتم مثلهم في الخلقة وقالوا متعجبين أبعث الله
بشرا رسولا فلأجل هذه المماثلة حصل الحسد وجهتهم لما ذكرناه **السبب الخامس**
الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فإن كل واحد
منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له على الانفراد بمقصوده ومن
هذا الجنس

ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتزاحم الإخوة
في نيل الرتبة في قلب الأبوين للتوصل إلى مقاصد الكرامة والمال من جهتهما
وهكذا تحاسد التلميذين لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الأستاذ وهكذا
تحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به إلى المال والجاه
وهكذا تحاسد الواعظين فإنهما يتزاحمان على تلك البلدة والمدينة إذا
كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم وهكذا حال العالمين يتزاحمان على
التلامذة وأيهما يكون أكثر وأجمل ليتوصلوا بذلك إلى نيل الأطماع
وحظوظ الدنيا وكثرة الجاه وغير ذلك من الأغراض المقصودة وقد سبق المثل
عند من عمل بحكمه **السبب السادس** حب الرياسة
وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى الآمال وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون
عديم النظير في فن من الفنون فإنه إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح
بما يطرق له من المدح في ألسنة الناس من أنه أوحد العصر وفريد الدهر في
ذلك الفن وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه
ذلك ولكان يحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في تلك المنزلة
من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما
ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده ومصداق هذا ما كان عليه علماء اليهود
من إنكار معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤمنون به خيفة بطلان

ما كان عليه من الرياسة وكثرة الاتباع لانه مهما نسخت كتبهم بطل امرهم

السبب السابع خبث النفوس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم عليه فانه يشق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم عن الدين وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح بذلك واستبشر فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل الذي يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباد الله الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا تعلق وهذا ليس سببه الا خبث النفس ورداءة الطبع ورذالة الهمة وهذا لا علاج له ولهذا فانه يعسر معالجته فهذه اسباب الحسد قد ذكرناها

وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد من اجل ذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وتنقطع المسالمة ويقتضي الا الشر وهلاك الذي ينعم بها من شرار الخلق المجاهرين بالعداوة المصرحين عن انفسهم بقلة الدين والخارجين عن زمرة المسلمين

التنبيه الثالث في بيان التفرقة بين الحسد المذموم والمنافسة الممدوحة

اعلم انه قد جاء لنا على ذم الحسد وخطره

بالاخبار التي نقلناها

بالاخبار التي نقلناها وان هذا الحرج والكراهة بسبب قضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية اعظم واكبر عند الله على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيها مضرة والى هذا اشار القرآن الكريم بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فاخبر الله تعالى ان محبتهم لزوال النعمة انما كان على جهة الحسد وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف له وعبر عما في قلوبهم حيث قال قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له ساءهم ذلك واحبوا زوالها عنه فغيبوه عنه وكان ما كان من حكاية حاله وحالهم وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي حسدا فان الله ليجمع بينهم ويؤلف قلوبهم على طاعته وامرهم ان يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا فاختلفوا واراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما

تعالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أنك ترسله وبالكتاب الذي تنزل عليه
الا نصرتنا فكانوا ينصرون فلما بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ولد اسمعيل
عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم له فقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به فهذا حكم الحسد في التحريم **واما المنافسة**
فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة فاما الواجبة
فهي المنافسة في تأدية الواجبات الشرعية والعقلية واما المندوبة
فهي المنافسة في تأدية النوافل والقربات الدينية واما المباحة فهي
المنافسة في طلب الاستغناء واتخاذ المآرب والملابس وغير ذلك **والبرهانات القاطعة**
على انه لا حرج في المنافسة قوله تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما
تكون المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة
السيد ويجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة
لا يحظى بها الآخر وكيف وقد صرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك بقوله لا حسد
الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما
فهو يعمل به ويعلمه الناس **فقد عرفت** بما اشرنا اليه حكم
الحسد في التحريم والحظر وحكم المنافسة في الوجوب والندب والاباحة **دقيقة**
اعلم ان للحسد مراتب اربع **المرتبة الاولى** المذمومة المحضة وهي
ان تحب زوال النعم

ان تحب زوال النعمة عن اخيك المسلم وان كانت غير منتقلة اليك وهذا هو غاية
الرداءة في الحسد **المرتبة الثانية** ان يكون مطلوبه غير تلك النعمة مثل
رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية نافذة ولا يريد زوالها
عمن هو مختص بها فهو طالب لعينها ولا يحب زوالها فهذه دون المرتبة الاولى
المرتبة الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها
فهذه ايضا دون هذه لبعدها عن الحسد كما لا يخفى **المرتبة الرابعة**
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يصل اليه فلا يحب زوالها عنه وهذا هو الذي
يعفى عنه وقد قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه
لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه لعينه فهو مذموم **واما مراتب المنافسة**
والغبطة فهي ثلاث كما اشرنا اليه **الاولى** منها المنافسة في الامور الواجبة
كالايمان والصلاة والزكاة **الثانية** المنافسة في الامور المندوبة
كالانفاق في وجوه القربات والصدقات وسائر النوافل **الثالثة** المنا
فسة في الامور المباحة كالتنعم بضروب النعم المباحة التي لا اثم فيها فهذه
هي مراتبها قد اشرنا اليها وقد عرفت بما ذكرنا وجه التفرقة بينهما
وكما علم **التنبيه الرابع في بيان علاج الحسد والطلب**
اعلم ان الحسد من اعظم الامراض العظيمة للقلوب ولن تشفى الا بمداواة القلوب
عن مرض الحسد ونستنهج في ذلك منهجين اجمالي وتفصيلي **المنهاج الاول**

من جملة الاجال وذلك انما يكون بالعلم والعمل فانهما من اعظم ما يقع به التداوي
عن آفة الحسد فهذان مقامان المقام الاول في مداواته بالعلم واعلم
ان العلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين
والدنيا وانه لا ضرر على المحسود في دينه ولا دنياه بل ينتفع مآلا اما النفع
الذي صار اليه الملمح الان يقال انه على حسب الحاسد لم تضيق او اعتني وشأني
تقديرا قريبا بنحو هذا بالحسد في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن تحقق
وبصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما
كونه ضررا على الدين في حقك فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى
وكرهت حكمته ونعمته التي قسمها لك وعدلها بين عباده وعدله الذي
اقامه في ملكه بدقيق حكمته واستنكرت ذلك واضمرت الانفة هذه
الشناعة والبشاعة وهذه منك جناية على حدقة التوحيد وقذا
في وجه الايمان وعينه وناهيك بها جناية على الدين مع ما ينضاف اليها
من الغش لرجل من المسلمين واهل الايمان وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله تعالى
وانبياءه في حبهم الخير لعباده وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم
للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهي خبائث في القلب تأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب وتمحقها كما يمحق الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك
فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم
الله عن نعم

الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية
تنصرف عنهم فتبقى ابدا مغموما محزونا متشعب القلب ضيق الصدر ومع
ذلك ان المك وغمك لا يزال يتجدد ان عليك مهما كثرت نعم المحسود ولو لم تكن
مؤمنا بيوم القيامة والبعث والحساب لكان مقتضى العقل اذا كنت عاقلا ان تحذر
من الحسد لما فيه من ألم القلوب فما احسن العاقل ان لا يكون متعرضا لسخط ربه وعقابه
من غير نفع يناله فيهلك دينه ودنياه اللهم اجرنا من غضبك وسخطك يا خير
مستجار به واما كونه لا ضرر على المحسود في دينه ولا دنياه فواضح
لان نعمته لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال النعمة فلا بد من
دوامه واستمراره فلا حيلة لك في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل
كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا فاما
انه لا ضرر على المحسود في دينه فلان المحسود ينتفع بالحسد
في الدين لانه مظلوم من جهتك ولا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول القبيح من الغيبة
والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا اليه تهديها اعني
انك تهدي اليه حسناتك فكأنك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل واما
منفعته في الدنيا فهو ان اهم الاغراض للخلق مساءة الاعداء
وايصال الغم اليهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت

فيه من الحسد وغاية أماني أعاديك أن يكونوا في نعمة وأنت في غم وحسرة
بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فانظر كيف انتقم من الحاسد إذا أراد
زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزال نعمته من جهة أن السلامة
من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا
يحيق المكر السيئ إلا بأهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما شمت
شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا إلا
نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذه الأدوية العلمية في زوال الحسد فمهما
تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد
وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه المقام
الثاني في مداواته بالعمل النافع فاعلم أن كل ما يتقاضاه
الحسد من الأقوال والأفعال فينبغي أن يكلف الحاسد نفسه نقيضه
فإن بعثه الحسد على القدح في المحسود فإنه يكلف لسانه المدح له والثنا
عليه وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بعثه
على كف الإنعام والإحسان ألزم نفسه الزيادة في الإنعام وإيصال الإحسان فمهما
فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عادت المحبة والمو
نفعه لأن التواضع والمدح والثنا وإظهار السرور تطيب به نفس المحسود ويعطف

قلبه على الحاسد

قلبه على الحاسد فهذه أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا أنها مرة غاية
المرارة ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة
الشفا وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح
والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضا
الله تعالى فهذا علاج الحسد على جهة الإجمال

المنهاج الثاني في جهة التفصيل

تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك من الأ
سباب فيأتي مداواة هذه الأمور في مواضعها اللائقة بها فإنها قواعد هذا
المرض ولا ينقطع المرض إلا بقمع المادة فإن لم يقمع المادة لم يحصل ما ذكرناه
إلا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع
بقاء مواده فإنه ما دام محبا للجاه فلا بد من أن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة
في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه
ولا يظهره بلسانه ويده فأما الخلو عن هذا بالكلية فلا يمكنه فهذا ما أردنا
ذكره في بيان هذه الخصلة المهلكة وبالله التوفيق **الباب الثامن من المهلكات الحقد**
ومعنى الحقد أن تلزم قلبك استثقال المحقود عليه وبغضه والنفار عنه على جهة
الاستمرار والبقاء وسبب حصول الحقد أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي
في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا وقد قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن ليس بحقود ولا حسود فالحقد ثمرة الغضب فإذا فهمت معناه فلنذكر
ثمراته ثم نذكر فضيلة العفو ثم نردفه بذكر فضيلة الرفق فيه

تنبيهات ثلاثة

تنبيهات ثلاثة نفصّلها بعونه تعالى التنبيه الاول في بيان ثمرة الحقد
وجملتها ثمانية ثمرات الثمرة الاولى الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى
زوال النعمة بالمحقود عليه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسرّ بمصيبة ان نزلت به
وهذا من افعال الكفار واهل النفاق من اليهود وسائر المشركين فانهم في غاية
الحقد والحسد للمسلمين كما قدمناه الثانية ان تزيد على اضمار
الحسد في نفسك وباطنك فتظهر الشماتة بما يصيبه من البلاء وتفرح
بما يناله من النعماء الثالثة ان تهجره وتصارمه وتنقطع
عنه وان طلبك واقبل عليك فلا يليق اقبالك عليه الا ضرورة او تبعد عنه
الرابعة ان تعتقد في نفسك استصغاره واستحقاره
والتهاون في جميع احواله كلها ولا ترى له قدرا ولا يزن عندك قدر ظفر
الخامسة ان ترسل لسانك فيه بما لا يحل فيه من كذب وغيبة
وافشاء وهتك ستر وغير ذلك من الامور المتعلقة السادسة
ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومحاكيته بما ينقص قدره عند الناس
ويزيل هيبته ويسقط منزلته السابعة ايذاؤه بالضرب والجرح
وسائر ما يكون مؤلما لجسده ومنع القوت ولطم الوجه الثامنة
ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام لا يجوز
فعله واقل درجات الحقد ان يحترز من هذه الآفات الثمانية المذكورة ولا ينبغي
ان تخرج بسبب الحقد الا ما يكون مغضبا لله تعالى وتمتنع عما كنت تفعله

من الاستخفاف

من الاستخفاف والاستحقار وتفعل نقايضها من البشاشة والرفق والعناية
والقيام بحاجته والمجالسة له على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة والدعاء له
والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله فضل عظيم وثواب جميل ولما
امتنع ابو بكر من الانفاق على مسطح ابن اثاثة لما تكلم في حديث الافك نزل
قوله تعالى ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة الى قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم
فقال ابو بكر بلى والله وعاد الى الانفاق عليه التنبيه الثاني في بيان فضيلة
العفو اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرئ عنه من قصاص
او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلا جرم افردناه بالذكر فقد فضل تعالى
العفو وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال صلى الله عليه وسلم
ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا
ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي وجه الله تعالى بها الا زاده الله بها عزا يوم القيمة
ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه بابا من الفقر وقال صلى الله عليه وسلم
التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا
فاعفوا يعزكم الله تعالى والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله
وقالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم
ينتهك من محارم الله من شيء فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير
بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن مأثما وقال عقبة ابن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبدرته يوما

فبينا نحن يوما فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال يا عقبة ألا أخبركم بأفضل
أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال
صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفى
ولذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله
وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى أن
يأخذ مظلمته حتى سمع الحديث فنفعه الله تعالى بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم
وقالت عائشة قال الرسول صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس بن
مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من
تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم
عن بعض وعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى
ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا
نقول أخ وابن عم حليم كريم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال
يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا
من القبور فدخلوا في الإسلام وعن سهل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة وضع يده على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معاشر قريش ما تقولون
ما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم فقال صلى الله عليه وسلم
أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا وقف العباد نادى مناد

إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي
أجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي أن يؤتى بحد إلا أقامه
والله عفو يحب العفو وقرأ وليعفوا وليصفحوا فهذه هي الأخبار الدالة على فضل العفو
وحسن موقعه عند الله تعالى **وأما الآثار** فقد روي أن رجلا
دخل على عمر بن عبد العزيز يشكو إليه رجلا ظلمه فقال له عمر إنك
أن تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها وقال
بعضهم إذا أراد الله أن يتحف عبدا أتاح له من يظلمه وقال بعض الزهاد
إن الرجل ليظلمني فأرحمه وهذا احتساب وترك العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه
لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال ابن أبي ليلى
حين أن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله يقول إن آخر يدعو عليك إنك
ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئتما أخرتكما إلى يوم القيامة
فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه
فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن ألا يفعل وعن
ابن عمر عن أبي بكر قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا فينادي من كان له عند الله
شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافيهم الله تعالى بما كان من عفوهم على الناس وأتى
هشام ابن جبلة إلى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فعفا
عنه والآخر أذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال الملوك تعفو عن العظيم إعظاما

علا الفضل وتعاتبوا علا البر ليس يحملهما ولكن لا دري الله الشانه وعن المبارك بن
فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذا
أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت لابي جعفر الا احدثك
حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله
الخلايق في صعيد واحد حيث ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي فيقوم مناد من له أجر علا
الله فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله
لقد سمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم
الفرصة فاذا امكنتكم الفرصة فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا
دخل علا هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرايت ذا القرنين كان نبيا قال لا ولكنه
انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه اذا كان قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث
صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم
لكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب
واتي هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال هشام
وتتكلم أيضا فقال الرجل لهشام قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها أفنجادل الله
ونتكلم بين يديه ولا نتكلم بين يديك قال بلى ويحك فتكلم وروي ان عمار بن ياسر
دخل عليه سارق بصفين فأخذ متاعا له فقيل له أقطعه فانه من أعدائهم وأعدائنا أهله
فقال بل أستر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس في سوق يبتاع متاعا فابتاعه
ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد حلت وانها لي فقال

بعد عود على ولو أخذ

٩٣

فقل ابن عون علا ان اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عمار
اللهم ان كان حمله علا اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله علا الذنب جراه فاجعله
آخر ذنوبه وقال الفضيل بن عياض ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي
في المسجد الحرام ثم قام يطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلا الدنانير
تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي علا ادحاض حجته فبكائي رحمة
له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن ايوب وهو علا البصرة أمير ليلا وجاء الحسن وهو
خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا مع الامير الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف
وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم
وذكروا ما لقي من كيد النساء ومن الحبس فقال أيها الامير ماذا صنع الله به اد الهم
ورفع ذكره واعلا كلمته وجعله علا خزاين الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع
له أهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه فقال الحكم وأنا اقول
لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم به وكتب بعض الحكماء الى صديق له يسأله
العفو عن بعض اخوانه وقال فلان هارب من زلته الا عفوك لائذ منك بك واعلم
انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى فيهم
من الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى فقال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعطه
ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فا
فلت منه فاخذ اخاه فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت

ان جيتك بكتاب من الاحبة فخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من القرآن
الحكيم وأقيم عليه شاهدا او شاهدين من ابراهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبأ بما في صحف
موسى وابراهيم الذي وفى الآية قرروا برمته ومن روا اخر قال من ياجلوا سبيله
هذا الرجل فقد لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان
والله أعلم بالصواب

التنبيه الثالث في بيان فضيلة الرفق

ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة وهما نتيجة الغضب والفظاظة فاما الرفق
واللين فهما نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة والغضب وقد
يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش على الفكر ويمنع من التثبت
والرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب
وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله
على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة من أعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير
الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق الحرق باطل الجهل
والكبر الكرم واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد
حرموا محبة الله تعالى عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم عليك يا عائشة فانه ما فعل
في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ارفقي يا عائشة
فان الله تعالى اذا احب بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وآله وسلم

ومن حرم الرفق

من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما والٍ ولي فلان ورفق رفق الله به
يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدرون من يحرم على النار يحرم عليها
كل هين لين وقال صلى الله عليه وآله وسلم الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
التأني من الله والعجلة من الشيطان وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فاخصصني منك
بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص
هل انت مستوص مرتين او ثلاثا فقال نعم فقال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته
فان كان رشدا فامضه وان كان سوء ذلك فانته وعن عائشة انها كانت مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تضربه يمينا وشمالا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم عليك بالرفق فانه يزين والخرق يشين فهذه الاخبار
كلها دالة على فضيلة الرفق

واما الآثار فقد روي

عن عمر انه بلغه ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله تعالى واثنى عليه
ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة
ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شيء احب الى الله تعالى ولا اعز من حلم امام ورفقه
ليس شيء أبغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية
فيمن بين ظهريه اتته العافية ممن هو دونه وقال وهب ان الرفق
بين الحلم وقال بعضهم العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه
والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال ما احسن الايمان

بن يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل واما احسن العمل يزينه الرفق وما أ
ضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال
ان تكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة
من يقدر على ضررك وقال سفيان يوما لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل
يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف
في موضعه والسوط في موضعه وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية
يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخبر زيادة ورشد وان الرشيد
من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون
مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق
ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وقال بعض الحكماء لا يبعدن من الحزم الاحمق لا بد لك منه
فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو
افضل منه وقال الحسن البصري المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ما اردنا ذكره
في الرفق وفضله وذلك لانه محمود في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة قد تقع الى
العنف ولكن ذلك يكون على الندرة وانما الحازم من يميز مواضع العنف عن مواضع اللين
فيعطي كل امر حقه وعلى الجملة فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

الباب السابع من المهلكات الكبر



واعلم

ان قبل الخوض فيما اردناه من حواشي الكبر وآفاته نذكر ماهيته لان من المحال معرفة حكم
الشيء قبل الخوض في معقوله ومفهومه والكبر خلق في النفس وهو الاسترواح والركون
الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل
الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي شيئا الا المعجب نفسه بل لو لم يخلق الانسان الا وحده
تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق
ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولو رأى نفسه مثل غيره لم يكن متكبرا ولا
يكفي ان يستحقر نفسه في كونه متكبرا بل انما يدرك حقيقة الكبر باعتقادات ثلاثة اولها
اثبات النفس مرتبة وثانيها ان يرى لغيره مرتبة وثالثها ان يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة
غيره فعند حصول هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر وحقيقته فاذا
حصلت هذه العقيدة انتفخ شخصه وصار في قلبه اعتزاز وهزة وفرح وركون الى ما
اعتقده وعز في نفسه من اجل ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر
ولهذا قال عليه والسلام اعوذ بك من نفخة الكبر يا وكان الانسان مهما رأى نفسه بعين الغير
وهو الاستعظام تكبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن هذه الحالة الحاصلة للنفس
من هذه الاعتقادات ويقال لها ايضا عزة وتعاظما ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة لم يبلغوها وفسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه
العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن فاما الاعمال الباطنة فهو ما يحصل في القلب من العزة
والاعتزاز والفرح والاطمئنان فهذه خلق الكبر الباطنة واما الاعمال الظاهرة فانها

صاحبها فضل عظيم عنه نفسه فيرى بالاضافة الاعلى خير من دونه وازدراه واقصاه
عن نفسه وابعده وترفع عليه وانفعا عن مواكلته ومجالسته وربما ان حقه ان يقوم
ماثلا بين يديه وان استكبه استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للتقدم بين
يديه وان تفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام وان حاج او ناظر انف ان يرد
عليه وان وعظ استنكف عن القبول وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق با
لمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا
واستحقارا الاحوالهم فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وفيه خطر على الدين كبير وفيه يهلك اكثر
الخواص من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن اعوام الناس وكيف
لا يعظم آفته وقد قال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
وانما صار حجابا من الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي
مفاتيح ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب
للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من الكبر ولا يقدر على شيء من التواضع وهو راس اخلاق
المتقين وفيه الكبر ولا يقدر على ترك الحقد وفيه الكبر ولا يقدر ان يدوم على الصدق
ولا يقدر على ترك الغضب وفيه الكبر ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه الكبر ولا افقنا
للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب الكبر مضطر اليه ليحفظ به الكبر وما من خلق محمود
الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته الكبر فلهذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر
وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد وقد وردت الايات على
ذم المتكبرين فقال تعالى فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى

ثم لننزعن من كل شيعة

ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
والقرآن مشحون بذم الكبر واهله وقال عليه السلام ان السبب في استحقاق النار هو الكبر
قال عيسى صلوات الله عليه ان الزرع انما ينبت في السهل دون الصفا كذلك الحكمة توضع
في قلب المتواضع ولا توضع في قلب المتكبر الا ترون ان كل من شمخ براسه الى السقف
شجه ومن تطاطا اظله واكنه فهذا مثل ضرب لكل متكبر والذي يحرم من الحكمة ولهذا ذكر
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في الكشف عن ماهية الكبر فقال من سفه الحق وغمص الحق واراد
به لكل جحد ان الحق وازدرى الخلق وتنقيصهم والترفع عليهم فهذا ما اردنا ذكره في بيان ماهية
الكبر بما نردف بما نريد من شرح ما يتعلق بالكبر في صورة التنبيهات ليكون اقرب الى الحفظ
بعونه الله تعالى

التنبيه الاول في بيان ذم الكبر وقد ظهر ذمه من جهة ثلاث الجهة الاولى

من كتاب الله تعالى فقال الله
تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين وقال تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا
مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون وقال تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
وقال تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق الى غير ذلك من الايات الدالة على ذم
الكبر واهله **الجهة الثانية** الاخبار روى ابو هريرة عن الرسول صلى الله
عليه واله وسلم انه قال يقول الله تبارك وتعالى الكبر يائي ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
احدهما القيته في جهنم وروى انه التقى عبد الله بن عمر بن العاص وعبد الله بن عمر على المروة

فتوقفا فمضى

فتنو فقا مضا ابن عمرو ابن العاص وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله ابن عمرو وانه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله على وجهه في النار وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان ابن داود عليه السلام يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسف به ابعد مما رفعه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من النار عنق له اذنان يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه فاحتجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وآله وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبتدا والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده الموت وقال عبد الله ابن عمرو ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك بالله والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما بينهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما بينهما كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله

عليهما لفصمتهما

عليهما لفصمتهما وآمركما بسبحان الله وبحمده فانهما صلوة كل شيء وبهما يرزق كل شيء وقال عيسى صلى الله عليه طوبى لمن علمه الله تعالى كتابه ولم يمت جبارا وقال الرسول صلى الله عليه وآله اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء وقال صلى الله عليه وآله ان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال وهي طينة عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار قال صلى الله عليه وآله وسلم فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول فهذه جميع ما اوردناه من الاخبار الدالة على ذم الكبر

الجهة الثالثة الآثار

قال ابو بكر لا تحقرن احد من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف ابن قيس يجلس مع مصعب ابن الزبير في يوم ما ومصعب ماد رجليه لم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى ذلك فيه فقال الاحنف عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم

بعقل المرء ابيه كل يوم من تيه ونحو تكبر يقارب من جبابرة الصمدان وقيل في تفسير قوله تعالى
وفي انفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن علي ما دخل قلب
امرء شيء من الكبر الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سليمان عن
السيئة التي لا تنفع معها الحسنة فقال الكبر **التنبيه الثاني في بيان ذم**
الاختيال والاظهار آثار الكبر في المشية وبطرزه فيه من جهتين **الجهة**
الاولى الاخبارات الماثورة قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى يوم القيمة
الى رجل جر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينا رجل يتبختر في برديه قد
اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وعن عبد الله بن عمر انه مر به رجل وعليه
ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء **وروى** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله ابن آدم تعجزني وقد خلقتك من مثل
هذا اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت
حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشيت
امتي المطيطاء وخدمتها ابناء فارس والروم سلط بعضهم على بعض وفي حديث آخر لقد
تعج صيحهم وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
فهذه هي الاخبارات في ذم الاختيال **الجهة الثانية** الآثار **وروى** عن الحسن
انه مر به ابن الاهتم وهو امير يريد المقصورة عليه ثياب خز قد نضد بعضها فوق
بعض على ساقه فانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن فقال اف اف
شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه او يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو

من اعضائه لله

من اعضائه لله تعالى نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه
فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك
لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال
ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك
داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم **وروى** ان عمر بن عبد
العزيز حج قبل ان يستخلف وهو يختال في مشيته فنظر طاووس اليه فغمز جنبه باصبعه
فقال ليس هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر له كالمعتذر لقد ضرب كل عضو مني على
هذه المشية حتى تعلمتها وأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك
فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله **وروى** ان مطرف بن عبد الله
ابن الشخير رأى المهلب يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله تعالى ورسوله
فقال له المهلب اما تعرفني فقال بل اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل فيما
بين ذلك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك **واقول** ان الوعيد على الكبر القطيع
وان الخطر فيه جسيم وان البلوى به تتناول الخلق الا من وفقه الله تعالى واحاديث وردت
في فضل التواضع في كل أمر ولاحظ امر الآخرة وعزم على الاذلال نفسه تواضعا لعظمة الله تعالى
والحقا بكلمته جلاله فنسال الله تعالى الكريم الذي جلت عظمته وشملت رحمته ان يجعلنا
من اوليائه الذي محى رشح الكبر عن قلوبهم وازال الفخر عن صدورهم فتحققوا بلذة التواضع
وجانبوا الثقل بنصب الفخر والكبر وظفروا بجوار الكريم في جنات الخلد والنعيم **التنبيه**
الثالث في بيان فضل التواضع وقد طرزه من جهتين الجهة
الاولى الاخبارات قال الرسول صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع
أحد الا رفعه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه

فان هو رفع نفسه جذبها ثم قال اللهم ضعه وان وضع نفسه قال اللهم ارفعه وقال
صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن تواضع من غير مسكنة وانفق مالا اكتسبه من غير معصية ورحم
اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
صلى بقباء وكان صائما فاتيناه بافطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه من عسل فلما رفعه
فذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه
فقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله تعالى ومن تكبر وضعه الله تعالى ومن اقتصد
اغناه الله تعالى ومن بذر افقره الله تعالى ومن اكثر ذكر الله تعالى احبه الله وروي ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم كان في نفر من اصحابه يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره
منها وصفق في حاله فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذه وقال
على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز عنه ويكرهه فما مات ذلك الرجل
حتى ابتلي بمثل تلك البلية وقال صلى الله عليه وآله وسلم خيرني ربي بين امرين ان اكون عبدا رسولا
او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال
تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وروي ان موسى عليه السلام اوحى الله اليه انما اقبل
صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف
نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى
وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين
بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين
ينظرون الى الله عز وجل يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن
صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك التواضع فذلك من صفوة الله تعالى وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اربع لا يعطيهن الله تعالى الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل
على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنه ان التواضع لا يرث القلب الا فقها

فتواضعوا

فتواضعوا يرحمكم الله تعالى وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يطعم مرة
فاذا رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده ويكون مهنأ لاهله
يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما لي لا ارى عليكم حلاوة
العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع **الجهة الثانية** الآثار قال عمر
ان العبد اذا تواضع لله رفعه الله تعالى حكمته وقال انتعش رفعك الله تعالى واذا تكبر وعدا طوره
وقصه الله تعالى الى الارض وقال اخشنا اكرمكم الله تعالى من هو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير
حتى انه لاحقر عنده من الخنزير وحكي عن سلمان الفارسي انه قال تواضعوا لله فان من تواضع
لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة اتدرون ما ظلمة النار يوم القيامة قلنا لا قال فانه ظلم العباد
بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقال يوسف
ابن اسباط يجزي قليل الورع عن كثير العمل ويجزي قليل التواضع عن كثير من الاجتهاد وقال الفضيل
وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته
من اجهل الناس قبلته وحكي عن بعضهم انه قال راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة
الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا
حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا
او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل ان الله تعالى اوحى الى عيسى
عليه السلام اذا انعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم
الله على عبد نعمة في الدنيا فشكرها لله تعالى وتواضع بها لله الا اعطاه الله تعالى نفعها في الدنيا
ورفع بها درجته في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع
بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه

وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وترك النصرة
عن قوة ودخل ابن السماك على الرشيد هارون فقال له ان تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك
فقال له ما احسن ما قلت فقال ان امرأ اعطاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسطا
له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله تعالى من خالصة الله تعالى
فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان ابن داود اذا اصبح تصفح وجوه
الاغنياء والاشراف حتى يجي المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما
تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة
ويروى انه خرج جماعة من اهل الصلاح يتدارسون التواضع فقال بعضهم لبعض تدرون ما هو
التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى
لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله تعالى فوق الجبال وجعل
قرار السفينة عليه وقال بعض الحكماء اطلع الله تعالى على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا
من قلب موسى فخصه من بينهم بالكلام وعن بعض الزهاد وقد انصرف من عرفات لم اشك في
الرحمة لولا اني معهم وصفناه انه يخشى انهم حرموا بسببه ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله
تعالى اوضع ما يكون عند نفسه وقال بعض الزاهد من غير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال
مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا ما سبقني احد الى الباب
الا رجل بفضل قوة او سعي قال ولما بلغ كلامه ابن المبارك قال بهذا صار مالك مالكا وقال
الفضيل بن عياض من احب الرياسة لم يفلح ابدا وحكي عن موسى بن القاسم قال كانت عندنا
زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى
فقال يا ليتني لم اكن سببا لهلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله
عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا دابه

وعادته فقال انا النقطة

وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود
وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن رجل من الزهاد قال رأيت امير المؤمنين
كرم الله وجهه في المنام فقلت يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء
رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى عز وجل وقال
ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد البسطامي ما دام العبد يظن ان في
الخلق من هو اشر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا
حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق
كلهم على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد
مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف
اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك
بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وهو في الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح
وهو في الفقراء اقبح وقال بعض الزهاد النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله
تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها
التواضع مع نصرة الله تعالى عز وجل واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركها النصيحة مع
توفيق الله تعالى فاذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله تعالى منهما
ما اوردنا ذكره في مدح التواضع وتمام الشرح عليه والله الموفق للصواب

التنبيه الرابع في بيان اسباب الكبر اعلم

انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال
وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني ودنيوي وجامع ذلك يرجع الى الاسباب سبعة

السبب الاول

العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم

وكماله ويستقطع نفسه ويستحقر الناس وخلاصة الاصل ان ذكر الفقها مما يكون متعلقا بامور الدنيا
أو بامور الآخرة فهاتان حالتان **الحالة الاولى** ما يكون في الدنيا فينظر
الى الخلق نظره الى البهائم ويستجهلهم ويستحقر احوالهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان
بدأ احد بالسلام أو قام له أو اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة ويدا او يعتقد انه اكرمهم وفضل
بهم ما لا يستحقون الا عليه ذلك من الامور التي يترفع بها او يتكبر عليهم فيما
الحالة الثانية ما يكون متعلقا بامور الآخرة وهو بان يرى نفسه عند الله تعالى
اعلى وافضل فيخاف على غيره اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو
لهم ومن هذا حاله فهو احق بان يسمى جاهلا احق من ان يسمى عالما لان العلم النافع هو
الذي يعرف الانسان به نفسه **السبب الثاني** العمل والعبادة وليس
يخلو احد من تلبس بهما من رذيلة الكبر والفخر واستمالة قلوب الزهاد والعباد
ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يعتقدون لانفسهم حقوقا على
الخلق لاجل عبادتهم وزهادتهم ويتوقعون من الناس قضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم
في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس واما في الدين فهو انهم يرون
الناس هالكين ويرون انفسهم في غاية النجاة وهو الهالك حقيقة مهما ذلك واعتقده
قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك
لان هذا القول دال على الازدراء بخلق الله مغترا بالله تعالى امن لمكره غير خائف من سطوته
وكيف لا يهلك ويكفيه شرا احتقاره الغير قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالمرء
ان يحقر اخاه المسلم **السبب الثالث** الكبر بالنسب والحسب
فالذي له حسب شريف يستحقر من ليس له ذلك الحسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد
يتكبر بعضهم فيرى الناس له موالي وعبيدا ثم يانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرة ذلك على اللسان التفاخر
به فيقول للغير يا نبطي يا هندي يا رومي يا من انت ومن ابوك وانا فلان ابن فلان
وابن مثلك لا يكلمني

وابن مثلك ان يكلمني او ينظر الي وانما تكلم مع مثلي وهذا هو الكبر الذي لا ينفك عنه
من كان له حسب فاخر واصل شريف واذا كان صاحبه عاقلا خلا انه ربما لا ينفك الا ذلك
عند اعتدال الاحوال وكف الغضب واستقرار المزاج فاما اذا غضب او هاج مزاجه اطفا
ذلك نور بصيرته ونشب ما كان عليه من العقل والصلاح كما روي عن ابي ذر قال
تناولت رجلا عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال صلى الله عليه وآله وسلم
يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فا
ضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي **السبب الرابع** التفاخر بالجمال
وذلك يجري في الاكثر بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر
عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة انها قالت دخلت امرأة على الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد
اغتبتيها وهذا منشاه خفي الكبر لانها لو كانت قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها
اعجبت بقامتها واستنقصت تلك المرأة في جنب قامتها فلهذا قالت ما قالت **السبب**
الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم
وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني
الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مقل ومسكين وفقير وانا لو شئت لاشتريت مثلك واستخدمت
من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي جميع ما تملك وانا انفق في اليوم الواحد ما
تاكل في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنا واستحقاره الفقر وهذا منه جهل بآفة الغنى
وفضل الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
حتى اجابه وقال كما حكاه الله تعالى ان ترني انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتين خيرا
من جنتك الآية فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم ان الله تعالى بين عاقبة امره باخباره
عنه بما ذكر في آخر الآية ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال
يا ليت لنا مثل ما اوتي

يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون **السبب السادس** الكبر بالقوة وقوة البطش
والتكبر فيه حاصل على اهل الضعف فاهل القوة فيه يتكبرون على اهل المرض والزمانة و
هكذا حال العبد ان من ضعف عن لقاء عدوه فالقوي منهما يتكبر بقوته على
الاخر وهكذا حال الملوك فان الملك الضعيف يقهره الملك القوي بالاموال والجنود الكثيرة
والعساكر الجمة ومن ضعف عن ذلك فالقوي يتكبر عليه ومن عادة الملوك التفاخر والتكاثر
والتغالب وبهذا اشار تعالى في تقرير الواحد انيته بقوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض بالتعالي من شأن الملوك ومن شأنهم ايضا ان كل واحد منهم يتطاول على الاخر قال
تعالى اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا فكل ما ذكرناه دال على التكبر والعلو **السبب**
السابع التكبر بكثرة الاتباع والانصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والاقارب
والبنين والعصبة ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة في الجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمريدين
والتلامذة واهل الغاية وعلى الجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا
لا امكن ان يتكبر به وكذلك الفضل من الخلق وسياسة الدواب وسائر اهل الفسوق من الشربة والزناة
قد يتفاخرون على بعضهم بعضا بكثرة ملابستهم لانواع الفسوق من الزنا وشرب المسكر وجميع انواع الفسق
لظنهم ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد فكل واحد منهم على الاخر
فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده
وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه
انه الاعلم وحسن اعتقاده في نفسه والله اعلم بالصواب **التنبيه الخامس**
في بيان البواعث على التكبر اعلم رحمنا الله تعالى واياك ان
الكبر خلق باطن كما اشرنا اليه فاما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهو ثمرته
ونتيجته وجملة ما ينسب اليه من الاسباب الباعثة عليه اربعة **الباعث الاول**
العجب فانه يورث

العجب فانه يورث التكبر كما ستوضح القول فيه بعونه تعالى فانه يورث الكبر الباطن والكبر
يورث الكبر الظاهر في كل الاعمال والاحوال **الباعث الثاني** الحقد فانه
يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب
عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه
نفسه ان يتواضع له وان كان عنده انه مستحق للتواضع فكم من رجل لا تطاوعه نفسه على
التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى
الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحل
منه وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به **الباعث الثالث**
الحسد ايضا فانه يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء او سبب يقتضي الغضب
والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمتنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم
من جاهل اشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل
بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق
التواضع لفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه
ليس يرى نفسه فوقه **الباعث الرابع** الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين
حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا
حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس
انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا بنفسه لكان لا يتكبر عليه
فاما الذي يتكبر بالحسد والعجب والحقد فانه يتكبر عند الخلوة ايضا مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك
الرياء كما قررناه فانه لا بد ان يكون على ملأ من الناس **التنبيه السادس**
في بيان المتكبر عليه اعلم ان المتكبر عليه لا يخلو اما ان يكون

اما ان يكون لله تعالى او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا
فتارة يتكبر على الخالق وتارة على انبيائه وتارة على سائر الناس فهي ضروب ثلاثة
الضرب الاول التكبر على الله تعالى وذلك هو افحش انواع التكبر ولا منشا له
سوى الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود اذ كان يحدث نفسه بانه يقاتل
ملك السماء وكما يحكى عن جماعة من الحماقة مثل ما يحكى عن فرعون حيث ادعى الربوبية وقال
انا ربكم الاعلى واستنكف ان يكون عبدا لله تعالى وان ادعى الصعود الى السماء للاطلاع الى
رب السماء كما قال تعالى حكاية لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى **الضرب
الثاني التكبر على الرسول** من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد
لبشر من سائر الناس كما حكاه الله تعالى في قوله انؤمن لبشرين مثلنا وذلك تارة يصرف
عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق
فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا يطاوعه نفسه على الانقياد للحق والتواضع للرسول
كما حكاه الله تعالى عن قولهم ما انتم الا بشر مثلنا وقوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم وقوله تعالى
لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق وقال وهب قال فرعون لما قال له موسى آمن ولك ملكك فقال اشاور هامان فقال
هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستكبر عن عبودية الله تعالى
وعن اتباع موسى وقالت قريش لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يريدون
اما انزل على الوليد بن المغيرة واما على عروة بن مسعود الثقفي فيما الرياسة في القريتين
مكة والطائف **الضرب الثالث** التكبر على العباد وذلك بان يستعظم
نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم
ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا
عظيم الامرين احدهما

عظيم الامرين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد
المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد
فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله وثانيهما ان الذي يدعوه الكبر انه يدعو
الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف عن
قبوله وتشمر لجحده ولهذا فانك ترى من تقاطع وتكبر تقرب خلقه من اخلاق الكفرة والمنافقين
اذ وصفهم الله تعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل
من ناظر للغلبة والافحام لا لتعليم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وحمل على ذلك
كله الانفة عن قبول الحق كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم
ولبئس المهاد وروي ان عمر لما قرأها قال ان لله وانا اليه راجعون وقال ابن مسعود
كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله تعالى اخذته العزة بالاثم وقال صلى الله عليه وسلم لرجل
كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فما منعه الا الكبر فما رفعها بعد ذلك
الا اعتلت بعد ما بطلت **التنبيه السابع في بيان علاج
الكبر وازالته** اعلم ان الكبر من عظائم المهلكات ولا يخلو احد
من الخلق عن شيء منه وازالته على الخلق من فروض الاعيان اللازمة ولا يزال بمجرد التمني
وانما يزول بالمعالجة والاجتهاد وعلاجه يكون اما باستئصال اصله وسنخه وقلع
شجرته من مغرسها في القلب واما بدفع الاسباب الجالبة له التي يتكبر بها الانسان فهذا
مقامان المقام **الاول** استئصال اصله وقلع آثاره ولا يتم الشفاء من ذلك
الا باعمال القوى في قطع المادة وذلك يتم بامرين علمي وعملي **فاما** الامر العلمي فهو
ان يعرف نفسه وحقارتها ويعرف ربه وما يستحقه من العظمة والكبرياء ويكفيه ذلك
في ازالة الكبر عن نفسه فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة عرف انه اذل من كل ذليل

واقل من كل قليل لا يليق به الا التواضع والذل والمهانة واذا عرف ربه عرف انه لا يليق العظمة
والكبرياء الا به ويكفيه من ذلك آية واحدة في الدلالة على الجلال والعظمة وهي قوله تعالى
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل
النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين فقد اشار بهذه الآية الا العظيمة لخلق هاذه المكونات الباهرة بل اجمل
الامر في اخر الآية بان الامر والخلق بيده من الافعال الحكمية والاوامر الشرعية التي لا مقدر
لها سواه فلا يملكها الا هو واما معرفة الانسان نفسه فقد اشار بها الاية واحده
هي الكافية في المطلوب وهي قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فقد
اشار تعالى في هاذه الاية الى اول الخلقة بقوله من نطفة خلقه على جهة الاستحقار والا
آخره بقوله تعالى ثم اماته فاقبره على جهة التهاون في المال والاوسط امره بقوله تعالى ثم
السبيل يسره ثم اشار بعد هذه الاطوار الثلاثة الا الحقيقة للامر بسوره ان وقع
اختيار بقوله كلا لما يقض ما امره ثم اشار بعد ذلك الا عاقبة في معرفة الامر با
لبعث والحشر بقوله ثم اذا شاء انشره فهذه الاية كافية في معرفة الانسان لحال نفسه
وتفضيل امره فينظر لكل او حال الآدمي ووسطه ولو نظر اخره والعياذ بالله بما اختار
ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهايم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا
فان كان عند الله تعالى يستحق عذابا فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع قدرا لان اوله التراب
واخره التراب وهو بمعزل عن العذاب والكلب والخنزير لا يهرب منهما احب
من الخلق ولو رأى العبد ذنبه في النار لصعق من وحشته ما يرى به في خلقته وقبح صورته
ولو وجد وارايحه

ولو وجد رائحته لمات ولو قطعة قطرة من شرابه الذي يسقى منه في لهاة الدنيا لصارت انتن
من الجيفة فما لمن حاله هذه والتكبر بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والبطش فهذا
هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر والمزيل لقرارته وهو اعلم بالصواب **وأما الامر العملي**
في علاج الكبر فهو التواضع بالعمل لله تعالى ولساير الخلق بالمواظبة على افعال المتواضعين
وكما استقر من اخلاق المتواضعين بعد هاذا معبدة الله تعالى وبالاقتداء من سيرة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم واخلاق اهل الصلاح حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انا عبد آكل
كما ياكل العبد وقيل لسلمان لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت
لبست اشار بهذا الا العتق الرقبة من العذاب في الاخرة ولهذا امر بالصلاة لما فيها
من الخضوع والخشوع والانحطاط في الارض وتعفير الخدود بالتراب عند السجود والقاتها
التراب عند التيمم كل ذلك امر بالتواضع فجميع العبادات كلها من الصلاة والصيام والحج فيها
نهاية الخضوع لعظمة الله تعالى فلينظر الانسان في كل ما تقتضاه الكبر من الافعال فليواظب على
نقايضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم
والعمل جميعا فهذا هو العلاج في قطع الكبر بالكلية وابطال اصله **المقام الثاني**
في بيان ابطاله بقطع اسبابه السبعة التي ذكرناها فاما من يتكبر بنفسه فمداوته
بامرين اما اولا فلانه قد تقرر بغيره وكماله وقيل من تحمل كان عزه بغيره فقد لبث الله واما
ثانيا فلان آباه القريب خلق من النطفة القذرة واما ابوه البعيد فانه مخلوق من تراب
واما من يتكبر بالجمال فدواوه ان ينظر الا ما هو مشتمل عليه في باطنه وظاهره فان القذر
يحتوي على جميع اجزاءه فالقذر في جميع امعاءه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق
في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والذفر في ابطيه والبول
في الاحليل والغايط في الدبر يخرج كل يوم الا الخلاء مرارا لكثرة ما يخرج من باطنه ما لو راه بعينه

لا تستقذره فضلاً عن يمسه ويشمه كل ذلك ليعرف قذارة الذوات لم وهوانه ثم انه في أول خلقته
خلق من الاقذار البشعة من النطفة القذرة ومن دم الحيض وجرى في مجرى البول مرتين ومن مجرى
الحيض ومن ثم كلها لا ينفك عنها واما من تكبر بالغنى والنسب فمداواة ذلك بما يقال ويتحقق
مما سلط عليه من الامراض والعلل وانه لو وجع عرق واحد من بدنه لكان اعجز من كل عاجز
واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا ما استنقذه منه وان نملة لو دخلت اذنه لقتلته
او بقة دخلت انفه لفاتت روحه واما من يتكبر بالغنى وكثرة المال فهذا من اقبح
انواع التكبر لانه تعزز بالغير وتكبر به وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو جاهل
ظاهر لان الامور الخارجة من المال كالدور والقصور والفرش والاثاث كلها اقرب الى
التغير والزوال واما تكبره بالعلم فهو ايضا يكون من اعظم الآفات وايضا علاجه
الاشد شديد وجهد جهيد وذلك يكون بامرين اما اولا فهو ان العالم يتحقق
ان الكبر انما يليق بعظمة الله تعالى وجلاله فاذا تكبر صار بغيضا الى الله تعالى ممقوتا عنده
واما ثانيا فلانه يعلم ان حجة الله تعالى على العلماء اوكد وانه يحتمل للجاهل ما لا يحتمل
للعالم وان كان من عصى الله تعالى عن معرفة كان اقرب ممن يعصيه تعالى عن جهل وقد قال
صلى الله عليه واله وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور
بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا افعله وانهى عن
الشر وافعله واما من يتكبر بكثرة الاتباع والاشياع والانصار والخدم والتلامذة
وكل جاهل لانهم كلهم اسرع ما يكون الى المفارقة والانقطاع عنه في اقرب الاوقات وايضا
فانه تعزز بالغير وكل ما كان من التعزز بالغير فهو نقص لا كمال واما التكبر بالورع والزهد
والعبادة فمداواة ذلك ان يلزم نفسه بالتواضع لسائر الخلق ويعرف ما في الكبر والعجب
العظيم فلعله ذلك يذهب عنه الاثر الاكبر فهذه جامع اسباب الكبر قد اشرنا الى
وانها علاجه الاختصار ويجب سهله عن ومن وفقه الله تعالى وعرفه قدر نفسه وامكن قلبه

فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن استخلصه الا بلوغ الغاية من كرمه ورضوانه وظفر بالعفو من عند
كرمه واحسانه وبالله التوفيق **التنبيه الثامن في بيان ظهر فيه آثار**
التواضع والتكبر اعلم ان التكبر ربما يظهر في شمايل الرجل وهو كتصعير وجهه ونظره
شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته أي
صوت ولا يفهم كلام من المتكبرين من جمع ذلك كله ومنهم من يقتصر ببعض دون شيء وجملة ما يظهر
من ذلك امور عشرة اولها التكبر بان يحب قيام الناس في وجهه وبين يديه وقد قال
صلى الله عليه واله وسلم من احب ان يتمثل له الرجال صفوفا فليتبوأ مقعده من النار وثانيها ان
ان يتكبر عن زيارة غيره وروي ان سفيان قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم
ابن ادهم ان يعال فحدثنا فجاءهم سفيان فقالوا له يا ابا محمد تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت
ادري كيف تواضعه لله تعالى ورابعها ان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه ويحب
الجلوس بين يديه والتواضع خلاف ذلك وحكى انس ابن مالك ان الوليدة من ولائد المدينة
كانت تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب حيث شاءت
من نفسها وخامسها ان يتوقى في مجلسه من المرضى والمعلولين ويتحاشى عن الجلوس
معهم فما هذا الا حال من الكبر وكان عبد الله ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى
الا اقعدهم على مائدته **وسادسها** ان يتكبر عن تعاطي شغل في بيته والتواضع
خلاف ذلك **وروي** عن ابي عبد العزيز انه كان يوما يكتب فاراد السراج ينطفي فقال
الضيف نقوم فنصلحه قال ما كان للرجل ان يستخدم ضيفه قال وانبه الغلام قال لا انها اول
نومة نامها فوضع القلم من يده واخذ البطة وملأ السراج زيتا فقال الضيف قمت انت
بنفسك فقال قمت وانا عمر وجلست وانا عمر خير الناس من كان لله متواضعا **وسابعها**
اللباس اذ به يظهر التكبر والتواضع قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم البذاذة من الايمان

قال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت
عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها
من أدم وعوتب امير المؤمنين كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن
ويخشع القلب وقال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء القلب ومن اشدها (؟)
ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه مما هذا احد اصول عظيم يجب ان
يراعي في خلق التواضع وقد جرت به عادات السلف الصالح اعني احتمال الاذى والصبر
على البلوى **وغايتها** ان يعلم ان جامع حسن الاخلاق من التواضع وهو
سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينبغي ان يقتدي به وينبغي ان يتعلم منه
وقد قال بعض الصحابة لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمآكل
والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله
زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج الخدمة في بيتك مثل ما كان
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويخصف النعل الى غير ذلك من الافعال
التي بياننا ها وبلا بين فعلها (؟) وبالله التوفيق **ولنختم كلامنا في هذا
الباب بايراد امتحانات الدالة على البراءة من الكبر**
اعلم ان النفوس قد تعجب بكونها متبرئة عن الكبر وهي كاذبة في دعاوى البعد عن (؟)
فلابد من اظهار الامتحانات لما فيه من استخراج الباطن وحكم التجربة والامتحانات كثيرة
لكنا نورد ما هو خاص منها وجملة ما نورد فيها خمسة **الامتحان الأول**
ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل
عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر على حيث نبهه عليه وعرفه واخرجه
عن ظلمة الجهل به فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله تعالى فيه والتشغل بعلاجه

١٠٦

ويقرر في نفسه ان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وانه يخلق نفسه قبول ذلك ويقسرها عليه
الامتحان الثاني ان يجتمع الاقران والاعوان معك في المحافل والمشاهد وتقدمهم
على نفسك وتمشي خلفهم وتجلس في المجالس النازلة فان ثقل ذلك عليك فانت متكبر فلتوا
ظب عليه حتى يسقط عنك ثقله فانك تنال الكمال لا محالة وانما يظهر في تقديم الاقران
عليك فان تقدم الارذال فليس يظهر في تقديمهم تواضع ولكنه يظهر بما ذكرنا والله اعلم
الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء
والاقارب وحوائج اهل بيته فان ثقل عليك فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق
والثواب عليها جزيل من جهة الله تعالى فنفور النفس عنها ليس الا لكبر في النفس متمكن في الباطن
فليشتغل بازالته في المواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه الاصول (؟) المزيلة له وليتق
بالله تعالى **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة غيره من الاهل
والجيران من السوق الى البيت فان أبت نفسه فهو كبر وفي الحديث من حمل شغلته من السوق
فقد برئ من الكبر وحكي عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد في
غلمانك وبنيك من يكفيك قال اجل ولكني اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك ام لا فلم يقنع
بما اعطي من العزم حتى صدق العزم بالفعل على ترك الانفة **الامتحان الخامس**
ان تلبس الثياب النازلة البذلة فان نفور النفس من ذلك رياء (؟) روي ان عمر بن عبد العزيز
كان له مسح يلبسه بالليل وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عقل البعير ولبس الصوف فقد برئ
من الكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انما انا عبد آكل على الارض والبس الصوف واعقل البعير والعق
اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني فهذا ما اردنا ذكره
في بيان الكبر والله اعلم **الباب الثاني في العجب من مقالة المهلكات**
اعلم انا قبل الخوض فيما نريد من اثاره نذكر حقيقة العجب وليس العجب يكون الا بعد (؟)

الا بوصف هو كمال كالعلم والزهد والعبادة وليس يعجب الانسان بوصف من اوصاف الرذيل
فان الانسان لا يعجب بالبخل ولا بسوء الخلق وانما يعجب بالكرم وحسن الخلق والعجب
هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم ويخرج
عن هذا حالتان فانه لا يكون معجبا فيهما الحالة الاولى ان يكون خايفا معجبا
الحالة الثانية الا يكون خايفا من زوالها لكن يكون فرحا بها من حيث
انها نعمة من جهة الله تعالى لا من حيث اضافتها الى نفسه فمن هذين الحالين فليس معجبا
فاذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر ذم العجب ثم نذكر اسبابه ثم نذكر كيفية
علاجه فهذه بيانات ثلاثة البيان الاول في ذم العجب اعلم ان ذمه يظهر
من جهات ثلاث الجهة الاولى من كتاب الله تعالى قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم وذلك في معرض الانكار وقال تعالى انهم مانعتهم حصونهم من الله تعالى فرد الكفار في
اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا راجع الى العجب
بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه والله اعلم الجهة
الثانية الاخبار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابي ثعلبة اذا رأيت شحا مطاعا وهوى
متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك العجب العجب وقال طلحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد بنفسه
فاكب عليه فاصيب كفه فكانه اعجب بذلك اذ افداه بروحه فتفرس ذلك في حاله عمر حتى قال ما زال
طلحة يعرف فيه باو منذ اصيبت كفه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والباو الكبر في اللغة الا
انه لم ينفك منه وانه ما اظهر ولا اختفر فيما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت
من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يخلص من العجب امثالهم فكيف حالنا ونحن الضعفا

الا لم ناخذ

ان لم ناخذ حذرنا ويلطف الله تعالى بنا ويعرفنا بنقصنا في كل امر من امور الدين الجهة
الثالثة الاثار قال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وقال زيد ابن
اسلم لا تزكوا انفسكم اي لا تعتقدوا انها بارة وهو يعني العجب وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح
نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وكان بشر ابن منصور من الذين اذا رأوه ذكروا
الله تعالى والدار الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه يلاحظ فلما
انصرف من الصلوة قال لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله تعالى قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة
ثم صار الى ما صار وقيل لعايشة متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمن نتيجة استعظام النعمة بالصدقة واستعظام العمل هو العجب
لا محالة فظهر بما ذكرناه بيان كون العجب مذموما ثم اعلم ان له آفات كثيرة الاولى
منها ان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات التي اوضحناها
من قبل هذا الكلام في العبادة واما مع الله تعالى فانه يدعو الانسان الى نسيان الذنوب واهمالها فبعضها
لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها ولا يذكر منها شيئا الا محابه
تجاوزه ظنه انه يغفر له الثانية انه يستعظم اعماله ويبتهج بها ويمن على الله تعالى بها وينسى
نعمة الله تعالى عليه في التوفيق والتمكين منها ثم انه اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ولم يتفقد آفات الاعمال
كان اكثر عمله ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة عن الشوايب لم تكن عند الله تعالى نافعة
الثالثة ان المعجب يغتر بنفسه ويامن مكر الله تعالى وعذابه ويظن انه عند الله تعالى بمكان
وفي منزلة فيفتح الرابعة ان يخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها و
يزكيها والله تعالى قد نهى عن ذلك بقوله تعالى ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى الخامسة
انه اذا كان معجبا برأيه منعه ذلك من الاستفادة والاستشارة فيستبد بنفسه وبرأيه و
يستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطا الذي يخطر له فيفرح بكونه من

من خاطر نفسه ولا يفرح بكونه من غيره **السادسة** انه لا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه غاية الاصرار **السابعة** انه ان كان في رأيه في امر دنيوي تمت مصالحه وان كان في امر ديني لم يصب وجه الحق فيه خاصة فيما يتعلق باصول العقائد فانه يهلك فيه ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه لاستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وكان مواظبا على مدارسة العلوم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى طريق الحق ومنهاج الصواب **الثامنة** ان يفتر في السعي في الاعمال الصالحة لاعتقاده انه قد فاز واستغنى وهذا هو الهلاك بعينه والزلل لا شبهة فيه فهذا ما اردنا ذكره في ذم العجب وذكر آفاته المهلكة للدين والله اعلم بالصواب

البيان الثاني في ذكر اسبابه

واعلم ان للعجب اسبابا كثيرة وجملتها ثمانية **السبب الاول** العجب ببدنه في جماله وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وقوامه وعلى الجملة فان العجب يحصل في تفاصيل الخلقة فيلتفت الانسان نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة للزوال في كل حال **السبب الثاني** القوة والبطش كما حكاه الله تعالى عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وربما حكي عن عوج ان عنق الله اعجب بقوته فاقتلع جبلا ليطبقه على قوم موسى وعسكره فثقبه الله تعالى في عنقه حتى صار في عنقه كالمخنقة وقد يتكل المؤمن على قوته ويعجب بها كما حكي عن سليمان انه قال لاطوفن الليلة بمائة امرأة لتلد كل واحدة منهن ناديا يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراده من الاولاد وقد يورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في المهالك ويفرح بعضها للقتل بالسيف **السبب الثالث** العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته

الاستبداد بالرأي

الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له في رأيه ويخرج الى قلة الاصغاء لاهل العلم اعراضا واستغناء بالعقل والرأي واستحقارا لهم **السبب الرابع** العجب بالنسب وهذا كاعجاب الفاطمية والطالبية والهاشمية بانسابهم حتى يظن بعضهم انه ينجو لاجل شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل ان جميع الخلق له موالي وعبيد وهذا غرور عظيم وخطأ فاحش فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له من اكرم الناس لم يقل من ينتهي الى نسبي ولكن قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما نزلت الآية اذ اذن بلال يوم الفتح على ظهر الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وافتخارهم بالآباء الناس كلهم من ولد آدم وآدم من تراب **السبب الخامس** العجب بنسب السلاطين الظلمة والملوك واعوانهم وارباب الدول والاعراض عن نسب الدين والعلم وهذا هو غاية الجهل ولو تفكر في مخازيهم وانهم كانوا في المعاصي لله تعالى من البغي والفساد وظلم العباد الممقوتون عند الله تعالى والمبعدون عن رحمة الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار والاخرى لهم وما اعد لهم من النكالات لتبرأ من الانتساب اليهم لكان الانتساب الى الكلاب والخنازير اشرف من الانتساب اليهم **السبب السادس** العجب بكثرة العدد من الاولاد والغلمان والاقارب والانصار والاتباع كما حكى الله تعالى عن عجب الكفار بقولهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وكيف يعجب بهم وسيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا وحيدا لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم فيسلمونه

الا التراب والنكال والحيات والعقارب والديدان ولا يغني الاولاد عنه شيئا فكيف يعجب بمن يخلى عنه احوج احواله

السبب السابع العجب بالمال كما حكى الله تعالى عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس الى جنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال صلى الله عليه وسلم أخشيت ان يعدو اليك وذلك انما كان للعجب منه بالغنى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينا رجل يتبختر في حلة قد اعجبته نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو يتاخ فيها وجعل فتاة يتجلجل فيها الى يوم القيامة فهذه عقوبة له على العجاب بنفسه وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جيدة ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من ملء الارض من هذا

السبب الثامن العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلالات انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى فهذه جملة الاسباب الباعثة على العجب فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال فتعتمد عليه في الالهام الاخس البصيرة في الدين

البيان الثالث في علاج العجب اعلم ان علاج كل علة انما يكون بما يقابلها من ضدها والعجب جهل فعلاجه يكون بالمعرفة المضادة لذلك الجهل ولنا في العلاج مسلكان

المسلك الاول من جهة الاجمال فنقول المعجب الذي يقع فيه الاعجاب انما هو العلم والزهد والعبادة والورع والصدقة ونيات الملق

احمق الفرق

وحسن الصدق فيها وغير ذلك من انواع البر واعمال الخلق تصدر الامور وانما كانت حاصلة بقدرة العبد واختياره لكن الله تعالى هو الخالق للعبد والقدرة والشهوة والعمل الا عينا وسهل للعبد الفعل فخلق لا يطاق الحيلة ومن عليه بالافضال بالثواب ومن شاء ادبه بالعقاب على الاعراض عنها والعمل النعمة بالعاقبة وجعل متمكنا من تلاوة ذلك بفضله ورحمته واذا كان الامر كما وصفناه فكيف يتطرق العجب في هذه الحال وهو في الحقيقة من فضل الله تعالى ورحمته فلذا لا معنى لعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه ومن هو الزاهد لان كل ذلك اذا تحققت النظر فيه وفيضا جود الله تعالى وكرمه الواسع على خلقه فهذا من جهة الجملة

المسلك الثاني من جهة التفصيل وتقريره انا نذكر كل آفة ونرد عنها بعلاجها فاما الاعجاب بالجمال والهيئة فعلاجه يكون بالتفكر في اقذار باطنه في اول امره وآخره ويتفكر في الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وتكون منتنة في القبور بحيث يتقذرها الطباع وتنفر عنها النفوس فاذا تفكر في ذلك واستغرق فيه الفكر هان عليه الامر واعرض عن الاعجاب واما الاعجاب بالقوة والبطش فعلاجه بان حمى ساعة او ليلة يضعف قوته وان العرق الواحد لو ضرب تتيبس ومنه الجبينة والعرق الواحد يقتله وان الله تعالى اذا علم منه الاعجاب ربما سلبه الله تعالى تلك النعمة الجزيلة والعافية المستقيمة بادنى آفة يسلطها عليه فلا يقدر على دفعها وان انتهى بحال واما الاعجاب بالعقل والكياسة فعلاجه يكون بشكر الله تعالى على ما رزق من العقل وانه لم يؤت من العلم الا قليلا ويتفكر في حاله انه باجتماع مرض يصيب دماغه كيف يبقى حاله في كثرة الوسوسة والهذيان بحيث يضحك منه ويستنقص ويصير ضحكة للعقال ويسخر منه كل من رآه ويتمعه فليحذر الغافل

من نعائم المال وليحمد الله تعالى على ما رزقه من الفضل ولا يعجب بشيء منه واما الاعجاب
بالحسب فعلاجه بان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه
لاحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس
واستعظام الخلق ومذمة النفوس واعترافهم بالتقصير في حق الله تعالى واما شرفوا بالطاعة
والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب من لم يؤمن بالله تعالى
واليوم الآخر فكانوا عند الله شراً من الكلاب والخنازير ولهذا قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبايل لتعارفوا ثم قال بعد ذلك ان اكرمكم عند الله اتقاكم واما الا
عجاب بنسب السلاطين الظلمة واعوان الجورة دون نسب الدين والعلم فانما علاجه بان يتفكر
في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم والعسف والظلم للخلق والفساد في دين الله تعالى وانهم عند الله تعالى في
غاية الخزي والمقت ولو نظر الى ما اعد الله لهم من الخزي والنكال وعظيم العذاب لاجل مخالفته وخروجهم
فعلى اولاد الظلمة ان يشكروا الله تعالى على ما رزقهم من حق الاسلام والسلامة من العذاب
واما الاعجاب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والاقارب فعلاجه ان يكون
بالتفكر في ضعفهم وعجزهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً وكم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة ثم كيف يعجب بهم والكل الى انفكاك وزوال بالموت والهلاك والادبار عن الدنيا وقد
قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه فاي خير يبقى فيهم فكيف في اشد الاحوال
وهو القبر والقيامة ويوم الحشر واما الاعجاب بالمال فعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة
حقوقه وعظيم غوائله وآفاته والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة ويتفكر في ان المال غاد
ورايح والاصل ثم ينظر ان في اليهود والنصارى ومن هو في الشرك من يزيد عليه في المال وقد قدمنا
ذم الدنيا والمال من جملتها فلا وجه للتكبر به واما الاعجاب بالراي الخطا فعلاجه
ان يكون اشد من علاج غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطايه ولو عرفه لتركه وعلاج آفة الذي
لا يعرف عسير والجهل داء لا يعرف فلهذا اشتد دواه عسيراً وانما علاجه على الجملة بان يكون متهما
لرأيه أبداً

لرايه ابداً فلا يغتر به والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره بان يكون في العلم الا يخوض في
المذاهب ولا يصغي اليها ولا يكون سامعاً لها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وان الرسول
صلى الله عليه وسلم صادق فيما جاء واخبر عنه ويتبع سنة السلف الصالحين ويؤمن بجملة ما جاء به
الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن التفصيل بل يقول آمنا بالله تعالى وصدقنا
ويكون اشتغاله بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير
الاعمال الصالحة يفعلها ويواظب عليها فاما الذي عزم على التجرد للعلم واستغرق العمر
في طلبه فاول مهم عليه الاتكال على عون الله تعالى والعزم على الانصاف وترك التعصب لمذهبه
والميل الى اسلافه وليعتمد على الاتقان لشروط الادلة حتى ما يكون واصلا الى اليقين والقرينة
في اكثر المطالب والابتهال الى الله تعالى ان يوفقه الى الرشد ويهديه الى طريق الصلاح فلعل
الله ان يفيض عليه من الانوار الالهية ويطلعه على حقايق المعارف اليقينية بمنه وطوله

الباب التاسع في مقالات المهلكات في البخل وذم المال

واعلم ان قبل الخوض فيما نريده من حقايق الباب وابتدايه نذكر حد البخل والسخا فان ذلك من المهمات وربما
من اثبات الاوصاف نعمه شحيحاً ويراه غيره بخيلاً وقد يصدر من فعل منه انسان فيختلف في
حاله فبعض الناس يقول هو بخل وبعض الناس يقول ليس هذا بخلاً فلا بد من البيان للبخل الذي يوجب
الهلاك والسخا الذي يستحق به الثناء فنقول قد تقدم ان ما يكون حد البخل هو منع الواجب فكل
من ادى ما يجب عليه فليس بخيلاً وهذا غير كاف فانه اذا رد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز
لنقصان حبة خردل او نقصها فانه يعد بخيلاً بالاتفاق وهكذا من يسلم الى اولاده
العشر الذي يفرضه الحاكم ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه وتمرة اكلوها من ماله فانه يعد
بخيلاً وقال اخرون البخيل هو الذي يستقصي في العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستكثر
ما اعطاه وهذا الاوجه له فانه من الاعمال وهكذا فانهم تكلموا في الجود فقالوا الجود عطا

بلا من واشفاق على غيره وبه وقال بعضهم الجود عطاء من غير مسئلة وقال الجود هو
السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقال الجود عطاء على رؤية ان المال لله والعبد
لله فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقال الجود من اعطى البعض وبقى البعض
فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضرر وآثر
غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة ما اوردناه في
هذه الكلمات غير محيط بحقيقة البخل والجود بل المختار ان يقال المال خلق لحكمة ومقصود
وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الا ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف
الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ فيه حيث يجب الحفظ ويبذل
حيث يجب البذل فالمنع حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما
وسط وهو محمود ينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله
الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه
بقدر الواجب فتحصل من مجموع ما ذكرناه البخل والسخاء وقد تعلم معرفة الواجب فما الذي
يجب بذله فاعلم ان الواجب قسمان قسم واجب بالشرع وقسم واجب من جهة المروءة والعادة
فالسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما او كلاهما
كان بخيلا لا محالة ولكن الذي يمنع واجب الشرع هو ابخل ممن يمنع واجب المروءة فواجب الشرع
هو الزكاة وواجب المروءة هو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فمن كثر ماله فانه يستقبح
منه المضايقة في الدانق

قال مولانا المؤيد بالله أمير المؤمنين

عليه الصلاة والسلام فهذا ما اردنا ذكره في ماهية البخل والجود والسخاء وبالله
التوفيق والاعانة فاذا عرفت هذا فلنذكر ما يتعلق بالباب ونجعله تنبيهات

بعونه تعالى التنبيه الاول في بيان ذم البخل وما ورد فيه

ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وقال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب
ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية اخرى ولا جبار ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني
والبخيل المنان والفقير المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل الرجل المنفق والبخيل كمثل رجلين
عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت
او مرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق الا قلصت ولزمت كل حلقة
مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها فلا تتسع وقال صلى الله عليه وآله وسلم خصلتان لا يجتمعان
في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك
ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله
تعالى لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم
بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع
وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال وما يدريك
انه كان شهيدا فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن
نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا الناس مقفلين من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت الشجرة رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا
ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا
احق منهم فقال انهم خيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو
سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما
دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر ابن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع
بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه
لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في فمه
صنا بطنها وهي نار فقال عمر لم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجود من جود الله فجودوا يجود الله عليكم الا ان
الله تعالى خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها
باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها
ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا
في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله
النار لان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فلا يلج
الجنة الا السخي والبخل شجرة في النار فلا يلج النار الا البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا الجد ابن قيس الا ان فيه بخلا فقال
صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو ابن الجموح وقال امير المؤمنين كرم الله
وجهه ان الله ليبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي

الجهول احب الى الله

الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الايمان
والشح في قلب عبد وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا ثم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله بقدرته وجلاله وعظمته لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي
ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول
بحرمة هذا البيت الا غفرت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم
من ان اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم
ام الجبال قال بل ذنبي فقال ذنبك اعظم ام البحار فقال ذنبي فقال ذنبك اعظم ام الله قال بل الله تعالى
اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل
ليأتيني فيسألني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الى الف
عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله تعالى في النار
ويحك اما علمت ان البخل كفر والكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وهذا من طريق الاخبار النبوية

واما الآثار فقيل قال ابن عباس

لما خلق الله تعالى
جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان واظهرت انهار الخمر والعسل واللبن ثم قال
اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال
تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله سبحانه وتعالى وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا وقالت

وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته
وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي
بخلائهم وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه في خطبة سياتي على الناس زمان عضوض يعض
المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمر
والشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح
بما في يديه فيحبسه والبخل الذي يبخل بما في يديه قال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا
في النار البخل او الكذب وقيل ورد على كسرى انوشروان حكيم الهند وحكيم الروم
فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي
العقل متانيا وفي عمل الخير مجتهدا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقال
للرومي تكلم فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون
واهل النميمة يموتون فقرا ومن لا يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل
بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن ومن كان هكذا لا يكون
مامون الامانة وقال امير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف
بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك
الجرب وقال البشر بن الحارث البخيل لا غيبة له وقال النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب
على المؤمنين في قلوبهم وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا
بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه فهذه مقالات اهل
الصلاح في ذم البخل والله اعلم

التنبيه الثاني في بيان علاج البخل

واعلم ان علاجه يكون

واعلم ان علاجه يكون بامرين **الامر الاول** منهما علمي والعلمي يرجع الى معرفة
آفة البخل وفائدة الجود ثم للعلم جهات ثلاث **الجهة الاولى** ان يكثر التامل في
احوال البخل والنفرة لطبعه ايضا وما يحصل من نفار الطبع عنه واستقباحهم له فانه ما من بخيل
الا وهو يستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم بذلك انه مستثقل ومستقذر
في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه **الجهة الثانية** ان يخدع نفسه في البذل
بتمني الاشتهار واطلاق الالسن بالثناء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا
في الاشتهار فحصلت الجود فيكون قد زال عنه خبث البخل ولؤمه واكتسب خبث الرياء ولكنه ينعطف
بعد ذلك الى الله هيئة الفصل عن الرياء ويزيله بعلاجه ويستعين بالله تعالى **الجهة الثالثة**
ان يعلم مقاصد المال لاي شيء هي ولماذا خلقت وما هو المقصود منها فلا يحفظ المال الا بقدر حاجته
والباقي يبذله لتحصيل ثواب من الله تعالى فهذه علاجات من جهة العلم والمعرفة فاذا عرف بنور
البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل اذا كان عاقلا
فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر
ويخوفه ويصده عنه وحكي عن بعض الزهاد انه كان في البرية فدعا تلميذا له وقال
له انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال له هلا صبرت حتى تخرج قال لا آمن
على نفسي ان تتغير **العلاج الثاني من جهة العلم** علم ان البخل
سببه الاقوى هو حب المال وحب المال له سببان **الاول** حب الشهوات التي لا وصول
اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله
لهذا فانه يجوز البخيل عند الموت لاجل الاولاد وربما يقوم الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءه
كبقاء نفسه فلاجل ذلك كان بخيلا لاجلهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة يشتري به

الاما ذكرناه **السبب الثاني** ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره
اذا كان مقتصرا على ما جرت به عادته في الانفاق ويفضل على ذلك آلاف وهو شيخ
بلا ولد وله اموال جملة كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة
نفسه عند المرض وما ذلك الا محبته للدنانير والدراهم وجعل لذته في وجودها في يده وبقدرته
عليها ويكنزها او اضمرها وربما كنزها وخبأها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع
او ياخذها اعداؤه ومع ذلك ان نفسه لا تسمح بان ياكل او يتصدق وهذا مرض عظيم
للقلب عسير العلاج لا سيما مع كبر السن فلا يكاد يرجى علاجه ... اسباب حب
المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة بالقليل وبالصبر
ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران والامثال وطول تعبهم في جمع
المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه
وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث ويتفطن ايضا في ان جمع لولده يريد
ان يترك ولده بخير وينقلب الى ربه بشر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله يتولاه وان كان
فاسقا فيستعين بما خلفه على المعصية ويرجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة
التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخا وما توعد به على البخل من العقاب
الفضيح وحكي انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر النفيسة لم ير
نظيره ففرح الملك به فرحا شديدا **وقال لبعض الحكما** عنده كيف تراه قال اراه
مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد
مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان انكسر القدح فعظمت
به مصيبة الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وقد خرج عرضنا من ذم البخل وبقي

وبقي [illegible]

وقد اغرب ما قيل من حكايات البخل حكي ان رجلا بالبصرة بخيلا
موسرا فدعاه يوما بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض والطباهجة نوع من
انواع الطبائخ فاكل منها واكثر وجعل يشرب الما فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت
فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت
فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض وحكي ان
اعرابيا اقبل يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له
الرجل هل تحسن تقرا شيئا من القران قال نعم وقرا والنهن والزيتون فقال واين التين
قال تحت كسائك وحكي ان مروان ابي حفصة كان لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرمه
شهوة اللحم فاذا قرم امر غلامه يشتري له راسا فاكله فقيل له ما نراك تاكل الرووس
في الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره واكل جلب له وامن خيانة
الغلام فيه ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر انه يأكل منه ان
مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا
وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج
الى مروان يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة قال
ان اعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما فاعطي ستين درهما فاعطاها اربعة دوا
نق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف
وحكي ان محمد ابن يحيى ابن خالد البرمكي كان بخيلا قبيح البخل فسئل قريب له كان يعرفه فقيل له صف

لتا مابدنه فقال هي نفخ في فتر وخافه منقورة من حب الخنثى انثى قال ثم يمضي لها قال الكرام
اكا انبوت قال انما ياكل مقه احب قال بلال الذباب فقيل لم انت خاص به وثذبك حرق
فقال من اي وهم تعالى ما قبر علا ابن اخبطم بها ولو ملك محمد بيتا من بعجة الا المذنبه مملوا
ابنتا ثم جاء جبرائيل وميكائيل ومضرتما يقعقب يبهتون لم ابره وتتالوه ان يقيم ايا ها
يخيطون قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل وعد الله نهاية اللوم وتنقص علاهد القدرة
فلا حاجة الى الاكثار فيه والله اعلم

التنبيه الثالث في بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وقال تعالى الهاكم
التكاثر **واما الاخبار** فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والشرف
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ما ذيبان ضاريان
في زريبة لفظ الحديث في زريبة غنم واهلكت لك اكثر الشيخ وسياتي في باب ذم الجاه المنعمل
باكثر فسادا منهما من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال الرسول صلى الله عليه وآله هلك
الاكثرون اموالا الا من قال به من عباد الله تعالى هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله
اي امتك افضل قال الاغنياء الذين ينفقون المال ابتغاء وجه الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم
سياتي على الناس قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون
الين الثياب والوانها ويركبون الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير
لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون
ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب
عقبكم وخلف خلفكم الا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم

فمن فعل ذلك

١١٥

فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الدنيا لاهلها من
اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر بها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ابن
ادم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت
وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم
مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله
عليه وآله وسلم اخلاء ابن ادم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره
فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله
وقال الحواريون لعيسى ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال ما منزلة الدنيا والدرهم
عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سوا وكتب سليمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع
من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا
الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في
يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله تعالى فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله
الا اديت حق الله فيما بي الى كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا الضيعة
فترغبوا في الدنيا فهذه هي الاخبار الدالة على ذم المال **واما الاثار** فقد روي ان رجلا
نال من ابي الدرداء سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر
كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان
ووضع امير المؤمنين كرم الله وجهه درهما على كفه فقال اما انك ما لم تخرج لا تنفعني وروي
عن عمر انه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب

فقالت عفرت له لو خلت سترا كان لها فقطعتها صررا وقسمتها في اهل من حضرها وايتامها
ثم مضت بعد بيتها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقا به وقال الحسن ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل ما طرب الدينار
والدرهم من مقعدها ابليس ثم وضعها على جبهته ثم قبلها وقال من احبهما فهو عبدي حقا
وحكي عن بعض الزهاد انه قال الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال
يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلك [?] قيل وما رقيته قال أخذه من حله
ووضعه في حقه

التنبيه التاسع في بيان ذم الطمع والحرص ومدح القناعة

عنه والياس عما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما تقدم صحته من بعد هذا في مقالة
المنجيات ولكن ينبغي للفقير ان يكون قانعا منقطع الطمع على الخلق غير ملتفت الا ما في
ايدي الناس ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكن ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة
في المطعم والملبس والمشرب والمسكن ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله
الى يومه او الى شهره او الى اسبوعه ولا يشغل قلبه بما وراء الشهر فان تشوقت نفسه
الى الكثرة والحرص وطول الامل فانها تجر الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة
للمروات وقد جبل ابن ادم على الحرص والطمع وقلة القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم يكبر
ابن ادم ويشب منه اثنتان الحرص وطول الامل وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن
كان عيشه كفافا وهدي الى الاسلام وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس الغنى بكثرة
العرض وانما الغنى غنى النفس وقد نهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ايها الناس
اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له وقد روي انه لن يذهب احد من الدنيا
حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى صلوات الله عليه سأل الله

تعالى فقال اي عبادك

تعالى فقال أي عبادك أغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابو
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس
وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وروي ان ابا ايوب الانصاري ان اعرابيا
أتى الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل
صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس عما في ايدي الناس
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسألوا الناس شيئا منهيه حي [?]
الاخبار في بيان ذم الطمع والحرص وأما الآثار فقد قال عمر الطمع فقر واليأس
غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك
ورضاك بما يكفيك وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى
احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج عن ايديكم منها
وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
بعض الزهاد انما بطنك يا ابن ادم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك
قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس عما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال
قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها
القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة
فليطلبها يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له
او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع حوائجه اليه فكتب
اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض
الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايما اعون على دفع الحزن فقال اسرها ما قدم من صالح

العمل واعلم انه لا علاج في الحرص الا الرضا بمقدور القدرة وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس
غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا
ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقال عمر الا اخبركم بما استحل من مال الله حلتان
الشتائي والقيظي وما استعملتني به من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش
ليس بارفعهم ولا باوضعهم ووالله ما ادري ايحل لي ذلك ام لا كانه يشك في هذا القدر هل
هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي
انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف
لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقال الشعبي
الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك تخرج القيد من رجلك وقيل لعبد الله
ابن سلام ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ان عرفوها وعقلوها قال الطمع وشره
النفس بطلب الحوائج وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في الدنيا
لم تكن في قوى خلقته اكثر مما قد استعمله في طلب الحرص على الطمع مع قصر مدة التمتع
وتوقع الزوال وقال عبد الواحد مررت براهب فقلت له من اين تاكل فقال من بيدر اللطيف
الخبير الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين واشار الى اضراسه التنبيه الخامس

في بيان العلاج في ازالة الحرص والطمع

وبيان الحد الذي يحصل به القناعة وبيان مجموع ذلك راجع الى علاجات خمسة
العلاج الاول الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد
عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب المصروفات مهما امكنه ويرد نفسه
الى ما لا بد منه فمن كثر انفاقه لم يمكنه القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الرفق

في الامر كله

١١٧

في الامر كله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما عال امرؤ اقتصد وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث
منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب
وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض فقال ان من فقهك
رفقك في المعيشة وقال ابن عباس قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الاقتصاد وحسن
السمت والهدي الصالح جزء من بضعة وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف العيش
وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من اقتصد اغناه الله تعالى ومن بذر افقره الله تعالى ومن
ذكر الله احبه الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى
يجعل الله لك فيه فرجا ومخرجا **العلاج الثاني** انه اذا تيسر له في الحال
ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه
على ذلك قصر الامل وتوطين النفس بان الرزق الذي قدر له لا بد ان يأتيه وان لم
يشتد حرصه عليه وان شدة الحرص ليس سببا لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا
بوعد الله تعالى لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها **العلاج الثالث**
ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص لا يخلو عن تعب وفي الطمع لا يخلو
من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة
البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عز المؤمن استغناؤه
عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت
تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن اميره **العلاج الرابع**
ان يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وارذل الناس والحمقاء من الاكراد والاجلاف من العرب

ومولاه فيه لم ولا عقل له ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين
وسائر الصحابة والتابعين ويتأمل احاديثهم ويطالع اخبارهم واحوالهم ويخير عقله
بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق وعلى الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله
حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير وانه ان تنعم بكثرة الاكل
فالثور والحمار ياكلان وان تنعم بالوقاع فالخنزير اعلى رتبة فيه وان تزين بالملبس
والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اكثر منه واعظم حالا في ذلك وان قنع بالقليل ورضي
به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء **العلاج الخامس** ان يكون فاهما
ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في ذمه وما يحصل فيه من خوف السرقة والنهب والضياع
مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الا خمسمائة عام فاذا لم يقنع بما يكفيه الحق بزمرة
الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء وقال ابو ذر اوصاني خليلي ان انظر الى من هو
دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم
الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور
يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر في ذلك الصبر وقصر الامل وان يعلم ان
غاية صبره في الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على
مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء والله اعلم بالصواب

التنبيه الثامن في بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودا
فينبغي ان يكون حاله القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله
الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق
الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء
شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية في الارض فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن

الى الجنة وقال جابر

الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل قال الله تعالى ان هذا
دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم
وفي رواية اخرى فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جبل الله وليا الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قيل يا رسول الله
اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما
الله تعالى فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما فسوء الخلق والشح واذا اراد الله
بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم
انه قال رجل دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء
السلام وحسن الكلام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من
الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية
قلوبهم فاني جعلت فيهم غضبي وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن
ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام
الملائكة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب مكارم
الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام
شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شياه الصدقة
فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع خلقه فمن بخل بتلك المنافع

علا القبايح نقلها الله عنه وحولها الاغيره وروي ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم
اتا بأسارا من بني العنبر فامر بقتلهم وأفرج منهم رجلاً فقال علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه في الجنه الرب واحد والدين واحد فما بال هذا من بينهم فقال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم نزل علي جبريل فقال اقتل هولاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له
سخا فيه وقال صلى الله عليه واله وسلم ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح بالقضا
وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم طعام الجواد دوا وطعام البخيل
دا وقال صلى الله عليه واله وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت موونة الناس عليه فمن لم يحتمل
تلك الموونه عرض تلك النعمه للزوال وقال عيسى صلوات الله عليه استكثروا من شي
لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشه قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
الجنه دار الاسخيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان السخي قريب من
الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنه بعيد من النار وجاهل سخي احب الى الله من عالم
بخيل واجود الجود والبخل وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم اصنع المعروف الى من هو اهل
له والى من ليس باهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله كنت انت اهله وقال الرسول
صلى الله عليه واله وسلم لا ينبغي لهذه خلوهم بخلا ولا ضيام ولكن جعله بها بشيء الانفس
وسلامة الصدر والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ان الله تعالى جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه
طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاه كما يسر الغيث الى البلدة الجديبة ليحييها ويحيي
اهلها وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كل معروف صدقه وكل ما انفق الرجل على
نفسه واهله كتب له صدقه وما وقى به المرء عرضه فهو صدقه وما انفق الرجل نفقه

علا الله خلفتها

علا الله خلفتها وقال صلى الله عليه واله وسلم معروف صدقه والدال على الخير كفاعله والله
تعالى يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه واله وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير
فهو صدقه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه
سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعثاً امر عليهم قيس ابن سعد ابن
عباده فلما نحر لهم تسعة من ركايب فلما حدثوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ان الجود
لمن شيمة اهل ذلك البيت فهذه الاخبار في السخا وقال الثاني فقال امير
المومنين كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفقوا منها فانها لا تفنا وان ادبرت
فانفق منها فانها لا تبقا وسال معاويه الحسن رضي الله عنه عن المروه والنجده وا
لكرم فقال اما المروه فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه
وحسن المنازعه والاقدام على الكراهية واما النجده فالذب عن الجار والصبر
في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل والرافه
بالسايل مع بذل النايل ورفع رجل الى الحسين ابن علي رقعه فقال حاجتك مقضيه
فقيل له يا ابن بنت رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال
لا يسالني الله عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري
المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وليس مقاله وسيل بعض الاعراب فقيل له من سيدكم
فقال من احتمل شتمنا واعطا سايلنا واغضا عن جاهلنا وقال علي ابن الحسين ابن علي رضي
الله عنهم من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وانما السخي من يبتدي بحقوق الله تعالى في
طاعته ولا تنازعه نفسه الا حب الشكر له اذا كان نفسه بثواب الله تعالى تاماً وقيل

للحسن البصري ما السخا قال ان تجود بمالك في الله تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك
قيل له فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لا مال اعود
من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا
يجاورني لئيم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة
وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وعن الاحنف
ابن قيس رايت رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى
تخرج من يدك ولقد صدق من قال في تقرير هذا المعنى انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته
فالمال لك وشبهها واصل ابن عطا بالضرس [illegible]
من امر الله ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن ابن علي الى اخيه الحسين يعتب عليه
اعطا الشعرا فكتب اليه خير المال ما وقي به العرض وقيل لسفيان ابن عيينة ما السخا قال
البر بالاخوان والجود بالمال وورث عبد الرحمن ابن الحارث خمسين الفا من الفضة فبعث
بها الى اخوانه صررا وقال انا اسال لاخواني الجنة في صلاتي وانبخل عليهم بالدنيا ومن احسن
ما قيل من الشعر في هذا المعنى قول بعضهم لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذ
ير والسرف وان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وقال الحسن بذل المجهود
في بذل الموجود منتهى غاية الجود وقال المهدي لشبيب ابن شيبة كيف رايت الناس في داري
فقال رايت الداخل راجيا والخارج راضيا قال مولانا امير المؤمنين الامام المؤيد
بالله عليه افضل الصلاة والسلام ولنختم هذا الباب في
حكايات الاسخيا وروي عن محمد ابن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عايشة
انها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين مائة وثمانين الفا فدعت بطبق وجعلت

وجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هاتي فطوري فاتتها بخبز وزيت
فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا لحما بدرهم نفطر
عليه فقالت لها لو كنت ذكرتني لفعلت وقال مصعب ابن الزبير حج معاوية فلما انصرف
مر بالمدينة فقال الحسين ابن علي لاخيه الحسن ابن علي لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج
معاوية قال الحسن ابن علي ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم
عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الفا قد اعيا وتخلف عن الابل وقوم
يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكروا له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وحكى الواقدي
ان المامون رفعت اليه رقعة من بعض الناس يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه
فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمعت فيك خصلتان السخا والحيا اما السخا
فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحيا فهو الذي صدك ان تبلغنا ما انت عليه وقد امرت
لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على
نفسك وانت قد ثنيتني وكنت على قضا حوايج الرشيد وسال رجل الحسن ابن علي حاجة فقال
ما هذا حق سوالك اياي بعظيم لدي ومعرفتي بما يجب لك كبير علي ويدي تعجز عن نيلك بما
انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفا بشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني
مونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلف من واجبك فعلت فقال يا ابن بنت رسول الله اقبل واشكر
على القليل واعذر على المنع فدعا الحسن ابن علي وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها
فقال هات الفاضل من ثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا فقال فما فعلت خمسمائة دينار فقال هي

عندي قال احضرها فاحضرها فنقضها اعني البرادع والبرانية الا الرحل فقال هات
من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن ردآه لكرا الحمالين فقال له غلمانه والله ما عندنا
درهم فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند ربي اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس
وهو عامل البصرة فقالوا ان لنا جارا صواما قواما يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج
بنته من ابن اخيه وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله ابن عباس واخذ بايديهم وادخلهم داره
وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوها فحملوها فقال ابن عباس ما انصفناه
اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكون عونا له على تجهيزها فليس للدنيا
من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وليس بنا من التكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعلوا فعلا
وحكى ابو الحسن المدايني ان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا حجاجا ففاتتهم اثقالهم
فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خبا فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا
شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت
لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها
ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد
هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون لك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها
فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم
تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها فجعلا ينقلان
البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس

علا باب جواره فعرفت

علا باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه ودعا بالعجوز فقال لها يا امة الله
هل تعرفينني فقالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي وامي انت هو
ثم امر الحسن ابن علي رضي الله عنه واشترى لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها بالف دينار
وبعث بها مع غلامه الى الحسين ابن علي فقال لها الحسين بكم وصلك اخي فقالت بالف شاة والف دينار
فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك اخواي الحسن وا
لحسين فقالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بن جعفر بالفي شاة والفي دينار وقال لها
لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار
ولنقتصر على هذا القدر في الكلام عن فضلات الاجواد واهل الهمم العالية الذين كانت
الدنيا في اعينهم احقر من قلامة الظفر وليس لها في نفوسهم وقع ولا اثر ومن اراد الاطلاع
على هذه المكارم فعليه بمطالعة كتاب المستطرف فانه يجد فيه ما يكفي ويشفي وقد نجز غرضنا
من باب البخل والحمد لله رب العالمين

الباب العاشر من المهلكات في الرياء والشهوات

اعلم ان دفع الافات من اعظم الاخطار على الدين وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوات اي انهما خفية الخفية ولا شك ان الرياء من
الشهوات الخفية والشهوات الباطنة التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء
في الليلة الظلماء ولهذا عجز عن الوقوف على غوايلها حذاق العلماء وسماسرة الفضلاء فضلا عن
عامة العباد والاتقياء وهو من عظيم غوايل النفوس وبواطن مكايد الشيطان وهذا اعظم ما يبتلى
به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الاخرة فانهم لما قهروا انفسهم وجاهدوها

ويمنعوها عن الشهوات ويصدّوها عن الشبهات ويحملوها بالقسر على أنواع الطاعات وتحمّل
أثقال العبادات ان تجد نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فيجب
الا الاستراحة الا التظاهر بالخير واظهار الفضل والعلم ليعرفوا فيقبلوا ما يلقونه من الخلق
وفرحوا بحب الناس ولم يقنعوا بحمده تعالى فتوهموا انهم حقيقون بما نالهم من عبادته
المرضية وانما استهوتهم هذه الشبهة الخفية التي يعمى عن دركها كل الخلق إلّا أهل العقول
النافذة القوية فهم يرون انهم مخلصون في طاعة الله تعالى ومجتنبون لمحارمه والنفس
قد ابطنت هذه الآفة الردية تزيينا للعبادة وتصنّعا للخلق وفرحا بما نالته
من المنزلة والوقار فاحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وهذه عقبة
لا يسلم منها الا الصدّيقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولهذا قيل آخر ما يخرج
من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبك الشياطين
وجب الاعتناء في شرح حقيقته واسراره ولنمهد فيه قبل بيانات هي الجامعة لاطرافه
والمحيطة بمقاصده مقدمة ثم نقول **الاول** في حقيقة الدنيا والجاه واعلم ان الدنيا مشتق
من الدنو والشمعة من الشماخ والرياء مشتق وحقيقته طلب المنزلة في قلوب الناس بما يراه
من خصال الخير وهو مختص بحكم العبادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد
الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى والمرائي هو العابد والمراءى هم الناس المطلوب رؤيتهم
بتبعيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهارها
واما الجاه فمعناه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها فكما ان الغني هو الذي يملك الدنانير
والدراهم التي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر الحظوظ

النفيسة فكذا

النفيسة فكذا صاحب الجاه فانه الذي يملك قلوب الناس أي يقدر ان يتصرف فيها
ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب المال بانواع من الحرف
والصناعات فهذا يكتسب قلوب الرجال بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة
الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد فيه القلب وصفا من اوصاف الكمال انقاد له
وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون ذلك
الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد الكمال فيما
ليس كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده وبحسب انقياده
فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها
فكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد وطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار
ويستعبدهم ويملك رقابهم بل الملك الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا
والعبد بما في طبعه لو خلّي ورأيه انسلّ عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة
طوعا وينبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة
له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن الجاه قيام المنزلة في قلوب الرجال أي
اعتقادات القلوب لنعت من نعوت الكمال فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم
وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه
فهذا معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال يحصل في

نشر ما يعتقده

في نفسه تعظيم من اختص بصفات الكمال من علم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية
او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالاً فان هذه الاوصاف
كلما تعظم محلها في القلوب فتكون سبباً لقيام الجاه وقد ظهر مما ذكرنا بيان معنى الرياء والجاه
ولكل واحد مختص بكلام يخصه فلنفرد لكل واحد ما يليق به من الكلام ونجعله قسمين
والله الموفق للصواب **القسم الاول في ذكر الرياء** واقسامه وما يتعلق به
من الخطر في احباط الاعمال وابطالها وفيه تنبيهات خمس **التنبيه الاول في ذم الرياء**
ويحصل ذلك من جهات ثلاث **الجهة الاولى** الآيات وهو كقوله تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً
ولا شكوراً فاخبر ان الغرض انما هو لوجه الله تعالى لغير وهذا هو المراد بالاخلاص وقوله
تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد قال بعض المفسرين هم اهل الرياء وقال تعالى في معرض
الذم يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فيعم
بالاخلاص بطلان الرياء المذموم وقال تعالى الا لله الدين الخالص **الجهة الثانية الاخبار**
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله رجل فيم النجاة فقال الا يعمل العبد بطاعة
الله تعالى يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث المقتول في سبيل الله والقارئ
لكتاب الله والمتصدق بماله وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم اردت وجهي بل كذبت

وانما اردت ان يقال

وانما اردت ان يقال فلان كذا وفلان كذا انا لا اقبل شيئاً من اعمالكم وروي ان عن
من رايا رايا الله تعالى به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر ان هذا المرائي يؤمر به فيجعله
في سجين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل
وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عمل
عملاً اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله
عليه وآله وسلم لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة من رياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان ادنى الرياء شرك
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضاً من خفايا الشرك
ودقائقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في ظل الرحمن يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بيمينه فكادت
يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفاً وقال الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك
ممن كنت تعمل له يراؤون باعمالهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله تعالى الارض ماجت باهلها فخلق الجبال فصيرها
اوتاداً للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد فقطع الجبل ثم خلق
النار فاذابت النار الحديد فقالت الملائكة ما خلق الله ربنا اشد من النار ثم امر الله تعالى الماء فا
طفأ النار ثم امر الريح فغرفت ثم اختلفت الملائكة فقالوا نسأل الله ربنا فقالت يا رب ما اشد
ما خلقت من خلقك فقال الله تعالى لم اخلق خلقاً اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها
عن شماله وروي عن عبد الله بن المبارك عن رجل قال لمعاذ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

محدثك حديثاً ان انت حفظته نفعك
قال لي يا معاذ قلت لبيك يا ابي وامي انت فقال اني
وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيمة يا معاذ ان الله خلق سبعة
املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بوابا
عليها قد جللها عظما فتصعد الملائكة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس
فيقول الملائكة للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي الا ادع عمل
من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى
يبلغ به السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا فاضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه
اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي الا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس
في مجالسهم قال وتصعد الملائكة بعمل العبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد اعجبت
به الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا فاضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم
قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وصوم وحج وعمرة
حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة الا الملك الموكل بالعجب وهكذا الحال في السماء الخامسة الموكل بالحسد والملك
الذي في السماء السادسة الموكل بالرحمة وفي السماء السابعة الذي لم يرد به وجه الله تعالى وانما اراد
لوجهه ثم يصعد الحفظة بعمل العبد فيقفون به بين يديه فيقول عز وجل انتم الحفظة على عبدي
وانا الرقيب على قلبه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك
ولعنتنا فتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن وقال معاذ
قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ فكيف لي قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ

حافظا على لسانك

حافظاً على لسانك من الوقيعة في اخوانك حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك
نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك
لكي تحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلاً وعندك آخر ولا تتعاظم على الناس فينقطع
عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة قلت بابي وامي من
يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه يسير على من يسره الله عليه قال مولانا
المؤيد بالله امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام
ان هذا الحديث لقطيع وان الامر لعظيم وما هنالك الا رحمة من الله تعالى واسعة ولطف كريم
فنسأل الله تعالى ان يمدنا بلطف تبرد به الطاعة ويهون فيها الاعمال بكرمه ورحمته

الجهة الثالثة الآثار روي ان عمر بن الخطاب رأى رجلاً يطأطئ رقبته فقال يا صا
حب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب ورأى ابو امامة
رجلاً يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال امير المؤمنين للمرائي ثلاث علامات
يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم

التنبيه الثاني في بيان ما يقع به الريا وجملته انواع خمسة جامعة ما يقع به
الريا النوع الاول الريا في البدن من جهة الدين وذلك يكون باظهار النحول والصفار
ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة
الاكل وبالصفار على سهر الليل في العبادة وتشعث الشعر على الاستغراق وتشاغله بالعبادة فان
هذه الامور اذا ظهرت فهي امارة للخلق على التزكية وهكذا خفض الصوت واغارة العينين
وذبول الشفتين دال على كثرة الصوم فهذا ريا اهل الدين واما اهل الدنيا فانه يراءى بعضهم باظهار
السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه قد تقدم او غيره فيما يقع من التجمل فتأمل

النوع الثاني الرياء بالزي والهيئة فأما أهل الدين فالرياء يكون برثاثة الثياب والإطراق
الرأس بالسكينة والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود في الوجه وغلظ الثياب ولبس المرقعات وقصر
لكم ونحو ذلك بقصد تشبهها بهيئة أهل الصلاح والزهد للمنافع وهو عن كل ذلك بعيد وأما أهل الدنيا
فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب العالية وضروب التوسع والتجمل في الملبس والمسكن وأثاث
البيوت والآلات الفضية والذهبية والحرير وغير ذلك النوع الثالث الرياء بالقول فمنه رياء
أهل الوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الآثار والأخبار عن الصالحين لأجل ذكرها في المحافل
المجادلة لضراعة القلب ولا له علاقة بالقيامة بأقوال السلف الصالح وتحريك الشفتين بالذكر
في محافل الخلق فهذا رياء أهل الدين فأما أهل الدنيا فرياؤهم يكون بحفظ الأشعار والأمثال
والتفاصح بالعبارات الرشيقة وإطلاق الكلمات الفصيحة وحفظ النحو والإعراب للتباهي به
والتفاخر بإظهاره النوع الرابع الرياء بالعمل فأما أهل الدين فمراؤهم بإطالة
القيام في الصلاة وتطويل السجود وتطويله والركوع وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار
الهدوء والسكون وكذلك الصوم والغزو والصدقة بإطعام الطعام والإخبات وخفض الجفون
وأما أهل الدنيا فمراؤهم بالتبختر في المشي وتحريك اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الثياب
ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة النوع الخامس الرياء بالكثرة في الأصحاب والأعوان والزوار
من العلماء والصالحين وبكثرة التلامذة ليقال إن فلانًا له حفدة وتلامذة وإن فلانًا زار فلانًا
ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه في قضاء حوائجهم فهذه أنواع الرياء
ومداخلهم وكلها محظورة الإمام رحمه الله وخلص عن هذه الشوائب ومنابع الصوارف
التنبيه الثالث في بيان درجات الرياء اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ

من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه يكون على حسب اختلاف
أركانه وجعلناها ثلاثة الركن الأول المراءى به وهي الطاعات وذلك ينقسم
إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها فهذان قسمان نفصلهما بقولنا
القسم الأول في أصولها وهو أغلظ الرياء بالعبادات وأصولها وهي ثلاث درجات
الدرجة الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد
في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه التكذيب ولكنه يرائي بظاهر
الإسلام الدرجة الثانية أن يكون مصدقًا بالله ولكنه يرائي بالصلاة والزكاة
والصوم فهذا دون الأول فهو يصلي إذا كان في ملاء الناس وإذا خلا تركها وهكذا
حال الزكاة يخرجها رياء ويتقدم في ظاهر الحال وإذا خلا ترك الأعمال وأخبثه الدرجة
الثالثة أن لا يكون مرائيًا بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل
والسنن فإنه لو تركها لم يهلك بتركها ولكنه يكسل في الخلوة ويظهر في الملأ فهذه أعمال الرياء
بأصولها القسم الثاني الرياء بأوصافها وهي أيضًا على ثلاث درجات
الدرجة الأولى أن يرائي بفعل ما في فعله يكون في تركه نقصان العبادة كالذي
غرضه أن يخفف من الركوع والسجود ولا يطول القراءة وإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود
وترك الالتفات وصب القعود بين السجدتين الدرجة الثانية أن يرائي بفعل ما لا
نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود
ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة وتحسين الاعتدال وكل ذلك
مقصود عند الخلوة فهذه أعمال الرياء الدرجة الثالثة أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل

كصفوف المساجد قبل الناس وقصد الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري
مجراه وذلك مما يعلم من انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ولا اي وقت حضر فهذه درجات
درجات الريا بالاضافة الى ما يرائى به وبعضه اشد من بعض عند الله تعالى وهو الموفق الركن
الثاني المراءى لاجله فان المرائي مقصود لا محالة وانما يرائي لادراك مال
او جاه او غرض وله درجات ثلاث الدرجة الاولى وهي اشدها واغلظها ان يكون
مقصوده التمكن من معصية الله تعالى كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع
بكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه بالامانة حتى يتولى القضاء والاوقاف
والوصايا او مال الايتام فياخذها او ياكلها الدرجة الثانية نيل حظ مباح من
الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ
والتذكير لتبذل له الاموال وترغب في نكاحه النساء كالذي يرغب في تزويج بنت عالم فيظهر
له العلم والزهادة والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا ريا محظور لانه طلب بطا
عة الله تعالى امرا مباحا ولكنه دون الاول الدرجة الثالثة انه لا يقصد نيل
حظ وادراك مال ونكاح ولكن يظهر عبادته خيفة ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد
من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي ويطلع عليه الناس فيحسن
المشي ويظهر التؤدة ويترك العجلة كيلا يقولوا انه من اهل الغفلة لا من اهل الوقار فهذه
درجات المرائي له الركن الثالث قصد نفس الريا ودرجاته اربع
الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين الناس
ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة فهذا جرد قصده الى الريا المحض

فهذا ممقوت عند الله تعالى الدرجة الثانية ان يكون قاصدا للثواب ولكن قصدا
ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو
لم يكن الثواب لكان قصده يحمله على العمل الدرجة الثالثة ان يكون قصد
الريا وقصد الثواب متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر
لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعث الرغبة على العمل فهذا قد افسد مثل
ما اصلح فرجا ان يكون كفافا لا عليه ولا له الدرجة الرابعة ان يكون اطلاع
الناس مقويا او مرجحا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو قصد الريا
وحده لما اقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله تعالى ان لا يحبط ثوابه ولكنه ينقص
منه او يعاقب على قدر القصد في الريا ويثاب على قدر قصد الثواب التنبيه
الرابع في علاج الريا وازالته وطريقه اعلم انا قد ذكرنا ان الريا
محبط للاعمال وسبب المقت من عند الله تعالى ومن كبائر المهلكات فما هذا حاله جدير بالتشمير
في ازالته عن ساق الجد والمجاهدة في اعماله وازالته يكون اما بقلع عروقه واستئصال
قاعدته واما بقطع اسبابه فهذه مقامات نفصلها بعون الله تعالى المقام الاول
في قطع عروقه واستئصال اصله وذلك يكون بالعلم والعمل فهذان طرفان الطرف
الاول بالعلم ومن اجمع الامور ثلاثة اولها ان يكون عالما من جهة نفسه بان لا يجب
المحمود صفة الخلق ولا يكون له قدر عنده وثانيها ان يعلم انه لا يجب الفرار من
الذم وثالثها ان يجاهد بقطع نفسه عن اطماع الدنيا وعما في ايدي الناس فهذه امور
علمية قاطعة للريا عن القلب به وقال القائل من الحكما للواقف قال صف لي المخلص قال
المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته ويستوي عنده المادح والذام ويحب سقوط المنزلة

عند الناس **الصنف الثاني** العمل وهو وان الدنيا بالاعمال انما هو
بالنفوذ لنفسه باخفاء العبادات كلها واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب
دون الفواحش **المقام الثاني** في بيان قطع اسبابه وازالة عوارضه وذلك
انما يكون بان يجاهد نفسه في قلع حب الدنيا عن قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط
نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح الخلق وذمهم عن نفسه فلا يزال الرياء مؤثرا في قلبه
فان الشيطان لا يترك مجاهدته بل يعارضه بخطرات الرياء فلا ينقطع عنه نزغاته فلا بد ان
تستمر له دفع ما يعرض من خواطر الرياء وجملتها ثلاثة اولها العلم باطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم
على ما يفعله من امور الطاعة وثانيها هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم
وثالثها قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فاذن لا بد من دفع هذه
الخواطر الثلاثة واعلم انه ليس على الانسان الا ما يطيقه ولا يكلف الا وسعه من دفع
هذه الخواطر فاما ما هو دفع نزغات الشيطان وقمع الطبع عن هيجانه حتى لا يميل الى الشهوات
فليس ذلك مقدورا للانسان بحاله بل يسأل الله التوفيق والاعانة على الرياء عن الدنيا في كل الاحوال
والله اعلم **التنبيه الخامس في بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء**
واعلم ان من الناس من يترك الطاعات خوفا من ان يكون مرائيا وذلك غلط وموافقة
للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات نوعان
النوع الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلاة
والصيام والحج

والصيام والحج وخطرات الرياء فيها ثلاث الاولى منها ما هو قبل العمل فيبعث على الابتداء
لرؤية الناس وليس معه باعث من جهة الدين فهذا ينبغي ان يترك العمل لكونه معصية
لا طاعة فانه تحقق بصورة الطاعة ذريعة الى طلب المنزلة الثانية ان ينبعث لاجل طاعة
الله تعالى ولكن يعرض من الرياء مع عقد العبادة لله تعالى في اولها فلا ينبغي ان يترك العبا
دة لانه قد وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الا
خلاص بالمعالجة التي ذكرناها **الثالثة** ان يعقد ضميره على الاخلاص ثم يطرأ الرياء
ودواعيه فما هذا الحال لا ينبغي ترك العمل لاجله ولكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه قهرا
حتى يتم العمل **النوع الثاني** ما يتعلق بالخلق ويعظم فيه الآفات والاخطار انها على مراتب
ثلاث نذكر ما يتعلق بكل واحد منها **المرتبة الاولى** الخلافة والامارة والسلطنة
والامامة وهي من افضل العبادات اذا كانت حاصلة مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وآله
ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة فاعظم بعبادة يوازي يوم منها
ستين عاما وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اول من يدخل الجنة الامام المقسط وقال صلى الله عليه وسلم
اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل فالامامة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل
اهل التقوى يحذرون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك من الخطر لان بها تتحرك الخواطر
وتظهر النفوس الباطنة الى الاستيلاء والى محبة الدنيا وفي ذلك الخطر كله وقد روي عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسأل الامارة فانها يوم القيمة خزي وندامة وقال صلى الله عليه
وآله وسلم لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسألة

وكلت اليها ولقل ضعيف البصيرة بما ورد في فضل الامارة مع ما ورد من النهي
عليها فتنا فيها وليتي الارض كلها ظلمه **قال مولانا الامام المويد
بالله امير المومنين عليه الصلاة والسلام** والمختار ان يقال الخوف
من الاقويا في الدين لا ينبغي لهم ان يمتنعوا عن تقلب الامامة بخلاف الضعفا فانه لا
ينبغي لهم الدخول فيها فيهلكون ويتضح بالاقويا الذين لا تميل بهم الدنيا ولا ياخذهم في
الله لومة لائم وهم الذين قهروا انفسهم وزهدوا في الدنيا ومن ليس بهذه الصفة يحرم
عليه الدخول في الامامة وعلى هذا يجتمع الاخبار وتبعد عن المناقضة والله اعلم **المرتبة
الثانية** اهل الوعظ والفتوى والتدريس ورواة الاحاديث وجمع
الاسنادات العالية وكل ما يبتغى من اجله الجاه فمن لا باعث له الا ذلك الا الجاه والمنزلة عند
الخلق والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي له الترك ويخالف الهوى الا ان يحمي نفسه
ويقوى في الدين امره ويامن على نفسه الفتنة ومن غرضه في اول الامر وجه الله تعالى وتقريب الخلق
ورقة قلوبهم ونشر بصحيح مقال الدين فينبغي ان لا يترك ذلك **المرتبة الثالثة**
جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار العطا استجلاب للثنا وفي
اخفاء السرور على قلوب الخلق لذة للنفوس فالافات فيه ايضا كثيرة وقد اختلف العلما في
ذلك فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وتصدق منه افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل
وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله تعالى والاخذ والاعطا يشغلان عن ذكر الله تعالى وهذا التردد انما
هو في حق من سلم من الافات فاما من لا يسلم من الافات المالية فالترك له افضل من الاشتغال بها وقال
عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك لها ابر وقد فرغنا فيما نريد من ذم الدنيا وننكر

ما يتعلق بذم الجاه

ما يتعلق بذم الجاه وهو القسم الثاني

**القسم الثاني في بيان ما يتعلق بذم الجاه
وذم الشهرة** وفيه خطر عظيم ويتعلق به تنبيهات ثلاثة **التنبيه الاول**
في بيان ذم الجاه وذم الشهرة وقد ذكرنا من قبل ماهية الجاه فلا وجه للتكرير
واعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت واشتهار الذكر وهو مذموم قال الله تعالى
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين
جميعا وقال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الا قوله وباطل ما كانوا يعملون
وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه من اعظم لذات الحياة الدنيا واكثر زينتها وقال
صلى الله عليه واله وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الما البقل وقال صلى الله عليه
ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل
المسلم وقال صلى الله عليه واله وسلم لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وعن
جابر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حسب المرء من الشر الا من عصمه الله تعالى من الشر ان يشير
الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم
وقد ذكر الحسن البصري تاويلا حسنا لهذا الحديث لما قيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك
اشاروا اليك قال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه
قال مولانا الامام المويد بالله عليه الصلاة والسلام ولقد اصاب
فيما ذكره فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم والائمة من بعده كانوا يشار اليهم بالاصابع
ولكن لما كانوا ائمة الخلق وهداة الدين وسالكين لطريق الاخرة وقال امير المومنين

كرام من وجههم بينت لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت لتسلم تسر
الابرار وتغيظ الفجار وقال ابن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب
ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن بعض الزهاد انه كان اذا كثر من
حلقته قام خيفة من الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام
ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال يا ذباب طمع وفراش نار التنبيه

الثاني في بيان فضيلة الخمول اعلم ان مع الخمول يمكن العمل ويلتفت

الانسان الى اصلاح امر الآخرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين
لا يعبأ به لو اقسم على الله تعالى لابره منهم البراء بن مالك وفي حديث آخر رب اشعث
ذي طمرين لو قال اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه (وآله)
الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر من ابى في
المعلية وقيل الذي جمع ومنع جواظا وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان
خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره
يوم القيامة لوسعهم وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يسأله دينارا
لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى
الجنة لاعطاها اياه ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه عليه بل لكرامته
عليه وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى يحب الاخفياء الاتقياء
الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء

مظلمة اي الفتنة القويه

مظلمة اي الفتنة القويه وقال محمد بن سويد قحط الناس بالمدينة وكان فيهم رجل صالح لازم لمسجد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى
ركعتين واوجز فيهما ثم قال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه
ولم يقطع دعاءه حتى تغيمت السماء بالغيم ومطرت واحتاج اهل المدينة من مخافة الغرق فقال
يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب الطمرين حتى عرف
منزله ثم بكر اليه فخرج فقال اني اتيتك في حاجة فقال وما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان
الله انت انت وتسألني ان اخصك فقال ما الذي بلغك ما رأيت قال اطعت الله تعالى فيما امرني
ونهاني فسألت الله تعالى فاعطاني وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا ينابيع العلم مصابيح
الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في السماء وتخفون
في الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اغبط اوليائي عندي عبد
مؤمن خفيف المؤنة خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فمن صبر على ذلك ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه لا يقال فاي شهرة اعظم من شهرة الانبياء
والائمة والخلفاء الراشدين وفضلاء اهل العلم والزهاد فكيف فاتتهم فضيلة الخمول قال مولانا
امير المؤمنين الامام المؤيد بالله عليه افضل الصلاة والسلام لانا نقول ان المذموم
انما هو طلب الشهرة وتحببها فاما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من جهة العبد ولا عناية فليس
مذموما على حال فهذا ما اردنا ذكره من فضل الخمول التنبيه الثالث في بيان العلاج في دفع حب الجاه

اعلم ان كل من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغولاً بالمراءاة
لهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الا ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق
واصل الفساد ويجر الى التساهل بالعبادات وتمام علاجه يكون من طريقين **الطريق**
الاول علمي وحاصله ان يعلم السبب الذي من اجله احب الجاه وهو كمال القدرة على
اشخاص الناس وعلى قلوبهم فينبغي ان يعالج الانسان قلبه في حب الجاه وان الذي يعرضه
بالقلب بالافات العاجلة وخصوصا الاخطار العظيمة التي يتعرض لها اهل الجاهات في
الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على تغيره ومحترز عن ان تتغير
منزلته في القلوب فانها اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والادبار
والقبول والاعراض وكل ما كان مبنيا على قلوب الخلق فهو كما هو مبني على الامواج في البحر فانه
لا ثبات له بال فبهذا تعالج البنية الضعيفة بما ذكرناه من مقاساة هذه الاهوال وخصوصا هذه
التغيرات فاما من قد ثبت بصيرته ونفذ ايمانه فانه لا يلتفت الى الدنيا ولا يفرح على شيء منها
الطريق الثاني عملي فانما يكون العمل في اسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة
افعال يلام عليها فعلها حتى يسقط من اعين الخلق وجملة ذلك امران **احدهما** وهو الاقوى
ان يعتزل عن الناس ويهاجر الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو فيها
مشهور لا يخلو عن حب المنزلة في الاعتزال سلامة عن ذلك **وثانيهما** ان ملابس فعالا
لا يليق بمثله فعلها لتنقطع رغبة الناس في وصله والهجوم عليه وهذه الطريقة قد اعتمدها
اقوام من الصالحين والسالكين لطريق الخمول والتفل بانفسهم حتى روي عن بعض الزهاد انه
قصده بعض الملوك ليدخل عليه فاستدعى طعاما وبقلا ولحما واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة

ويتبع المضغ

ويتبع المضغ فلما رآه الملك سقط من عينه وانصرف عنه فقال الحمد لله الذي صرفه عني
ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح جوهر لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط
عن الاعين قدره ويحتقر حاله وامره ولربما انتهوا الى ارتكاب الفواحش وتناول المحظورات
ليسقطوا عن اعين الناس وهذا غير جائز لمن يقتدى به من المسلمين فانه يهون الدين في قلوب
المسلمين واما من لا يقتدى به فلا يجوز له الاقدام على المحظور فاما اذا كان غير محظور فالامر فيه
سهل وقد تم غرضنا من الباب العاشر في ذم الدنيا والجاه وبتمامه يتم الكلام على المقالة
الثانية في المهلكات والله الموفق للصواب **المقالة الثالثة في بيان الصفات
المنجية وجملتها عشر** التوبة والصبر والمحبة والشكر والخوف
والرجا والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والاخلاص والمراقبة والمحاسبة والتفكر
الا غير ذلك من الاوصاف التي باحرازها يحصل النجاة ويكون الفوز في الاخرة وتندرج هذه
الامور كلها في عشرة ابواب ونبدأ منها بكتاب التوبة وهي من مهمات الدين وبها يليق عنوان
المنجيات **الباب الاول في بيان التوبة وشرح اسرارها واحكامها** اعلم
ان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب والانابة الى علام الغيوب انما هي مبدا
السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المتهجدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الا
صطفاء والاجتباء للمقربين كابينا ادم صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء اجمعين وسلم
وما احرى الاولاد بالاقتدا بالاباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة اعرفها
من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولما كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع
وجب تقديمها على سائر الصفات وتمام المقصود يحصل بالكلام في اركان اربعة وافية بالمقصود
بعون الله تعالى **الركن الاول** في بيان معناها وماهيتها وشرح احكامها اما معناها وماهيتها

ثم اعلم انه قد يقال ان التوبه حقيقتها حاصله في معنا واحد وهو الندم لا غير وهذا
هو المختار لانه الاصل في بيان معرفتها و صحيح من يفتتح منها امنا فالثلاثه اولها
القلب فانه يتعلق بالذنوب التي تكون حجابا بين العبد وبين وصوله الى المحبوب
وتعرضه صوان الله تعالى والجنه **وثانيها** الندم والاسف علا ما فرط في جنبهم
تعالى من ابطال طاعته والتلبس بمعصيته **وثالثها** القصد لا يتعلق بالحال وهو
ترك الذنوب وبالاستقبال وهو العزم علا ترك الذنوب في الازمنه المستقبله وبالما
ضي وبالندم علا ما فات والاسف عليه واعتبار من اعتبر هذه الامور الثلاثه في
حقيقة التوبه انما هو علا جهة الكمال والا فالاصل هو ما ذكرناه من الندم توبه فالعلم
هو سبب في اثارة الندم والندم هو السبب في تحصيل القصد بالتدارك للماضي والترك
في الحال وفي الاستقبال بالعزم علا ترك الذنوب وهذا اصفا التوبه **واما احكامها**
فهي خمسه **الحكم الاول في بيان فضلها ووجوبها**
اما فضلها فقد قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال صلى الله عليه واله وسلم لله افرح
بتوبة احدكم وفي خبر بيت اخر بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دويه مهلكه معه راحلته
عليها طعامه وشرابه فنام فقد نعبت راحلته فطلبها فلم يجدها ثم نام فاستيقظ فاذا
هي عنده فقال من شدة الفرح واخل اللهم لك الحمد نقل في الكلام قال انت عبدي حذف بعد قوله
اللهم لك الحمد فيكون المحذوف فيقول اثم فتامل قال الله عبدي وانا ربك والاخبار والاثار
في فضلها الاتفاق **واما وجوبها بالعقل والنقل اما العقل**
فظاهر في ايجابها لما يحصل بسببها من دفع الضرر القطعي وهو العقاب المترتب علا المخالفة
لاوامر الله تعالى والملازمه لمناهيه والاخلاص الا بالاعتذار والمبالغه في ذلك بالندم

علا ما مضى والتدارك

علا ما سبق والخوف عليه والتاسف علا ما فعله وبها تحصل النجاة من الهلاك **واما النقل**
فالكتاب قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبه نصوحا اي خالية عن الشوائب **واما السنه** فقوله صلى الله عليه واله وسلم
توبوا الى الله قبل ان تموتوا والاجماع منعقد علا وجوبها من جهة الائمه **الحكم الثاني**
في بيان وجوبها علا الفور واعلم ان وجوبها علا جهة الفور
مما لا يرتاب فيه ولا يقع فيه شك لان معرفه كون المعاصي مهلكات للنفوس
امر ناجز لا محاله والمزيل لها لابد من كونه علا الفور ولان الموت متوقع في كل حال لا يومن
هجومه والمعاصي هي السموم القاتله والتوبه هي الشفاء من المعاصي والمزيل لعقابها فلابد
من الاسراع بها حتى تتم من حلول الموت فلا يحصل العطب بهلاك العقاب كما ان المريض اذا
كان يخشا عليه الهلاك والزمانه وتعلم ان الدواء نافع بلا ريب فالعقول تشير الا المعاجله
بالدواء بكل حال فاذا كان هذا الاستعجال حاصلا في العقوبه المنقطعه التي لها حد وغايه
فكيف حال العقوبه المترتبه التي لا اخر لها ولا انقضا لو فرضنا ان المعالجه تكون في حقها
الحين والعقوبه الابديه يكون اشنع واكثر ويؤيد هذا قوله تعالى سارعوا الا مغفرة من ربكم
والمغفره لا تكون الا بالتوبه والاعتذار فالامر بالمسارعه الا المغفره امر بالمسارعه الى
الاستغفار وهذا هو المراد بان التوبه علا الفور **الحكم الثالث في بيان وجوبها**
عام في جميع الاشخاص اعلم ان التوبه فرض عين في حق كل شخص من
الاشخاص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنها ادم عليه السلام
ابو الخلق فلا يمكن استغنى الاولاد عنها فخلقه الولد لا تتسع لاكثر مما لم يتسع لخلقه

الولد ويتردد الظاهر الكتاب على وجوبها اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فالخطاب عام
ونور البصيرة والعقل بين شبان الاذ لا معنا للتوبة الا الرجوع عن الطريق المبعد
عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا
بعد كمال غريزة البصيرة وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء
الخلق والشهوات جنود الشيطان والعقل جنود الملائكة واذا اجتمعا وقعت المقاتلة
والمقاتلة بين الجندين اذ لا يقوم احدهما للاخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد
بين الليل والنهار والنور والظلمة فمهما غلب احدهما ازعج الآخر واطرده واذا كانت
الشهوات تكمل في حال الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى
على المكان وشغله ووقع للقلب انس والف لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب
ذلك عليه وعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل بعد ذلك الذي هو حزب الله تعالى وجنده
ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل فقد
انقاد القلب للشيطان اللعين وانجز الخبيث موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات
ورد الطبع على جهة القهر الى العبادات ولا معنا للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن
طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على
عقله التي هي عدة الشيطان وهي مقدمة على غريزته التي هي عقله وهي عدة الملائكة
فحصل من هذا الكلم ان كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فان بلغ مسلما
تابعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن هذه الغفلة بتفهيم معنا الاسلام

فانه لا يغني عنه الاسلام

فانه لا يغني عنه الاسلام ابويه ما لم يسلم في نفسه ويتم علمه بالصفات الحميدة

الرابع في بيان وجوبها على كل حال على الدوام

فاعلم ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنها الانبياء كما ورد في
القران والاخبار من خطايا الانبياء عليهم السلام وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم ومعاصيهم
لكنهم ان خلا في بعض الحالات عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب
فان خلا عن الهم بالقلب فلا يخلو عن وساوس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن
ذكر الله تعالى فان خلا عنها فلا يخلو عن غفلة وتقصير في العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله
وكل ذلك نقص وتقصير والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا
النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم
والغين شهوة وفترة في قلوب الانبياء والغين قسوة في قلوب الاولياء والران على قلوب
الكفار ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وحكي عن لقمان
انه قال لابنه اياك والغفلة عن ربك بترك التوبة عن ذنبك فان كل من ترك التوبة فانه يتعرض
لخطرين عظيمين احدهما ان تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه حتى تصير غالبة فلا تقبل المحو
ثانيهما ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة الاشتغال بالمحو والازالة ولهذا ورد
في الخبر اكثر صياح اهل النار من التسويف قال بعض الزهاد ان لله تعالى الى العبد
سرين احدهما اذا اخرجه من بطن امه فيقول له عبدي قد اخرجتك من بطن امك الى الدنيا
طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة

وانظر كيف تلقاني وثانيهما عند خروج روحه يقول ما صنعت في امانتي عندك
هل حفظتها حتى تلقاني على الحفظ فالقاك على الوفاء او ضيعتها فتلقاني على الا
ضاعة فالقاك على المطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
واياي فارهبون

الحكم الخامس في بيان ان التوبة عند حصولها

واجبة القبول اعلم ان المأخوذ على المكلف الابد في المعصية فان واقعها ولم يتب
فهو هالك لا محالة وان تاب فهل يجب على الله تعالى قبول توبته ام لا من جهة العقل فيه تردد
واكثر المتكلمين على وجوب القبول للتوبة ومنهم من قال ان القبول لا يجب عقلا والمختار انه
غير واجب وقد قررناه في الكتب الكلامية فاما الوجوب من جهة الشرع فهو ظاهر وقد دل
عليه القرآن والاخبار اما الآيات فقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب القبول واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وآله وسلم
الله افرح بتوبة احدكم الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يبسط يده بالتوبة لمسيء النهار الى الليل ولمسيء الليل الى النهار فبسط
اليد استعارة لقبول التوبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله
عليكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك
يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا منه حتى يدخل الجنة فهذا ما اردنا
ذكره في بيان ماهية التوبة وما يتعلق باحكامها وبالله التوفيق

الركن الثاني

في بيان الذنوب التي تجب التوبة عنها اعلم ان التوبة عبارة عن ترك الذنب ومعنى
الذنب هو كل ما خالف امر الله تعالى في فعل او كف وذلك يستدعي شرح اقسام التكليف

وليس في مقصدنا

وليس من مقصدنا لكنا نشير الى جملة اقسام الذنوب ونجعلها على اربع مراتب **المرتبة الاولى**
صفات الربوبية ومن يتشبه بها في الربوبية ان كل من كان متشابها بها فهو ينزع الى المشاركة
في الالهية وهذا كالكبر والفخر والجبروتية وحب الثناء والمدح والعز والغنى وحب
دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الخلق حتى كأنه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى فهذه الصفات كلها
يتشعب عنها كبائر الذنوب التي غفل الخلق عنها ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة
التي كالامهات لاكثر المعاصي **المرتبة الثانية الشيطانية** وهي التي منها
يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيها يدخل الغش والنفاق والدعوة
الى الامور الباطلة والمذاهب الرديئة والضلالات العظيمة ومن تخلق بهذه الصفات فهو لا محالة
اعظم حبائل الشيطان **المرتبة الثالثة** الصفات البهيمية ومنها يتشعب
الشره والتكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة
واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات لان كل من جمع هذه الصفات فهو متشبه لاخلاق البهائم
كالحمار والثور **المرتبة الرابعة** الصفات السبعية ومنها يتشعب الغضب
والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب
فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها يكون
على القلب خاصة سيما الكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع
بالتطلع على العورات وبالغيبة والنميمة وبعضها على البطن كاكل اموال المحرمة وبعضها
على الفرج كالزنا وبركوب المحرمات وبعضها على اليدين بالقتل والظلم والسعي بين الخلق بالباطل
وبعضها بالرجلين كالسير الى كل محظور وبعضها على جميع البدن والذنوب تقسيمات كثيرة
لا حاجة بنا الى ذكرها

الركن الثالث ما يحمل الناس على ترك الذنوب

وجملة ما يشير اليه من ذلك ان يطالع اصحاب الضرب الاول ذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم الطابع معلق بقائمة من قوائم العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث آخر القلب مثل الكف اذا قبضت كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع

الضرب الثاني حكايات الانبياء والسلف الصالح وما جرى عليهم من المصائب من اجل الذنوب فذلك شديد النفع ظاهر الوقع في قلوب الخلق مثل آدم وحوا في عصيانهما وخروجهما من الجنة ومثل ما جرى لداود من الخطيئة وما جرى لسليمان من ذلك الذنب الذي اذنبه فعوقب قبل ان سلب ملكه اربعين يوما واخذ خاتمه ثم ردت عليه الى ان رجع ملكه اليه فخدمه الجن والانس والطير والوحوش كلها

الضرب الثالث ان يقرر عنده ان تعجيل العقوبة في الدنيا انه متوقع في الدنيا على مقارفة الذنوب وان كلما يصيب من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لجهله فينبغي ان يخوف به فان الذنوب كلها تتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الامر وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

الضرب الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والنميمة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدواء في غير موضعه فينبغي ان يذكر لكل واحد ما يلائمه كما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم لما قال له رجل اوصني قال لا تغضب وقال آخر اوصني فقال عليك صلاة مودع الى غير ذلك من العلاج بالاحوال حتى يكون الكلام نافعا والموعظة زاجراً للسامع

وما ينبغي للتائب ان يبادر اذا جرى عليه بعض الذنوب

اعلم ان الواجب عليه هو الندم والاشتغال بالتكفير بالحسنة تقابل كل ذنب من ذنوبه كما اشرنا

اليه فان لم تساعده

اليه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فالحسنات المكفرات للسيئات امور ثلاثة اولها القلب فيكفر بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذلك بحيث يظهر للعباد وذلك يكون بنقص كبره وذلك عظيم ويضمر بقلبه فعل الخيرات للمسلمين وثانيها اللسان بالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول الهي ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفارات وثالثها الجوارح بالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولهذا قيل صدقة السر تطفي ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وقد تم ما نريد من كتاب التوبة على جهة الاختصار والايجاز والله اعلم

الباب الثاني في مقالة المنجيات

الصبر والشكر وهما ركنان

وان كان الايمان كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكما وردت به الآثار وشهدت به الاخبار وذلك لان المقاصد التكليفية متعلقاتها الاوامر والنواهي وهي اصول الايمان فما كان من جهة الاوامر فهو الشكر ان هي الطاعات جارية مجرى الشكر للنعم وما كان من جهة المناهي فهو الصبر عن المنتهيات فلنجعل الكلام على الشطرين

الشطر الاول

في الصبر وقبل الخوض في مقاصده نذكر ماهيته اعلم ان الصبر عبارة عن مخالفة الهوى والميل عن شهوة الدنيا ويقال انه عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وعلى هذا يكون المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين لان اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الهوى والكسل فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الصبر ثم نذكر اقسامه ثم نردفه بما يتعلق

به على الصبر ففيه تنبيهات اربع التنبيه الاول في اقسام الصبر وله تقسيمات ثلاثة التقسيم الاول باعتبار اليسر والعسر اعلم انه اما ان يكون شاقا على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد وما هذا حاله يسمى تصبرا وتارة يكون متعلقه اما الطاعة لثباته عليها واما المعصية في الانكفاف عنها واما ان يكون وقوع الصبر فيه من غير شدة ولا مكابدة ويختص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر وسهل ومثال هذا التقسيم المصارع فان الرجل القوي يسهل عليه الصراع للضعيف بادنى حركة ولا يحصل صراع الرجل القوي الا بجهد عظيم ومشقة التقسيم الثاني باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر على المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يد غيره او يقتله وهو يصبر على ذلك فان ذلك فهو محظور والصبر على المكروه هو الصبر على اذى ينالك بجهة مكروهة في الشرع التقسيم الثالث باعتبار قوته وضعفه ويقع على اوجه ثلاثة اولها ان يكون الصبر قاهرا الدواعي الهوى فلا يبقى للهوى تصرف وعند هذا يقال من صبر ظفر والمختص بهذه الرتبة هم الاقلون الناجون وثانيها ان يغلب دواعي الهوى فتسقط دواعي الدين والعقل بالكلية ويسلم نفسه الى جند الشياطين فلا يجاهد لياسه من المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين حصلوا في رق الشهوات وغلبت عليهم الشقوة وثالثها ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة يغلب العقل وتارة يغلب الهوى وهؤلاء هم المجاهدون وهؤلاء هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم التنبيه الثاني في بيان ما يستعان به على تحصيل الصبر اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد بالشفاء فالصبر وان كان شاقا وعسيرا فتحصيله يكون بمعجون العلم والعمل فهذان طريقان الطريق الاول الامور العلمية وهي النافعة وتقريرها هو ان يعلم عظمة الله تعالى ويتحقق ما له من الجلال والكبرياء وان من هذه حاله فلا يمكن مبارزته بالمعصية ويعلم ايضا ما اعد الله تعالى لاعدائه في الاخرة من العقوبة الابدية والعذاب

الترهيب التي

الترهيب التي ليس لها غاية ولا يكون لها نقضا ولا نهاية فبهذا العلم يستعين على الصبر عن الانكفاف عن كل معصية الطريق الثاني الامور العملية فلو نظرنا الى مثال الصبر على سائر الاشياء وهو انا نقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة اضرارا بحيث لا يملك فرجه معها وان ملك فرجه معها فلا يملك عينه وان ملك عينه فلا يملك قلبه ونفسه لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة وتصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر وسائر الاعمال الصالحة فاذا كان الامر كما قلناه فالاستعانة على الصبر على باعث الشهوة يكون بامور ثلاثة اما اولا فبالصوم كما اشار اليه صاحب الشريعة صلوات الله عليه بقوله ومن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم واما ثانيا فبترك الاسباب المهيجة للشهوة كالنظر فانه يهيج الشهوة بتحريك القلب واما ثالثا فبالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع ما يحرك الدواعي ويحرك البواعث على ما ذكرناه فبهذه الامور كلها مما يستعان به على الصبر وهكذا الحال في كل علم فان اقسام العلل مختلفة فتكون اقسام العلاج مختلفة ايضا لانه اذا اختلفت العلل اختلفت العلاج لكل شيء بما يليق به من الادوية والعلاجات التنبيه الثالث في بيان فضل الصبر وذلك يكون من جهات ثلاث

الجهة الاولى الآي القرآنية وقد قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمات ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وما من قربة الا ولها اجر مقدر الا الصبر وقال واصبروا ان الله مع الصابرين وقد وصفهم الصابرين باوصاف كثيرة وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر الجهة الثانية الاخبار

قال صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف الإيمان وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وروي جابر أنه سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل عن الإيمان فقال الصبر وقال أيضا أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وعن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة إيمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين

الجهة الثالثة الآثار

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآية وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا ما أردنا ذكره في فضيلة الصبر

الرابع

في بيان أنه لا غنى عن الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال

اعلم أن جميع ما يلقاه العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما يوافق هواه والآخر يخالف هواه وهو محتاج إلى الصبر فيهما والنوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وشهواتها وما العبد محتاج إلى الصبر على هذه الأمور فإن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والانهماك فيها أخرجه إلى البطر والطغيان النوع الثاني ما لا يوافق هواه وذلك يكون على أقسام ثلاثة القسم

الأول ما يرتبط

الأول ما يرتبط باختيار العبد وهي سائر أفعاله التي تكون موقوفة على قدرته واختياره ويوصف بكونها طاعة أو معصية فهذا على ضربين الضرب الأول الطاعات والعبد محتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفوس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي العلو والرفعة فيحتاج في الطاعة إلى الإخلاص والنية فيها ولا يعقلها البلادة بتساهل لأن تركها والأخرى تسترها بعد الفراغ منها عن الرياء الضرب الثاني المعاصي فما أحوج العبد إلى الصبر عن المعاصي وقد جمع الله أنواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه وأشد أنواع الصبر هو الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة القسم الثاني ما لا يرتبط باختيار العبد ولم اختيار في دفعه كالأذى بفعل أو قول أو بالجناية عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وقال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وقال ودع أذاهم وتوكل على الله القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره وهذا هو المصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض والعمى وفساد الأعضاء وعلى الجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة هذا ما أردنا ذكره فيما يتعلق بالصبر والله الموفق للصواب

الشطر الثاني في بيان ذكر الشكر

واعلم أن قبل الخوض في بيان بعض أسرار الشكر وحقيقته نذكر ماهية الشكر واعلم أن الشكر لا بد فيه من مراعاة أمور في تمام ماهيته أما أولا فلا بد من العلم بالنعمة والعلم بقصد

المنعم بها انها من نعمه والقلب بصفاته التي ينعم بها الانعام وتصدر وجوده واما ثانيا فلا بد من التواضع للمنعم على نعمته والخضوع له واما ثالثا فالعمل بموجب النعمة وهذا العمل يتعلق بالاعتراف بالقلب وبالاقرار باللسان وبالعمل بالجوارح فشكر القلب ان يبني كل عبوده على كل صالح وشكر الاخر ان ينشر كل عيب بنعمه والشكر باللسان الرضا عن الله تعالى فمهما حصلت هذه الامور الثلاثة حصل الشكر لا محاله فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الشكر ثم نردفه بكيفية الشكر في حق الله تعالى فهذان تنبيهان

التنبيه الاول في فضيلة الشكر

وقد قرن الله الشكر بالذكر فقال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر وقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد وعد الله بالمزيد على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اجر الطاعم الشاكر كاجر الصائم الصابر وروت عائشة رضي الله عنها ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه توضا وصلى ثم نشب وبكى حتى اذن بلال للصلاة فقال يا رسول الله كيف تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا ابكي وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية وهذا يدل على ان البكا لا ينقطع ابدا وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ينادي منادي يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة فقيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي خبر اخر على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمد رداء الرحمن وقيل اوحى الله الى ايوب ليس من شي عليكم اني قد رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي واوحى الله في بعض الكتب الالهية في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم

بعض ح

الشكر وهو خير الكلام

الشكر وهو خير الكلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فاذا عرفنا فضيلة الشكر بدلالة الامثال

التنبيه الثاني في كيفية الشكر لله تعالى

اعلم انه ظن ظان ان الشكر في حق الله تعالى متعذر لوجهين احدهما ان الشكر انما يكون لما يحصل فيه من المنفعة للمنعم وذلك مستحيل في حق الله تعالى لانه يتعالى عن المنافع وثانيهما ان جميع ما نتعاطاه من الشكر باختيارنا فانه لا يتم الا بنعمة اخرى من جهة الله تعالى فكيف نشكر نعمته بنعمته وذلك يؤدي الى تعذر الشكر في حق الله تعالى والجواب ان مثل هذا الوهم قد خطر لداود عليه السلام ولموسى صلى الله عليه فقال يا رب كيف نشكرك ونحن لا نشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك ولا نستطيع ذلك وشكرنا لك نعمة اخرى توجب علينا الشكر لك فاوحى الله اليهما اذا عرفتما هذا فقد شكرتماني وفي خبر اخر اذا عرفتما ان النعم مني فقد رضيت منكما بذلك شكرا فاما قول القائل ان الشكر انما يكون لجلب النفع فجوابه ان الشكر كما يكون لجلب النفع فقد يكون لامر غير هذا وهو اختصاصه بصفات الكمال وانه المتعالي بالصفات الالهية واما قوله ان الشكر لا يكون الا بنعمة اخرى فهذا صحيح ولكنه لا يبطل الشكر لانه انما يكون على الوجه الممكن اللائق وقد اشار الشرع الى ذلك بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

قال مولانا الامام المؤيد بالله امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام

هذه قاعدة نختم بها هذا الباب في معرفة الافضل من الصبر والشكر وقد اختلف العلماء في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل وصار صائرون الى انهما متساويان لان كل واحد منهما مختص بمزيد فضل مثل الآخر وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستند لكل فريق بكلام يشهد له مقالته **والمختار** عندنا ههنا تفصيل نشير له يكون بالبحث والتفصيل وهو ان الذي ظهر الشرع عليه دال على تفضيل الصبر على الشكر فانه قد وردت في الشكر اخبار في فضله فاذا اضفت الاخبار الواردة في فضل الصبر كانت فضائل الصبر اكثر بل ربما ورد تصريح بالتفضيل في الصبر كما روي

عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الحديث يؤتى يوم القيامة
بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أترضى
أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى كلا أنعمت
عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال
تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف الإيمان ولم
يقل الشكر نصف الإيمان وكقوله المتقدم نصف الصبر وفي خبر أن آخر الأنبياء دخولاً سليمان
الجنة أي داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولاً عبد الرحمن بن عوف وفي لفظ يدخل سليمان
الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفاً وفي خبر أن آخر أبواب الجنة مصراعاه الأبواب الصبر
فإنه مصراع واحد وأول من يدخله من أهل البلاء أيوب وفي هذا دلالة على فضل الصبر

الباب الثالث من مقالة المنجيات في الخوف والرجاء

اعلم أن الخوف والرجاء جناحان يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان يقطع بهما من طرق
الآخرة كل عقبة كؤود فلا يسوق إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل
الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم
والعذاب الأليم المقيم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات
التعنيف فلا بد من شرح حقائقهما وبيان فضائلهما وقد اشتمل الباب على شطرين

الشطر الأول في بيان الخوف

وفيه فصول فيما نذكر حقيقة الخوف واعلم
أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل فمن شغل قلبه بالخوف
واشتعلت ناره في فؤاده فإنه قامع للشهوات ومكدر للذات فتصير المعاصي المحبوبة
عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً فتحترق الشهوات
بالخوف وتتأدب الجوارح بالأعمال الصالحة ويحصل في القلب خشوع وذلة واستكانة

ويفارقه الكبر

ويفارقه الكبر والحسد والحقد وسائر الصفات المهلكة بل يصير مستوعب الهمة بالخوف والنظر
في خطر العاقبة فلا يتفرغ لغيره بحال ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة للنفس
فإذا عرفت هذا فالمقصود يحصل بذكر تنبيهات خمسة

التنبيه الأول في بيان فضيلة الخوف

وظهوره من جهات أربع **الجهة الأولى**
الآي القرآنية وهي جامعة لجميع فضائل الأخلاق التي جعلها الله تعالى للمتقين الهدى
والرحمة والعلم والرضوان قال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال إنما يخشى الله من
عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال
وخافون إن كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان وكما دل على فضيلة العلم
يدل بعينه على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم **الجهة الثانية** الأخبار
كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في
الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل
ثم يصيب شيئاً من حر وجهه إلا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يلج النار أحد بكى
من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقالت عائشة قلت يا رسول الله يدخل الجنة من أمتك أحد
بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه ثم بكى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة
دمع من خشية الله وقطرة دم أهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزقني
عينين هطالتين تشفيانني بذروف الدمع قبل أن يصير الدمع دماً والأضراس جمراً وقال
صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلاً ذكر الله في خلوة
ففاضت عيناه وقالت عائشة قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو
الرجل يسرق ويزني فقال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه

الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا يتمحض وكل ذلك ثمرة علم الخوف لان صدمة النار ثمرة
لصيحة الذي ينفيه وضد الخوف **الجهة الثالثة** الامان قال الفضيل بن عياض
من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف تصنع
بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لئن تخالط اقواما يخوفونك حتى
يدركك الامن خير من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال بعض الزهاد
ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال عمر لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا لرجوت ان
اكون انا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذه
عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء فمثل عمر ينبغي ان يساوي
خوفه رجاءه **الجهة الرابعة** من جهة الاعتبار فتقريره ان تعلم ان فضيلة
الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله عز وجل اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة
للعبد الا في لقاء الله تعالى والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غنائه وقد ظهر انه
لا وصول الى سعادة لقاء الله عز وجل في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة
الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ودوام الفكر لا يحصل الا بدوام الذكر ولا يحصل الذكر
الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع الا بترك اللذات والشهوات ولا تنقمع الشهوة الا بنار
الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ونقتصر على هذا القدر من فضل الخوف **التنبيه
الثاني في بيان الامور المخوفة** اعلم ان الخوف لا يكون متحققا الا بانتظار
مكروه وجملة المكروهات امور عشرة **اولها** ان يكون مكروها لذاته وهو الخوف النار فان الله
تعالى قد توعد بها العصاة وهي اعظم مخوف في الاخرة لان سائر الاهوال في الاخرة بالاضافة
اليها قليل ولان الشرع قد ورد لاهل العذاب من الكفار والفساق بالنار لكنا نجوز ان الله تعالى
يقطع ايديهم بالجوع فيمنعهم المشتهيات ويقطعهم الشهوات وثانيها المعاصي فانها مكروهة

لكونها موجبة

لكونها موجبة الى المكروه وهو العذاب في الاخرة وثالثها خوف الموت لما يلاقي فيه من المشاق
العظيمة والنزع والغاية الهائلة ورابعها الخوف من حضور ما انكر به قبل الموت والخوف ونقضها
وخامسها الخوف من الانتقاص لحق الله تعالى والوفاء بعهده وميثاقه وسادسها
الخوف من قساوة القلوب وسببها لما قال الله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله و
سابعها الخوف من الميل عن الاستقامة على الدين كما قال الله تعالى فاستقم كما امرت واقم وجهك
للدين القيم وثامنها الخوف من الاغترار بزخارف الدنيا ولذاتها وشهواتها وتاسعها
الخوف من الغفلة واطلاع الله تعالى على قبيح سريرته وعاشرها الخوف من سوء الخاتمة عند
الموت فهذه كلها مخاوف عظيمة ومنها الحجبة واغلب هذه المخاوف على اهل التقوى انما هو
سوء الخاتمة فان الامر فيه خطر لان الخاتمة تبع للسابقة وفرع يتفرع عنها فالخوف من المعاصي خوف
الصالحين والمؤمنين والخوف من الله تعالى لاجل اختصاصه بالصفات العالية هو خوف المحبين والعبد
بقين **التنبيه الثالث في بيان درجات الخوف** واعلم ان در
جاته ثلاث فربما كان نقص بقصاور بما كان افراطا وتارة يكون معتدلا فهذه درجاته
الدرجة الاولى التفريط وهي القاصرة وهذا هو الذي يجري مجرى رقة النسا
يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء ويفيض الدمع وكذا الحال عند مشاهدة
امر هائل فاذا غاب ذلك السبب الهائل فان القلب يرجع الى الغفلة والاعراض وهذا خوف قاصر
قليل الجدوى ضعيف النفع يجري مجرى القضيب الضعيف الذي تضرب به الدابة القوية فانه لا يؤلمها
ولا يحتفل به ولا يكون سايقا لها الى المقصد **الدرجة الثانية** وهي المقابلة
للاولى وهو الافراط وهو صفة مذمومة وهو المفرط وهذا هو الذي يقوى ويخرج عن حد الاعتدال
حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مانع من العمل والغرض بالخوف ان يكون باعثا على العمل
وهذا هو الضرب بالقضيب للدابة الذي يؤثر في كسر عضو من اعضائها او في اذهاب لحمها وجلدها
فانما هذا الم فانه يبطل الغرض لا محالة **الدرجة الثالثة** وهي المتوسطة [illegible]

على جهة الاعتدال هو وقت العمل فالخوف الذي يكون باعثا على العمل واشتغال تارة في القلب فحاصل
الامر ان الخوف ان لم يكن باعثا على العمل فوجوده كعدمه مثل الشهوة الذي لا يؤثر
في تحريك البدن على الشيء وان اثر في وجود العمل وحصل له منه المحمود الحاصل على باعث
الاعتدال وان زاد حتى يحير العالم فهو مذموم بعضه لا يكون الا افراط فيه درجات الخوف
كما فصلناه واشرنا اليه

التنبيه الرابع في بيان سوء الخاتمة

اعلم انها من جملة المخوفات العظيمة كما مر بيانه اعلم ان سوء الخاتمة لها حالتان

الحالة الاولى وهي اعظم من الثانية وهي المرتبة الهائلة وهي ان يغلب على القلب
عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك في الرب واما الجحود فيكون الروح مقبوضة
على هذه الحالة فيكون ما غلب على القلب من عقبة الجحود والشك حجابا بينه وبين الله تعالى و
هذا يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد **الحالة الثانية** وهي دون الاولى
وحاصلها ان يغلب على القلب عند الموت حب امر من امور الدنيا او شهوة من شهواتها
ويتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحال متسع لغيره فيتفق قبض روحه
في تلك الحال فيكون مستغرق قلبه منكسا راسه الى الدنيا وفي ذلك حصول الحجاب عن الله تعالى
ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين عن الله تعالى فاما المؤمن
السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فان النار تناديه وتقول جز يا مؤمن فان
نورك قد اطفأ لهبي فهذا هو المراد بسوء الخاتمة

التنبيه الخامس في بيان مراتب اهل الايمان في الخوف

وهذا الخوف للملائكة والانبياء والصحابة والتابعين
وغيرهم وتفصيلها على مراتب اربع ~~وهي وان كانت عند الله~~

المرتبة الاولى في بيان خوف الملائكة من الله تعالى اعلم ان هذا الصنف من المخلوقات هم اعظم خلقا واقرب نسبا
عند الله تعالى واعلاهم منزلة واجلهم مكانا ولقد وصفهم الله تعالى بالخوف فقال تعالى يخافون ربهم

من فوقهم

حجابا

من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى وهم من خشيته مشفقون وفي الحديث عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان لله ملكا ما بين جنبيه خفقان الطير المرتاع خشية بلا غام
وانه ليتفل حتى يصير كالعصفور من خشية الله تعالى وفي حديث اخر ان لله ملكا ما بين شفر
عينيه مسيرة مائة عام فانظر ايها المسكين لنفسك فاذا كان هؤلاء افضل من خلق الله واكرمهم
عنده واقربهم مكانا اليه هذا خوفهم منه هذا الخوف الشديد فكيف حالنا يا معاشر المساكين ضعفاء
الاحوال وكثيري الذنوب والخطايا كيف لا يكون خوفنا اعظم واشفاقنا من خوف سوء
الخاتمة اشد

المرتبة الثانية في بيان حال الانبياء في الخوف وهم اعظم الخلق خوفا
لله بعد الملائكة لان خوف الله تعالى يكون على قدر معرفته ولا شك ان الملائكة اعلم بالله تعالى
وبعدهم الانبياء وقد روت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت
ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويخرج كل ذلك من عذاب الله تعالى وقرا صلى الله عليه
وآله وسلم سورة الحاقة فصعق ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صورة جبريل بالابطح فصعق
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرتعد فرقا من الجبار وقال ابو الدرداء كان
يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود اربعين
يوما ساجدا حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم
ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه فانزل الله التوبة وا
لمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته مكتوبة في كفه فكان لا يبسط كفه
لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا رآها فابكته وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته
فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ما رفع راسه
الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وخرج داود الى الناس يوما يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين
الفا فمات ثلاثون الفا وما رجع الا في عشرة الاف وكان عيسى صلوات الله عليه يقول معاشر الحواريين

خشية الله وحب الفرج ومن يوم كان الصبر على المشقة ويباعدان من النار ويلحق الذل بكم
ان اكل الشهوة والندم على المزابل مع الكلاب في طلب الفرج ومن كثير وقليل كان الخليل اذا ذكر
خطيئته يغشى عليه فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقريك السلام ويقول هل رايت خليلاً
يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء في
خوفهم من الله فدونك التامل لها والتفكر فيها اذا هو بواب الفكر والبكا وقلقوا الشيب
القلق واشفقوا اعظم الشفق **المرتبة الثالثة** في بيان حال الصحابة رضي الله عنهم
في الخوف من الله تعالى روي ان امير المؤمنين كرم الله وجهه قال بعد فراغه من صلاة
الفجر وقد علاه كابة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصبحون شعثا
غبرا صفرا بين اعينهم امثال ركب المعز قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون
بين اقدامهم وجباههم فاذا اصبحوا ذكروا الله ومادوا كما تميد الشجر في اليوم العاصف وهملت
اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم لكانهم لم يروا ضاحكا بعد ذلك اليوم حتى ضربه ابن ملجم وقال ابوبكر
يا ليتني مثلك يا طير ولم اخلق بشرا وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه وقال عثمان وددت
اني اذا مت لم ابعث وقال ابو الدرداء ليتني شجرة تعضد وقال طلحة مثل ذلك وقالت عائشة
ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان من الدموع وروي ان عمر كان يسقط
من الخوف اذا سمع اية من القران واخذ يوما تبنة من الارض وقال يا ليتني كنت تبنة وقال عمران
ابن الحصين وددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة ابن الجراح وددت اني
كبش يذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي ابن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقال له
ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فقال اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم
المرتبة الرابعة في بيان حال التابعين والسلف الصالح في الخوف وروي

ومنها الشفقة

ومنها ابن صبيح قال كنا اذا دخلنا على سفيان الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من
خوفه وجزعه وقال مالك ابن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا بجويرية متعبدة وهي
متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها
يا رب اما كان لك عقوبة دون النار فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر وروي
ان الفضيل ابن عياض رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة
حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه
منك وان غفرت وكان حماد اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول
تلك جلسة الامن وانا غير امن لاني عصيت الله تعالى وقال عمر ابن عبد العزيز انما جعل الله هذه
الغفلة رحمة في قلوب العباد لئلا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك ابن دينار لقد هممت
اذا انا مت ان امر اهلي ان يقيدوني ويغلوني وينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالابق الى سيده وقال
حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة فلقي ادم فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة
فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم
فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه
لم ينتفع به اقاربه واعداؤه فتأمل يا مسكين مع كلال فهمك وضعف بصيرتك وتفحص
في احوال هؤلاء الذين كانوا في الدرجة الرفيعة والمنازل العالية عند الله تعالى كيف اشتد بهم الخوف
وطال بهم الحزن والبكاء فان كان لا يؤثر في قلبك فلا تعجب فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او
اشد قسوة فنسال الله الفضل العظيم والرحمة الواسعة والتدارك بالالطاف الخفية ويكفي هذا القدر
من اسرار الخوف **الشطر الثاني في بيان الرجا وشرح حقيقته وفضله**
وقبل الخوض في ما ذكر فنذكر ما حقيقته ومعناه فنقول الرجا هو ارتياح القلب لانتظار

ما هو محبوب عندك ولكن ذلك المحبوب المنتظر لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره
لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان ذلك انتظارا مع الخراب
عن اسبابه كلها فاسم الغرور والحمق صادق عليه دون اسم الرجاء وان لم تكن تلك
الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني صادق على انتظاره
لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد
في وقوعه وحصوله فلا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها لان ذلك مقطوع به فلا
يدخله الرجاء والخوف فاذا انتهت هذه الفائدة فلنذكر فضيلة الرجاء ثم نذكر الطريق
اليه فهذان ايضاحان **الايضاح الاول** في بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
روي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان
ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم رجوتني ولم نظرت الى غفلة اخوته
ولم تنظر الى لطفي به وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال صلى
الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم
على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي
فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى ما رجا وامنه مما يخاف وقال امير المؤمنين
كرم الله وجهه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من الله اعظم من ذنوبك وقال
سفيان الثوري من اذنب ذنبا فعلم ان الله قدره عليه ورجاه غفر الله له ذنبه لان الله تعالى عير
قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه
الله عز وجل حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فيقول الله تعالى قد غفرت لك وفي الخبر الصحيح
ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله عز وجل ولم يعمل خيرا

تعالى فقال الله عز وجل

قط فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه ان يعفو عنه مع افلاسه من
الطاعات ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم
الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل وقال يقول ربك لم تقنط عبادي
فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله اوحى الى داود عليه السلام ان احببني واحب من يحبني
وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وا
حساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط
الناس ويشدد عليهم فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم او يسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي
منها ولنقتصر على هذا القدر من بيان فضيلة الرجاء ففيه كفاية لغرضنا **الايضاح الثاني**
في بيان طريق الرجاء والوصول اليه اعلم ان الرجاء مقام من مقامات السالكين طريق
الاخرة وحال من احوال الطالبين لها ويمكن تحصيلها بطرق ثلاث **الطريق الاول**
الآيات الواردة وهي كقوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة ابي ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى انه اعد النار لاعدائه وانما خوف بها
اولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال واتقوا
النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يزل
يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال لا يرضى محمد واحد من امته في النار
وكان الباقر يقول انتم اهل العراق تقولون ان ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية ونحن نقول ارجى اية في كتاب الله
تعالى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى **الطريق الثاني** الاخبار فقد روي عن الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة
عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي
رجل من اهل الكتاب فقيل له هذا فداؤك من النار وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من
فيح جهنم وهي حظ المومن من النار وقيل في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه ان الله اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني اجعل حساب امتك اليك
قال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري
فاوحى الله اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا
ينظر الى مساويهم لا انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم
اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا
حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم
العفو فقال جبريل تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها
بالحسنات بكرمه وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال اتدري
ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلماء قد اتم الله النعمة علينا برضاه الاسلام لنا
اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الحديث اذا اذنب العبد ذنبا واستغفر
يقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له

الطريق الثالث

ومن الاعتبار فقد يكون بالتأمل لجميع اصناف النعم التي اجراها الله تعالى على الخلق بالاضافة الى الاخرة وبالا
ضافة الا ما خلق لهم هنا اذ اعلمه لطايف نعمه لعباده في الدنيا وعجايب حكمته التي راعاها

في فطرة الانسان

في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما كان ضروريا في الوجود في دوام وجود الانسان
كالحيوان والغذاء وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة كتقويس الحاجبين
واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينثلم بعدمه غرض مقصود وانما تفوت
به مزية الكمال والعناية الالهية اذ لم تكن قاصرة عن عباده في امثال هذه الدقايق فكيف
يرضى بسياقتهم الى الهلاك الابدي والشقاوة السرمدية بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا
علم ان اكثر الخلق قد هيئ لهم اسباب السعادة في الدنيا فانه كان حال اكثر الخلق في الدنيا
هو الغالب السلامة والخير فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لا محالة لان مدبرهما واحد وهو
غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تأمل حق التأمل قوي به اسباب الرجاء
لما يظهر من العناية بالخلق بالرحمة عم اللطف وقد تم الكلام فيما نريده من الرجاء والخوف بحمد الله
ومن توفيقه

الباب الرابع في مقالة المنجيات في الفقر والزهد

اعلم ان الدنيا حبها راس كل خطيئة كما تقدم من شرحه والتعلق بها والذهاب هو راس كل
نجاة فلا يطمع بالنجاة الا بالانقطاع عن الدنيا ولكن مقاطعتها اما ان تكون بان تزوي هي عن
العبد ويسمى ذلك فقرا واما ان تكون بان ينزوي العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد
منهما درجة في نيل السعادة الاخروية وحظ على الاعانة على الفوز والنجاة وتمام المقصود
يحصل بذكر قسمين القسم الاول من الباب في ذكر الفقر وبيان اسراره وقبل الخوض في
ذلك نذكر ماهية الفقر واعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه
فلا يسمى فقرا لما سلف ولهذا فان فقد الملك والصنم في حق الفلاحة لا يسمى فقرا لما كانوا
غير محتاجين اليه وهم اذا فقدوا القوت والكسوة فهم فقراء الا ذلك واذا فهمت هذا لم يبق شك
عليك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه مفتقر الى دوام الوجود في جميع احواله وليس

وجوده مستفادا إلا من فضل الله تعالى وجوده فإذا كان في الوجود موجود وليس وجوده
مستفادا من غيره أحب غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا وا
حدا فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه لتمشية وجودهم بالدوام
وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء ولسنا نقصد بيان الفقر المطلق
بل الفقر من المال على الخصوص وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصل حاجاته غير منحصر لأن
حاجاته لا حصر لها ولا جملة حاجاته ما يتوصل إليها بالمال وهو الذي نريد بيانه فقط فنقول ماهية
الفقر فإذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر اختلاف أحوال الفقراء ثم نردفه بذكر فضيلة الفقر
ثم نذكر آداب الفقير في فقره ثم نذكر قبول العطاء فهذه بيانات أربعة **البيان**
الأول في بيان اختلاف أحوال الفقير فنقول كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيرا
بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المال محتاجا إليه في حقه ثم إنه يتصور أن يكون
له أحوال ستة **الحالة الأولى** وهي الرتبة العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه
وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهذا هو الزهد واسم صاحبه
يكون زاهدا لا محالة فصار الزهد درجة كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة لا يبعد من المقربين
فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين وهذا لأن الكاره
للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب
عن الله إذ لا بعد بينك وبين الله حتى يصير البعد حجابا فإنه أقرب إليك من حبل الوريد وليس
حاصلا في مكان حتى تكون السماوات والأرض حجابا بينك وبينه لا شغلك بغيره وشغلك بنفسك
وشهواتك شغل بغيره فاقطع العلائق تكن فائزا بالمشاهدة **الحالة الثانية** أن يكون
بحيث لا يرغب في المال رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى به ويزهد
فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا إلا أنه غير كاره له **الحالة الثالثة**

ان يكون وجود المال

ان يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه
بل إن أتاه عفوا صفوا أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب
هذه الحالة يسمى قانعا إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة
الضعيفة **الحالة الرابعة** أن يكون تركه للطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة
لو وجد إليه سبيلا لطلبه ولو بالتعب العظيم لطلبه إذ هو مشغول بالطلب وصاحب هذه
الحالة يقال له الحريص ويسمى به **الحالة الخامسة** أن يكون ما فقده من المال
مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا
كيف ما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة
فهذه أحوال خمسة أعلاها الزهد كما ذكرنا ووصفنا حالة **الحالة السادسة**
وهي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ
وإن فقده فهو كذلك فهي هيئة حالة وإن كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره إذ
هو يرى الأموال في خزائن الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره
وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة بالمستغني لأنه غني عن فقد المال وعن وجوده
فهذا ما أردنا ذكره من هذه الأحوال **البيان الثاني في ذكر**
فضيلة الفقر مطلقا وظهوره يكون من جهات ثلاث **الجهة الأولى**
الآيات الدالة على فضله كقوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وقال
للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية وسياق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على و
صفهم بالهجرة والإحصار فبالغة وتأكيد في فضيلة الفقر وفيه مقادلالة على فضيلة الفقر
الجهة الثانية الأخبار وهي كثيرة قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه يوما أي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله

فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا من خير الناس يا رسول الله فقال فقير يعطي
جهده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي حديث اخر يدخل فقراء امتي
الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام وفي حديث اخر باربعين خريفا اي اربعين سنة
وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد
ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان الله يقرئك السلام ويقول اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك
حيث كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا
دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وعن
ابي رافع انه قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني
الى رجل من يهود خيبر وقال له قل محمد يقول لك اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب فقال لا
والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما والله اني لامين في السموات والارض
ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذه اليه فارهنها فلما خرجت نزلت هذه
الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم تعزية عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وفي حديث اخر ما العذار المذهب في خد الفرس
باحسن من الفقر في حال المؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح امنا في سربه معافا في جسمه
معه قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله لموسى يا موسى
اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين

المرتبة الثالثة

الاثار فقد قال ابو الدرداء ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي
الدرهم وارسل عمر الاشعث الى عامر بالف دينار فجاء الامير حزينا كئيبا فقالت امرأته

احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه
ثم قام يصلي ويبكي الى المغرب ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل
فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء ليدخل
في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب
رجل يريد ان يغسل ثوبه ولم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد
قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايهما تريد وقيل جاء رجل فقير الى الثوري
فقال لم تجيء لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه
الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال بعضهم ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت
الفقير اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف
من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله
في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون
من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه
واحد وجاء رجل الى ابراهيم ابن ادهم بعشرة الاف درهم فابى عليه فالح عليه الرجل فقال
اتريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة الاف لا افعل ابدا

الباب الثالث في ذكر اداب الفقير في فقره وجملتها اداب اربعة

الادب الاول في حق الباطن فينبغي ان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه به من الفقر اعني
ان لا يكون كارها فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر وهذا كالمحجوم فانه
يكون كارها للحجامة لتالمه بها ولا يكون كارها لفعل الحجام ولا كارها لها في نفسه

بل ربما يتقلد منه منة علاوة على ذلك وصنيعه ويؤيد ذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله وواثقا في مقدار ضرورته انه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف **الأدب الثاني** ان يظهر من وجهه التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علاماته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء وهذا يدل على ان كل فقير ليس بمحمود بل الذي لا يتسخطه ويرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب **الأدب الثالث** في اعماله وهي ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال امير المؤمنين كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله فهذه رتبة عالية واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل فينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء منهم **الأدب الرابع** في افعاله فان الفقير لا يفتر

الفقير عن عبادته

الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله افضل من اعمال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وقد روي عن زيد بن اسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما بطيب من نفسه وصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف وينبغي ان لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي فهذه آداب الفقير في فقره

البيان الرابع في ذكر خطر السؤال من غير ضرورة

اعلم ان النهي وارد في السؤال وتشديدات كثيرة وورد ما يدل على الرخصة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم للسائل حق ولو جاء على ظهر فرس وفي حديث آخر لا تردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جازت اعانة المعتدي على عدوانه ولا شك ان الاعطاء اعانة والكاشف للغطاء تماما فيه ان نقول السؤال محرم في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنه بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل هو المنع والتحريم لانه لا ينفك عن امور ثلاثة **اولها** الشكوى من الله تعالى لان السؤال اظهار الفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى وهو عين الشكوى فكما ان العبد المملوك لو شكا وسأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فهكذا سؤال العباد فيه شناعة على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما يحل الميتة **وثانيها** ان فيه اذلالا للسائل نفسه لغير الله وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العز كله فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي له ان يذل لهم الا للضرورة وفي السؤال اذلال للسائل بالاضافة الى المسؤول **وثالثها** انه لا ينفك

كأخذ الا... صح

عن ابتذال المبذول غالبا الا انه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب فان بذل له
حياء من السائل او رياء فهو حرام على الاخذ وان منع ربما استحيا وتأذى ان المنع
في نفسه او يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان
جاهه وكلاهما مؤذي والسائل هو السبب في هذا الايذاء والايذاء حرام الا
للضرورة واذ فهمت هذه المحذورات الثلث فهمت قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
حيث قال مسئلة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فا
حشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو
لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل
وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ما عليه لحم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
المسئلة كدوح وخدوش وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سأل وله ما يكفيه فانما يستكثر من جمر
جهنم وفي حديث آخر وما الذي يكفيه غدوة ما يغديه ويعشيه ومرة قال خمسون درهما
فهذه الالفاظ كلها صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوما على
الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعات وان لا يسألوا الناس شيئا وكان يأمر كثيرا بالتعفف
ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال استعفوا
عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر سا
ئلا بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية يسأل فقال
الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال
لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه
بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما ما ضربه ولا اخذ مخلاته

فائدة اعلم

فائدة اعلم ان الادخار له ثلث درجات الاولى منها وهي افضلها درجة
الصديقين وهي ان لا يدخر الا ليومه وليلته من غير زيادة **الثانية** ان يدخر لاربعين
يوما فما زاد على ذلك داخل في طول الامل وهذه درجة المتقين وقد نبه الله
على ذلك بمواعدة موسى اربعين ففيه رخصة **الثالثة** ان يدخر لسنة وهي
اقصى المراتب وهي مرتبة الصالحين وما زاد على ذلك فانما هو على حسبة الرخصة
لاغراض فائقة الورع والحزم **القسم الثاني** في الزهد اعلم ان الزهد عبارة عن
انصراف الرغبة عن شيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى ما هو خير منه او فضله
او دونه بمعاوضة وبيع وغيرهما فانما عدل عنه لرغبة عنه وانما عدل اليه لرغبة
فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة
وحبا فالزهد لا محالة يستدعي مرغوبا عنه ومرغوبا فيه فكل من باع الدنيا بالآخرة
فهو يسمى زاهدا في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ~~في الدنيا لكن نخص~~ ولكن في الاخرة
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بكل من زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد
بكل من مال الى الباطل من الاديان وان كان هو الميل في وضع اللسان فحصل من مجموع ماذكرناه
ان الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الاخرة وعن غير الله عدولا الى الله وهي
الدرجة العليا ولهذا قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته
الدنيا راغبة فتركها واما انا ففيم زهدت فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الزهد
ثم نذكر درجات الزهد ثم نردفه بذكر علامات الزهد فهذه ايضاحات ثلاثة

الايضاح الاول في بيان فضيلة الزهد [illegible] من جهات

ثلاث **الجهة الاولى** الآيات القرآنية قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته
الا قوله ثواب الله خير نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالفلاح وهو غاية الثناء
وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا
وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد
فيها فوصف الزهد بانه احسن الاعمال وقال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فيه وصف للكفار فمفهومه
ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الدنيا **الجهة الثانية**
الاخبار فما ورد فيها من ذم الدنيا كثيرة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح وهمه الدنيا
شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا
ما كتب الله له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه
في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم العبد قد اعطي
صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ولهذا قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه
وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير
قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قال قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي
الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا
ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال ان اردت ان يحبك الله فازهد
في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون

الزهد اعلى المقامات

الزهد اعلى المقامات عنده تعالى ومفهومه ان محبة الدنيا مقتض لبغضه وفي خبر من طريق
اهل البيت عليهم السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان
صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله انا
مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها
وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وآله وسلم عرفت
فالزم عبد نور الله الايمان قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى الشرح في
قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل ما هذا الشرح قال ان النور
اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب للموت
قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله
عليه وآله وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون
فبين ان ذلك ينافي الحياء من الله عز وجل وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من زهد في الدنيا
ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار
السلام والله اعلم بالصواب **الجهة الثالثة** الآثار قال بعض الصحابة رضي الله عنهم
تابعت الاعمال كلها فلم ار في الآخرة ابلغ من زهد الدنيا وقال بعض الزهاد من الصحابة
لبعض التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم كانوا خيرا
منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وعنهم الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد
وقال بلال لابي سعيد كفى بك ذنبا عند الله تعالى ان الله تعالى عز وجل يزهدنا في الدنيا وانت ترغب فيها
وقال رجل لسفيان الثوري اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب

المومنين ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا
لابد ان تخبرونا من دخل الجنة قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة وقال يوسف اني اسما الى اشتهي
من الله تعالى ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على
عظمي لحم فاعطي ذلك كله

الايضاح الثاني في بيان علامة الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس الامر كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة
سهل على كل من احب الثناء والمدح فكم من الرهبان ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير
من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم معرفة الناس بحالهم ونظرهم اليهم ومدحهم
لهم فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد للزاهد من ترك المال والجاه حتى يكمل
الزهد في جميع حظوظ النفس في الدنيا ولهذا فانه قد ادعى جماعة الزهد ولبس الاصواف
الفاخرة والاثواب الرفيعة كما قال بعض الزهاد في وصف المدعين للزهد حيث قال
وقد ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدوا اليهم مثل
لباسهم ويرون انفسهم اكلة الدنيا بالدين لم يعتنوا بتصفية اسرارهم ولا تهذيب اخلاق نفوسهم
فظهرت عليهم صفاتهم بل ينبغي ان يعول في الزهد على ثلاث علامات **العلامة الاولى**
ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده فهذه
علامة الزهد في المال **العلامة الثانية** ان يستوي عنده ذامه ومادحه
وهذه العلامة امارة للزهد في الجاه ولهذا قال بعض الزهاد من شغل بنفسه
شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين
والزاهد لا بد له من احراز احد المقامين ليكون زاهدا **العلامة الثالثة**
ان يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب من حلاوة المحبة

اما محبة الدنيا

اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فاذا دخل الماء خرج
الهواء منه فهما لا يجتمعان ابدا وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولهذا قيل
لبعضهم الى ماذا افضى بالزهاد الزهد قال الى الانس بالله فتحصل من مجموع ما ذكرناه ان علامة
الزهد استواء الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم لاجل الانس بالله **قال مولانا
الامام الموثوق بالله امير المومنين عليه الصلاة والسلام**
ولقد وجدنا على اثر هذه العلامات اقاويل الزهاد في علامة الزهد **القول الاول**
ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها **القول الثاني** ان علامة الزهد التسلي بالموجود
القول الثالث ان يترك الدنيا لاهلها كما هي من غير تخريب رباط ولا انقضاض بناء
يقول ابني صومعة ولا اعمر رباطا **القول الرابع** علامة الزهد عزوف
النفس عن الدنيا من غير تكلف **القول الخامس** الزهد علامته قصر الامل **القول
السادس** علامة الزهد امور ثلاثة عمل بلا رياء وقول بلا طمع وعز بلا رياسة
القول السابع جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا و
جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقال بعضهم الدنيا كالعروس والذي
يطلبها مثل الماشطة لها والزاهد فيها يسود وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها
فنسال الله ان يرزقنا من عباده في الزهد نصيبا وان قلت عادات امثالنا الا ينتهي على
الوصول الى غاياته فان رجانا في الله غير منقطع واذا لاحظنا جانب الله تعالى علينا وفضله
وكرمه لدينا فلا يبعد ان نعطى عليه التوكل اعتمادا منا على ما نتحققه من الجود المعهود ونكل
كماله

الايضاح الثاني في بيان درجات الزهد

اعلم ان الزهد
ينقسم الاما يكون بالاضافة اليه في نفسه والاما يكون بالاضافة الالم عنه
والاما يكون بالاضافة الالم عنه فيه فهذه ثلاثة انواع نذكر كل ما يختص كل واحد

منها بعقوبة منه تعالى النوع الاول بالاضافة اليه في نفسه وله درجات ثلاث
الدرجة الاولى منها ان يزهد في الدنيا وهو في غاية الشهوة لها وقلبه
اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها ويستقصي بالمجاهدة
تعالى علاجه فيصرفها عن هيئة حاله فانه يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق
من يريد الوصول الى درجة الزهد فالزاهد يذيب نفسه اولا في الطاعة لا في الصبر
على ما فارقه ولانه لا يأمن الا الرجوع اليه والمتزهد هو الذي يذيب نفسه على الصبر
على ما فارقه ولا يأمن العودة اليه الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا
طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل
درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى
زهده لا محالة ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويعجبه زهده ويظن في نفسه انه ترك
شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة
ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى في نفسه انه ترك شيئا
اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفا واخذ جوهرة فلا يرى ذلك
حاصلا على نقيض المعاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله والى
نعيم الآخرة اخس قدرا واخسه من خزف بالاضافة الى الجوهرة فهذا هو الكمال في
الزهد وقيل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزف امن من طلبه
الا قائلة في البيع النوع الثاني بالاضافة الى المرغوب فيه وهو ايضا على درجات
ثلاث الدرجة الاولى وهي السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر
الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر المرور على الصراط وسائر ما بين يدي

العبد من الاهوال

العبد من الاهوال الاخروية كما ورد في الاخبار ان الرجل ليوقف في المآب فلو وردت
مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين الدرجة
الثانية ان يزهد في الدنيا رغبة في ثواب الله ونعيمه وتحصيل اللذات الموعودة
في جنته من الحور والقصور وغيرهما وهذا هو زهد الراجين وان هؤلاء ما تركوا الدنيا
الا لاجل وجود حاصل على نعيم باق لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا
ان لا يكون له رغبة الا في الله عز وجل وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الا اليه ليقصد الخلاص
منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهمة بالله تعالى وهذا هو زهد
المحبين العارفين لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه النوع الثالث بالاضافة
الى المرغوب عنه اعلم ان كل ما يرغب عنه من شهوات الدنيا ولذاتها فهو خارج عن
الحصر وقد حصره الله تعالى في كتابه الكريم وجعله على مراتب اربع المرتبة الاولى
جعلها ستة في اية واحدة فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة
الدنيا المرتبة الثانية ان الله تعالى ردها في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد المرتبة
الثالثة ان الله تعالى ردها في اية اخرى الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب
ولهو المرتبة الرابعة ان الله تعالى ردها في موضع الى واحد فقال واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والهوى لفظ جامع لجميع حظوظ النفس
في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد حاصلا فيه فهذا كله اشارة الى الزهد في المرغوب
عنه على جهة الاجمال واما الاشارة اليه على جهة التفصيل فاعلم ان ما ينهمك فيه الناس

ينقسم الا ما يكون فضولا والا المهم فاما الفضول فمثل الخيل المسومة وهذه من الفضلات
التي يستغني عنها اكثر الخلق واما المهم فهو ستة اصناف المطعم والملبس والمسكن
والمنكح والمال والجاه **الصنف الاول** المطعم فاما جنسه فاقله الخبز من النخالة
واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر من غير نخل فاما اذا ميز منه
من النخالة واما مقداره فاقله في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه
مد واما الادام فاقله البقل والخل والملح واوسطه الزيت وسائر الادهان واعلاه
اللحم واما وقته فاقله في اليوم والليلة اكلة واوسطه الغدا والعشا الكلتان واعلاه
ان يطوي ثلاثة ايام على قدر الامكان **الصنف الثاني** الملبس فالزهد فيه
ادناه كساء غليظ يستر به عورته واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه قميص
وسراويل وملحفة وما زاد على هذا فليس من الزهد في شيء **الصنف الثالث**
المسكن واعلاه ان لا يطلب موضعا يخصه ويكفيه زوايا المساجد والخانات كاهل الصفة
واوسطه ان يطلب موضعا خاصا من سعف او خوص وادناه ان يطلب حجرة مبنية وما عدا
ذلك فليس من الزهد في شيء **الصنف الرابع** النكاح فان كانت شاغلة اعني
المرأة عن ذكر الله فتركها يكون زهدا وان كانت غير شاغلة فالنكاح لا بأس به للزاهد لما فيه
من قطع النظر وازالة شغبة الشهوة وصلاح القلب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
سيد الزاهدين فكان له تسع نسوة وامير المؤمنين كان ازهد الصحابة فمات عن اربع نسوة
وبضع عشرة سرية **الصنف الخامس** اثاث البيت فالزهد فيها فاقله ان لا يتخذ
الا ما لا بد له منه ويكتفي من الخزف ولا يبالي كيف كان مكسورا او مثلوما اذا كان فيه قضاء الحاجة
ويكتفي بالاناء يصلح للحوائج كثيرة يستغني به عن غيره واوسطها ان يكون له اثاث معتبرة

بقدر الحاجة

بقدر الحاجة صحيح في نفسه واعلاها ان يكون له بقدر كل حاجة من الاثاث الخفيف
في المحل القليل في القيمة ليكون من غايات الفضائل الزهد ولينظر الانسان في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسيرة الصحابة بعده ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينام على حبال الشريط
ما فقدمه شيء حتى ابدوا اثر الحبال في جسمه الشريف وكانت له وسادة من ادم حشوها
ليف وهذا ما اردنا ذكره من اسرار الزهد وشرح احكامه على جهة الايجاز
والاختصار **الباب الخامس في المراقبة والمحاسبة** وهما حالتان
من احوال المقربين وصفتان من منازل المتقين وقد قال تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
حاسبين وقال تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال تعالى يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال اعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه ولنذكر المراقبة ثم نردفها بالمحاسبة فهذان مقامان **المقام الاول**
في المراقبة اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمة اليه فمن
احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقبه ويراعي جانبه ونعني
بهذه المراقبة حالة للقلب تثمرها المعرفة بالله تعالى وتلك الحالة تثمر اعمالا في الجوارح
بالطاعة والانكفاف عن المعصية فاصل معنى المراقبة اشتغال القلب بالله تعالى
وهو مطلع على الضمائر عالم بالسرائر مخبر بحقائق الاعمال فالاهم ترجيح حقيقة

المراقبة ومعناها فاذا عرفت هذا فلنذكر فضل المراقبة ودرجتها وكيفيتها فهذه
تنبيهات ثلاثة **التنبيه الاول في بيان فضلها** وقد قال تعالى
افمن هو قائم على كل نفس وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم
رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون
وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
اعبد الله كانك تراه فان لم تره فانه يراك وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوصيه اذا
اردت امرا فتدبر عاقبته فان يك رشدا فامضه وان كان غيا فانته
وقال عمر حاسبوا نفوسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وكتب عمر الى بعض
عماله حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لقمان ان المؤمن بصر العاقبة امن
من الندامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ودان نفسه اي حاسبها ويوم الدين هو يوم الحساب
وقوله انا لمدينون اي محاسبون وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة
ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله في السر والعلانية وانتظار
الموت بالتأهب له ومحاسبة النفس قبل ان تحاسب وقال بعض الحكماء ما تزين القلب بشيء
افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه وحاسب نفسه
وتزود لمعاده وقال بعض الزهاد لمن يقظه لئن كنت عصيت الله خاليا فظننت انه

يراك فقد اجترأت

يراك فقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري
عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن
يملك العقوبة ويحكى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على
البواطن كلها والله اعلم **التنبيه الثاني في بيان درجاتها** وهي منقسمة
بالاضافة الى اهلها درجات ثلاث **الدرجة الاولى** درجة المقربين من اهل اليقين
وهي مراقبة التعظيم والاجلال لمالكهم وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك
الجلال الاكبر ومنكسرا تحت الهيبة والكبرياء فلا يبقى هناك متسع للاغيار وهي مرا
قبة عظيمة لا يشتغل بها الا الآحاد والافراد فانها مقصورة على القلوب اما الجوارح
فانها تتعطل عن الالتفات الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالآ
لات المستعمل بها فلا يحتاج الى تدبير في حفظها على سنن السداد فاذا صار القلب مستغر
قا بالمعبود صارت الجوارح جارية على جهة الطاعة والانقياد **الدرجة الثانية**
مراقبة الصديقين وهو الذي غلب عليهم يقين الاطلاع من الله تعالى على بواطنهم وظواهر
هم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للالتفات
الى الاحوال والاعمال الا انها لا تخلو مع ممارسة الاعمال عن المراقبة لله تعالى فلانهم قد غلب عليهم
الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون مما تقع فيه المناقشة
عند الله تعالى **الدرجة الثالثة** مراقبة اهل الصلاح وهو الا تخلو انفسهم
عن المراقبة لكنها تكون تارة بعد تارة ووقتا بعد وقت فلا غلب على احوالهم

مراقبة الاعمال الظاهرة لكنهم لا يخلون عن الغفلة عن الله تعالى والمراقبة لجلاله
وهكذا تختلف مراتب الخلق في مراقبة الله تعالى ومن كان بهذه الحالة فانه يحتاج الى مراقبة
الله تعالى في جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته. **التنبيه الثالث**
في كيفية المراقبة وتارة تكون قبل العمل وتارة تكون في حالة العمل فهاتان
حالتان **الحالة الاولى** ما يكون قبل العمل فلينظر العمل ما ظهر له وتحرك من اجله خاطره
ووقع في نفسه اهو لله تعالى خاصة او هو في متابعة هوى النفس وموافقة الشيطان
فان كان لله تعالى امضاه وعاجل في فعله وان كان لغيره استحيى من الله وانكف عنه ولام
نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرف نفسه سوء فعلها وسعيها في
فضيحتها وانها عدوة نفسها وهذا انما يكون في بداية الامر وفي الحديث انه ينشر
للعبد في كل حركة ثلاثة دواوين والديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فقوله
لم اي ما الداعي لك الى فعله وقوله كيف اي هل بعلم او بجهل وقوله لمن اراد لله او لغيره
وهو سؤال الاخلاص **الحالة الثانية** ما يكون في حال العمل وذلك يكون بتفقد حال
العمل ليقضي حق الله فيه ولتحسين النية في اتمامه واكمال صورته وخلوص القصد حتى
يكون مرضيا لله تعالى في كل احواله فان افعال العبد لا يخلو حالها اما ان تكون طاعة
او معصية او مباحة فان كانت في معصية راقب الله في الانكفاف عنها وان كانت في
طاعة راقب الله في الاخلاص والاكمال لها وان كان مباحا فمراقبته بمراعاة الادب
وتادية الشكر لله تعالى **المقام الثاني في المحاسبة** اعلم ان المحاسبة
هي مطابقة القلب واعمال اللسان واعمال الجوارح فلابد للعبد في كل معصية بجنبتها

في ابتدائه

١٥٣

جزءا في دابته في مدة من بيانه ولا صلاة في الدار ولكنه يتساهل في حفظ ذلك و
لمكان تعطيله كما قال تعالى احصاه الله ونسوه وحكي عن بعض الحكماء المراقبين انه الهم
انه حسب عمره فاذا هو ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف
يوم وخمسمائة يوم فصرخ باعلا صوته وقال يا ويلتا القى الله تعالى باحد وعشرين
الف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا
هو ميت فسمعوا هاتفا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يكون محا
سبة العاقل الحازم لنفسه فاذا عرفت هذا فلنذكر فضل المحاسبة ثم نذكر معاقبة
النفس على تقصيرها ثم نذكر توبيخ النفس ومعاتبتها فهذه ايضاحات ثلاثة نفصلها
بعون الله تعالى **الايضاح الاول** في بيان فضيلة المحاسبة قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فهذه اشارة الى المحاسبة على ما
مضى من الاعمال وقال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وانه لما ان
هذه الآية اعظم آية في المؤاخذة لما نزلت الآية بكى عبد الله ابن عمر فقال له ابن عباس
يرحمك الله يا ابا عبد الرحمن ان الله عز وتبارك وتعالى يقول لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وفي الخبر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ينبغي ان يكون للعبد ثلاث
ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو باهله وساعة يلهو بقوته وفي
سبيله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لاتوب الى الله في اليوم والليلة مائة مرة وانما تكون هذه
التوبة لاجل محاسبته على الذنوب وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر انه كان يضرب قدميه بالدرة ويقول ماذا عملت

البعض وعن بعض المجاهدين انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه
اشد من محاسبة الشريك لشريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وفي حديث ابي طلحة
انه لما شغله الطير في صلاته فتدبر شغله جعل حائطه صدقة لله ندما
ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا
يوسف قد كان في بنيك وغلمانك من يكفيك قال اردت ان اجرب قلبي هل ينكره
وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا
انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة وقال
انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول
وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله
او ليعذبنك وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست
صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى وهذا من معاتبة النفس كما
ورد اعلم

الايضاح الثاني في بيان معاتبة النفس على التقصير

واذا حاسب الانسان نفسه فلم يسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى
فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه ملابسة المعاصي وانست بها وعسر
عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة فيها شبهة
لشهوة نفس فينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين
بالغض وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة السا
لكين لطريق الآخرة فقد روي عن بعض العباد انه كلم امرأة فلم يزل حتى وضع
يده على النار حتى يبست وروي انه كان رجل في بني

اسرائيل يتعبد

اسرائيل يتعبد في صومعته فمكث زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة
فافتتن بها وهم بها فاخرج احدى رجليه لينزل اليها فادركه الله تعالى بسابقة
فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمته الله فندم فلما
اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان
تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك فتركها معلقة في الصومعة يصيبها
الامطار والرياح والثلج حتى تقطعت وسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في الكتب
ذكره وروي عن بعض الزهاد انه تكشفت له جارية فنظر اليها فرفع يده ولطم
عينه حتى خرجت وقال انك للحاظة الى ما يضرك فهكذا كانت عادة ذوي الحزم على انفسهم
والعجب انا نعاقب العبيد والاماء والاهل والاولاد على ما يفعلون ونغضب ونضجر من سوء
الخلق ونخاف ان تجاوزنا عنهم عفوا وعطفا ثم انا نهمل انفسنا وهي اعظم الاعداء لنا واشد
طغيانا منهم بالمعاقبة احق

الايضاح الثالث في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدو لك هي نفسك التي خلقت بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء
فرارة عن الخير فانك مأمور بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى
عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت
وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة
فلا تغفل عنها ساعة واحدة من تذكيرها وعتابها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم
تشتغل اولا بوعظ نفسك فقد اوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام عظ
نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستح مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحمقها فانها تتعزز

بفطنتها وهدايتها وبشدة انفتها مما تستنكف منه اذ انت الاحمق فتقول لها ما اعظم
جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين
ما بين يديك من الجنة والنار وانت صائرة الى احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين
وتشتغلين باللهو واللعب وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين
او غدا واراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات
قريب وان البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول
او من غير مواعدة ومواطاة وانه لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء
ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون المشيب ولا في المشيب
دون الصبا بل كل نفس يمكن ان يأتيها الموت بغتة وان لم يكن الموت فجأة والمرض لا محالة
فجأة ثم ان المرض يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب من حبل الوريد فهكذا
معاتبة اهل الزهد والعبادة في عتاب انفسهم وتوبيخها فان مطلبهم من المناجاة الاسترضاء
ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن
لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا فنسأل الله مغفرة فحققه با
حوال النفس وغرورها

الباب الثامن في بيان التوكل في مقالة المنجيات

وهو مقام عظيم من مقامات الابرار وقبل الخوض فيما نريد من بيان
مقاصده واحكامه نذكر مقالة الشيوخ في حقيقة التوكل قال ذو النون التوكل
منهم خلع الارباب وقطع الاسباب فقوله خلع الارباب اشارة الى التوحيد

[illegible]

وقوله قطع الاسباب اشارة الى الاعمال وتعليقها بالله تعالى وقال بعض الزهاد التوكل
هو التعلق بالله في كل الاحوال وقال احمد التوكل هو الاضطراب بغير سكون والسكون
بغير اضطراب واراد بقوله سكون من غير اضطراب اراد به سكون القلب الى الله تعالى وقوله
اضطراب من غير سكون اشارة الى الفزع الى الله تعالى والابتهال والتضرع اليه وحكي عن ابي بكر
الدقاق انه قال التوكل ثلاث درجات التفويض ثم التسليم ثم الصبر والمقام حقيقة التوكل
انه الثقة بالوعد الالهي تعالى في كل الاحوال فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة التوكل ثم نذكر حال الدرجات
ثم نردفه بذكر اداب المتوكلين في اصنافهم فهذه تنبيهات ثلاثة **التنبيه الاول**
في بيان فضيلة التوكل وظهورها من جهات ثلاث **الجهة الاولى** الايات القرانية وهذا
كقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا وقوله تعالى عليه توكلنا وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقوله تعالى ان
الله يحب المتوكلين وقوله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وقال تعالى ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم اي ان كل ما سوى الله فهو عبد مسخر فكيف تطلب حاجتك منه وتتوكل
عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وكل ما
ذكره الله تعالى في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة من الاغيار والتوكل على الواحد
القهار **الجهة الثانية** الاخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن
مسعود رأيت الامم بالموسم فرأيت امتي قد ملأت السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم
وقيل لي ارضيت فقلت نعم فقال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة من غير حساب

قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة ابن محصن فقال ادع الله يا رسول الله ان يجعلني منهم قال انت منهم فقام آخر
فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم
من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله
خصاصة قال قوموا الى الصلاة بهذا امرني ربي حيث قال وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى واسترقى **الجهة الثالثة** الآثار
قال سعيد ابن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لاسترقين فناولت الراقي اليد التي
لم تلدغ وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض من العمل عليك وقرأ
بعض الزهاد وتوكل على الحي الذي لا يموت الآية فقال ما ينبغي للعبد ان يسكن بعد هذه
الآية ان يلجأ الى احد غير الله وقال يحيى ابن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان
الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم ابن ادهم سألت بعض الرهبان من اين تأكل فقال
ليس العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال بعضهم رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل
خير سبيلا وقال اويس القرني ان لهذه القلوب لغب خالطها الشك فما تنتفع بالموعظة

الشعبة الثانية في بيان حكم الادخار اعلم ان النفوس جبلت
مطبوعة على الحرص ومطيعة له ولم يكاد ان يكون منافيا للتوكل فمن حصل له مال بارث او

او هبة او بيع

او كسب او بسبب من الاسباب فله في ادخاره ثلاث احوال **الحالة الاولى**
ان يأخذ قدر حاجته منه في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري
مسكنا ان كان محتاجا اليه ويفرق الباقي ولا يأخذه ولا يدخره الا القدر الذي يستقله
ويحتاج اليه فهذا العامل بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا **الحالة الثانية**
المقابلة لهذه وهي المخرجة من حد التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من التوكل
في شيء ولا اصلا وقيل انه لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم ومن حرمهما
واغفلهما في الادخار **الحالة الثالثة** ان يدخر لاربعين يوما فما دونها فهذا
هل يوجب حرمانه المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين فيه تردد فذهب بعض
العلماء الى انه يخرجه عن حد التوكل وذهب آخرون الى انه لا يخرج بهذا القدر
عن حد التوكل وقال آخرون لا يخرج بالادخار على الاربعين عن حد التوكل والمختار ان
التوكل بترك الادخار لا يتحقق الا بقصر الامل فالشأن كله في تقصير الامل فمن طال امله
كثر حرصه ومن قصر امله قل حرصه وحسن عمله وربما **الشعبة الثالثة في
بيان** آداب المتوكلين في نص فانهم واحوالهم اعلم ان للمتوكلين آدابا نذكر منها
الادب الاول ان يغلق بابه ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه الجيران
بالحفظ لمتاعه وتوجيهه لمغاليق كثيرة ولقد كان مالك ابن دينار لا يغلق بابه ويشده
بحبل ويقول لولا الكلاب ما شددته **الادب الثاني** ان لا يترك في البيت
متاعا يحرص عليه من السراق فيكون سببا في سرقته ويذنبهم عليه لانه اذا كان يكون
داعيا للشيطان ان تجتمع فيه **الادب الثالث** ان كل ما يخطر الا تركه في البيت

ينبغي ان ينوي عند خروجه وجه الرضا بما يقضيه الله تعالى من تسليط السارق
عليه ويقول في نفسه ما أخذه السارق فهو منه في حل وسعة او هو في سبيل
الله فان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى **الأدب الرابع**
اذا وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ذلك ويقول
لولا ان الخيرة في ذلك لما سلبه الله تعالى ثم انه اذا لم يجعله في سبيل الله فلا يبالغ
في طلبه ولا في اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه
فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه للآخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد جعله
لله وان قبله فهو ملكه في ظاهر الشرع لأن الملك لا يزول بالنية ولكنه غير محبوب عند
المتوكلين **الأدب الخامس** وهو اعلى الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي
ظلمه بالأخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل
زهده وان بالغ في الدعاء بطل اجره في ما اصيب به ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر
وحكي عن الربيع ابن خثيم انه سرق عليه فرس وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما يصلي فلم
يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رأيته وهو يحله
قيل فما منعك ان تزجره قال كنت في ما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا
يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد كنت جعلته صدقة عليه
الأدب السادس ان يكون مغتما لأجل السارق في عصيانه وتعرضه
لعقاب الله ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا في دنياه لا
في دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن
لك غم انه قد صار

غم انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بما نقص من مالك فما نصحت
المسلمين وسرق من بعض اهل الصلاح دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي
ويحزن فقال أعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن على المسكين فانه يسأل يوم القيامة ولا يكون
له حجة وقد نجز من ضمننا هذا ما اردنا من معاني التوكل واحكامه ونشرع الآن في النية التي
بها صلاح الاعمال بعون الله تعالى **الباب السابع من علوم الكتاب**
في المنجيات في النية وهي عبارة عن الارادة والقصد والارادة تطلق على العزم
والقصد والنية والعزم ما كان سابقا على الفعل ليكون سببا في تحقيق فعله والقصد
عبارة عن ما كان مقارنا للفعل والنية لا بد فيها من المقارنة للفعل لكنها تختص
بالعبادات ولهذا يقال نية الصلاة ولا يقال قصد الصلاة والعزم لا يجوز اطلاقه
على الله تعالى لما فيه من ايهام الخطار في حقه والنية لا يجوز اطلاقها على الله تعالى من اجل
ايهام الخطار ايضا فكل حركة او سكون او فعل اختياري فانه لا بد فيه من امور ثلاثة
القدرة والعلم والارادة فالقدرة تراد لايجاد الفعل وتحصيله لانها هي المؤثرة في وجود
الفعل واما العلم فيراد لاحكام الافعال كلها فلا بد من العلم بحقيقة الحركة ليتأتى من العبد
ايجادها فانه من المحال ان يوجد بالقدرة ما لا يعلم حقيقته واما الارادة فيحتاج اليها من
اجل تخصيص وجود الافعال عند الايجاد فهذه الامور الثلاثة لا بد منها في وجود الفعل وهل
تكون الداعية مشترطة في وجود الفعل ام لا فيه تردد بين المتكلمين والمختار عندنا
انه لا بد للفعل من الداعية في حق العالم بالفعل دون الساهي وقد يكون حصول الفعل بباعث

واجب كما لو رأى سبعا فقام من موضعه فانه لا باعث له على القيام الا رؤية السبع لا غير
وقد يكون بباعثين ويكون على اوجه ثلاثة اولها ان يكون الباعثان بحيث لو انفرد كل واحد
منهما لكان كافيا كما لو سأله فقير قريب له حاجة فان كل واحد من القرابة والفقر كاف في الانفراد
في قضاء الحاجة وثانيها ان يكون كل واحد منهما قاصرا عن البعث لكن حصل التأثير بالا
جتماع ومثاله ان يسأله فقير فلا يعطيه ويسأله قريبه فلا يعطيه ويجيء من اجتمع
فيه الامران فيعطيه فيكون الباعث على الاعطاء هو المجموع لا غير وثالثها ان يكون كل واحد
منهما كافيا دون الاخر لكن احدهما يضعف غاية الضعف وصحيحا الاخر فحينئذ يكون تأثير الباعثية
على الفضل والباعثية فيه في حق الله تعالى ليس الا العلم بالمصلحة والداعي في حق الواجب صفتا
هو العلم والظن والاعتقاد وهذا القدر كاف في مقام غرضنا فلنذكر فضل النية بعد ذكر
اقسام الافعال بالاضافة اليها ثم نذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم نية المؤمن
خير من عمله وفيه ايضاحات ثلاثة **الايضاح الاول** في بيان فضيلة
النية وقد ظهر من جهات ثلاث **الجهة الاولى** من جهة الكتاب الكريم وهو قوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال الله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم وقال تعالى يريدون وجهه والارادة من جهة الله تعالى على جهة الامتنان
والفضل بالتقييد لقاصرة لانها لا تكون حقا الا بالقصد للافعال والانعام والارادة ومن ثم
ومدح الثناء عليهما من جهة الله تعالى وفي هذا دلالة على فضيلة النية وكونها من افضل الاعمال
الجهة الثانية الاخبار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى امرأة ينكحها
او الى دنيا يصيبها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب

الفرش ورب قتيل

الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لا
ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة
النية ومحلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة
في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بها وجهي
ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا فيقول
انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وآله وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو
يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء
ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل
ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن الفعل و
مساويه وفي حديث انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج الى غزوة تبوك
قال بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا
اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا كيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال
حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر
رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وفي الحديث ان رجلا قتل في سبيل الله
فكان يسمى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف
الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى
وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال ليس له من دنياه ولا من آخرته إلا ما جعلت له وفي خبر
آخر من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون إليها
ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد
ما يكون فيها وفي حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر جيشا
يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله فيهم المكره والأجير فقال يحشرون
على قدر نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إنما يقتتل المقتتلون
على النيات **الجهة الثالثة** الآثار فقد قال عمر أفضل الأعمال أداء
ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله وكتب سالم إلى عمر
ابن عبد العزيز اعلم أن عون الله للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن قصرت
قصر بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره
النية وحكي عن داود الطائي أنه قال البر همه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا
لردته نيته يوما إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وعن سفيان الثوري كانوا
يتعلمون النية كما يتعلمون العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير وقال بعض
الصالحين إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا
تائبين وأمسوا تائبين يغفر لكم ما بين ذلك وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول
من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله فإني لا أحب أن تأتي علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا
عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته
فهم بعمله فإن الهام بالخير كعامله فهذه غاية ما نورده في فضل النية والله أعلم

الإيضاح الثاني

١٥٩

الإيضاح الثاني في بيان انقسام الأعمال بالإضافة إلى النية اعلم
أن الأعمال وإن انقسمت أقساما كثيرة من قول وفعل وحركة وسكون وجلب نفع
ودفع ضر وذكر وفكر وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه فإنه يرجع إلى الثلاثة أقسام
طاعات ومعاصي ومباحات فهذه ثلاثة أقسام نذكرها بعون الله تعالى **القسم
الأول** المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل
ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم الأعمال بالنيات ويظن أن المعصية تنقلب طاعة
بالنية كالذي يغتاب إنسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره
ظلما وعدوانا أو يبني مدرسة أو خانقاه أو رباطا بمال حرام ظلامة على غيره فهذا
كله جهل والنية لا تأثير لها في ذلك فإنها لا تخرج الفعل على كونه ظلما وعدوانا بل إذا قصد
الخير على خلاف مقتضى الشرع وإن جهله عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات
إنما تعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات لذلك وقد قال
صلى الله عليه وآله وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت عن علمه وحكي عن أحمد بن حنبل
أنه هجر بعض أصحابه فتردد إليه سنين كثيرة فأعرض عنه وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله
عن تغيره وهو يتذكره حتى قال له بلغني أنك طينت حائطك من جانب الشارع فقد
أخذت سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم **القسم الثاني**
الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعيف فضلها أما الأصل فهو أن
ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فلكثرة
النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية
حسنة ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما وردت

به الآية ومسائل القصد في المساجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات
كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين وجملتها امور
ثمانية اما اولا فتعظيم بيت الله واما ثانيا فينتظر الصلاة واما ثالثا فيكف السمع
والبصر عن المعصية واما رابعا فالفراغ عن الشواغل الدنيوية في دخول المسجد واما خامسا
فالتجرد لذكر الله واما سادسا فافادة علم بمعروف ونهي عن منكر واما سابعا فان
يستفيد اخا في الله تعالى فهذه طرق تكثير النيات وقس عليه سائر الطاعات اذ ما من طاعة الا
وهي محتملة للنيات الكثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده وجهده في طلب الخير وارا
دة تضاعف الحسنات والله اعلم **القسم الثالث المباحات** وما من شيء من المباحا
ت الا ويحتمل خروجه عن كونه مباحا بالنية وما من شيء من ملابسها الا ويحتمل نية او نيات
تصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها
تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي للعبد ان يحقر الخطرات والخطوات واللحظات
فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة لم فعله وما قصد به هذا كله في مباح محض لا يشوبه كراهة
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفة الدنيا حرامها عقاب وحلالها حساب وفي حديث معاذ بن
جبل ان الرجل ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعه وعن لمس
ثوب اخيه بيده وفي حديث اخر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب
لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة ولا شك ان استعمال الطيب مباح لكن لابد فيه من
النية **سؤال** فاذا كان الطيب مباحا فيكون مثابا عليه وكيف يستحق العقاب **جوابه**
انه اذا قصد به الرياء والسمعة والتفاخر والتكاثر والتنعم بلذات الدنيا ويقصد به الت

الا غير ذلك فهو حرام لا يجوز استعماله وان قصد به وجه الله تعالى واتباع السنة
واقتفاء اثر الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فانه يستحق عليه الثواب لا محالة
لانه قصد به وجه الله تعالى وطلب حسن ثوابه **الايضاح الثالث** في بيان
مراده صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله وفيه
معاني ثلاثة **المعنى الاول** ان يكون مراده بذلك النية لما ان لا ثواب
للعمل الا بالنية فهي التي تصلحه فيكون مقبولا فصحتها فلا جرم كانت النية افضل من العمل
المعنى الثاني ان يكون المراد ان نية المؤمن خير وهي من جملة عمله ونية الفا
سق شر وهي من جملة عمله وعلى هذا لا وجه للافضلية على هذا التأويل وانما الغرض
ان نية المؤمن مع عمله خيران ونية الفاسق مع عمله شران **المعنى الثالث**
ان يكون المراد ان نية المؤمن خير وهي من جملة عمله ونية الفاسق شر وهي من جملة
عمله من غير تفضيل في هذه المعنى كما ان والمختار عندنا تفصيل نشير اليه يكون معنا
رابعا وحاصله انا نقول ان المراد ان كل طاعة فانها تنتظم من نية وعمل والعمل من
جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود
وان اثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو
من جملة طاعته والغرض للعبد اختيار في النية وفي العمل وهما عملان والنية من الجملة افضلهما
فهذا معناه كما تراه والله اعلم **الباب الثاني في الصدق** وهو من جملة المنجيا
ت اعلم ان الصدق على معان ومن الممكن حده بما يعمه واجبا وهو يستعمل في ستة
معان صدق في القول وصدق في النية وصدق في العزم وصدق في الوفاء وصدق في العمل

فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الصدق ثم نذكر مراتبه **التنبيه الاول**
في بيان فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقال تعالى وكونوا مع الصادقين وقال تعالى اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان الصدق يهدي الى البر و
البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب ليهدي
الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي
في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه وان الله تعالى وصف الانبياء في معرض المدح
والثناء فقال تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا وعن ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق و
الشكر وقال بشر الحافي من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال بعض الحكماء اجعل
الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية مطلبك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا
فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وقال بعض الزهاد وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة
اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول
وانما هم الاخوة اذا وجد من صدق فيما بينه وبينه صدقه قلبه عند الملائكة في علا عليين
وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت نفعها النجاة ولا يتم
بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله في الاعمال وطيب المطعم
وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل
يجتمعون ويقرؤنها لا كنز انفع من العلم لا مال اربح من الحلم لا حسب اوضع من الغضب ولا قرين

ازين من العقل

١٦١

ازين من العقل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى
ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلا من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء ا
لين من الرفق ولا داء اوجع من الحمق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق
ولا فقر اذل من الطمع ولا غنا اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنا
من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من
الصمت ولا غائب اقرب من الموت **التنبيه الثاني** في بيان مراتب الصدق وجملتها
ستة **المرتبة الاولى** صدق اللسان وذلك انما يكون في الاخبار والخبر اما ان يكون
متعلقا بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان
يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ
لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ويتعلق بهذه المرتبة
نايبة ثانية **الاولى** منهما جواز المعاريض عند الحاجة اليها وتفصيله المفصلة في
بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي
الضرورة الاشد من ذلك تقتضيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامره الحق به وتقتضيه
المصلحة الدينية **الثانية** ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي
يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا
الى غير الله تعالى مشغولا بامالي الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد واياك نستعين
فان لم يكن صادقا في ذلك كان كاذبا وخصمه الله تعالى فانه يكون كاذبا **المرتبة الثانية**
الصدق في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات

الا الله تعالى فان مازجه شيء من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز
ان يسمى كاذبا **المرتبة الثالثة** صدق العزيمة فان الانسان قد يقدم
العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت
عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها
ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة
جازمة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد فيكون ضدا لصدق العزيمة وكان
الصدق ها هنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال
للمريض شهوة كاذبة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى **المرتبة الرابعة**
الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم فان
المؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت
العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم فهذا يضاد الصدق فيه ولهذا
قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مصعب ما عاهدوا الله
ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
المرتبة الخامسة الصدق في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق
الظاهر وهذا خلاف ما ذكرناه من قبل في المراتب السابقة فمن لم تعرب
بلسان الحال عن الباطن امرا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك

فان الانسان

فان الانسان قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار
فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة
والعلانية وان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك
اختار بعضهم تشويه الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره
فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فهذا ما اردنا ذكره في حقايق الصدق واسرا
ره وهو الموفق للصواب

الباب التاسع في الاخلاص من المنجيات

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص منه سمي خالصا
ويسمى الفعل المخلص المصفى اخلاصا قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين وخلوص اللبن بان لا يكون فيه شوب من الفرث والدم ومن كل ما يمكن ان يمتزج
به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك فاذا تمهدت هذه القاعدة
فلنذكر اقاويل العلماء في حقيقة الاخلاص ثم نذكر فضل الاخلاص ثم نذكر حكم العمل
المشوب فهذه بيانات ثلاثة نفصلها ونذكر ما فيها بعون الله تعالى **البيان الاول**
في ذكر اقاويل العلماء في ماهية الاخلاص وانما اوردناه ليطلع الناظر على ان الاخلاص
امر عميق دقيق غامض الاعلام وفقه الله تعالى وتلطف به بالالطاف الخفية فليكن القصد
على يقين من امره وبصيرة من حاله **قال الاول** الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان كل
ما شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وحاصل هذه المقالة الاشارة
الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب والعجب من جملة الآ
فات والخالص ما صفا عن جميع الآفات وهذا القائل قد تعرض لآفة واحدة **وقال الثاني**

الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته كلتاهما لله وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض المقصود

وقال الثالث الاخلاص صدق النية مع الله وهذا قريب من الذي قبله فان كل واحد منهما

قد جعل الاعمال كلها لله وهذا كله هو الغرض من المقصود فانها متناسبات لكن نعقب فرع الاخص كله

لله **وقال الرابع** هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين جميعا وفي هذا اشارة الا ان خلوصا

النفس وابتاء مرادها لانه الاخلاص عاجلا وآجلا والعمل لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة مطلول

بل الحقيقة ان لا يريد بالعمل الا وجه الله ولهذا قيل للمخلص اي شيء اشد على النفس قال الاخلاص اذ ليس لها فيه

نصيب **وقال الخامس** الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذه اشارة

الى ان الرياء وهي مهلكة للاعمال خاصة تعريه **وقال السادس** الاخلاص هو ان لا يطلع على العمل

شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه وهذه اشارة الى الجد في الاخفاء وانه هو الاخلاص عند هذا القائل

لان كل ما اطلع عليه المخلوق خرج عن الاخلاص **القول السابع** الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا

عن العلائق وهذا الجمع للمقاصد لانه يتناول امورا هي الاشد في الاخلاص **القول الثامن** الاخلاص

هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا ايضا فيه اشارة الى اخراجه اعني العمل عن الرياء وجعله

لله لا يشوبه شائبة **القول التاسع** الاخلاص الذي يعمل لله لا يحب ان يحمد عليه وهذا ايضا فيه تعريض

لما انه من الرياء وانما خصه بذكر الحمد لانه من اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وهذا الحكم

عيسى صلوات الله عليه لما سأله الحواريون عن الاخلاص وحكي عن الجنيد انه قال الاخلاص تصفية

الاعمال عن الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك

والاخلاص ان يعافيك الله منهما وقال بعضهم **وهو القول العاشر** الاخلاص دوام المراقبة

ونسيان الحظوظ كلها وهذا فيه البيان الشافي والغرض الكامل وهو اعجب الاقوال واحسنها احاطة

بالغرض المقصود مما اثر عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه اذ جاءه مفصله الخير والمجيب بالاسرار

الدينية والمتدلي على مطارف الحقائق الالهية حيث سئل عن الاخلاص فقال ان يفعل ربي ... تنقيه

كما امرت فقب اشارة بهذه المقالة الى امر التوحيد اذ هو الاصل في الاخلاص والاستقامة

علا الامر وهو الاصل في اخلاص العمل عن كل ما يشوبه فهذه هي الغاية في معرفة حقيقة

الاخلاص **البيان الثاني** في ذكر درجات المراتب والآفات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية ضعيفة مع الجلاء

وبعضها قوية مع الخفاء وجملة ما نشير اليه ذكر درجات اربع **الدرجة الاولى**

الرياء وهي من مشارة الاخلاص فيقول الشيطان يدخل هذه الآفة على المصلي مهما كان

مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل اليه داخل بان يقول له حسن صلاتك حتى

ينظر اليك هذا الناظر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه

وتسكن اطرافه ويحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على اهل الفطانة

الدرجة الثانية ان يكون السالك تجرد عن الآفة قد فهم هذه الآفة

واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت ويستمر في صلاته كما

كان فياتيه في معرض الخير فيقول له انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله

يؤثر عنك ويتأسى بك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسأت فاحسن

صلاتك بين يديه تحسنا ليقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة فهذا اغمض من الاول

وقد يخدع به من لا يخدع بالاول **الدرجة الثالثة** وهي ادق مما قبلها

ان يجرب الانسان نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة

والمشاهدة للغير هو محض الرياء ويتحقق ان الاخلاص ان تكون صلاته في الخلوة مثل

صلاته في الملأ ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع بمشاهدة خلقه تخشعا

مرائياً على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يحسنها
في الملأ أيضاً كذلك فهذا أيضاً من الرياء الغامض لأنه حسّن صلاته في الخلوة ليحسن
صلاته في الملأ فلا يكون قد فرّق بينهما بالتفاته في الخلوة وفي الملأ إلى الخلق
بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق واحداً فكأنّ
هذا ليس تسمح نفسه بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن
يكون في صورة المرائين فيحسب الأصل الخطر في هذا أنه حسّن صلاته في الخلاء ليحسنها
في الملأ فقط وهذا من المكايد الخفية للشيطان **الدرجة الرابعة**
وهي أدق وأخفى وحاصلها أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن
يقول له اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه يفطن لذلك فيقول له الشيطان
تفكّر في عظمة الله وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحيي من أن ينظر الله إلى
قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين
الإخلاص وهو عين المكر والخداع فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت
هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة
الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممن يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ فما
دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو خارج عن صفوة
الإخلاص غير سالم من خفي الرياء وهو أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء
في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ولا يكاد يسلم من كيد الشيطان إلا من دقّ نظره وسعد
بعصمة الله تعالى وتوفيقه وحسن هدايته لأن الشيطان متشمّر في الإغواء للخلق [illegible]

لمن هو في طريق

١٦٤

لمن هو طريق الجنة في كل حركة من الحركات فتستفيد بالحذر من كيده

المبحث الثالث في ذكر فضيلة الإخلاص قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
ألا لله الدين الخالص وقال تعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم
لله وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً
نزلت في من يعمل لله ويحب أن يحمد عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى الإخلاص
سرّ من سرّي استودعته قلب من أحببت من عبادي وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه
لا تهتموا بقلة العمل واهتموا للقبول فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن
جبل أخلص العمل يجزيك منه القليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد أخلص لله أربعين
يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يسأل يوم القيامة
ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت قال يا رب كنت أقوم
آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان
عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالاً فيقول الله تعالى قد أنعمت عليك فماذا
صنعت فيقول يا رب كنت أتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله سبحانه كذبت
وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل
قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت
حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان
شجاع ألا فقد قيل قال أبو هريرة ثم خط رسول الله على فخذي وقال يا أبا هريرة
أولئك أول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوي الحديث على معاوية وروى
فبكى حتى كادت تزهق نفسه ثم قال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف

ابنه محاسبهم لا يه وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال بعض
الصالحين اخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال بعضهم طوبى لمن صحت له خطوة
واحدة لا يريد بها الا وجه الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري من
خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له فقال اخلص النية
في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب تخليص النيات على العمال اشد عليهم من الاعمال
وحكي ان رجلا كان يخرج في زي النساء ويحضر موضعا يجتمع فيه النساء من عرس او مأتم
فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا
الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة
فدعا الله تعالى مخلصا من قلبه وقال ان نجوت من هذه الفضيحة فاني لا اعود الى مثل هذا
فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال
بعضهم اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز وقال بعض الحكماء من ادمن عمل الخ
يفي كلها الاخلاص فقط وقد تم عن ضنا من الاخلاص وفضيله **الباب الثا**
ني من المنجيات في التفكر وهو الذي وقع به الاجتناء في المقالة
الثالثة من ذكر الصفات المنجية التي يكون بصددها فيما ترتيبه من خواصه واسراره
نذكر ماهية التفكر **اعلم** ان الفكر هو مصباح الخيرات ومفتاح لها فان النظر
والفكر والتأمل والتدبر والروية كلها متقاربة بلا ان النظر والفكر انما يطلقان
من جهة ان بينهما معرفة ثالثة فمن ليس يطلب هذه المعرفة لا يسمى ناظرا ولا متفكرا
وباقي الاستعمال في الفكر مترادفة والفكر ما اخر علوما خمسة او لنا العلم بالمعرفة ما
الحاصلة في القلب بانها مثل لتحصيل العلوم بالفكرة وثانيهما احراز العلم بترتيبها

اعني ان يكون

اعني ان يكون بعضها عقيب بعض ليحصل الغرض المطلوب من الانتاج للفكر وثانيهما
العلم بلزوم المطلوب عن تلك المقدمات فلانه لا ينفك عنها بحال وان يقترنها العلم
بصحة ذلك الترتيب فانه ما لم يحصل العلم بصحة الترتيب والنظام فلا ثمرة لذلك
للفكر وخاصيتها العلم بان كل ما لزم من المطلوب الصحيح فهو صحيح ثم انما حصلت فيه
العلوم الحقة في كل فكر ونظر فانه يوصل الى العلم لا محالة فاذا كانت المقدمات
كلها يقينية فالنتيجة يقينية لا محالة وان كانت المقدمات ظنية او بعضها
كانت النتيجة ظنية فالعلم والظن حاصلان بحصولهما حصلت هذه المقدمات لا محالة
فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الفكر ثم نذكر مجاريه فهذا تقرير النص
بيت الاول في بيان فضيلة الفكر اعلم ان التفكر هو مفتاح الانوار
الالهية ومبدأ البصيرة في اخراج المعارف الى يقينية وهو شبكة العلوم ومقتنص
الحقائق وقد ورد في الشرع بالثناء عليه كما قيل تفكر ساعة افضل من عبادة
سنة وقد امر الله بالتفكر في كتابه الكريم فقال في معرض المدح والثناء ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ابن عباس رضي الله عنه ان قوما
تفكروا في الله عز وجل فقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في
ذاته فانكم لن تقدروا قدره وعن الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه خرج على قوم ذات
يوم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا
تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها او بياضها
نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله سبحانه لم يعصوا الله طرفة
عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا

من ولد آدم قال لا بل رب خلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد ابن عمير
الى عائشة رضي الله عنها فقلنا اخبرينا باعجب شيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت
وقالت كل أمره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أ
تعبد لربي فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد
حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتاه بلال يؤذنه لصلاة الصبح فقال
يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال
وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل
للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن فقال يقرأهن ويعقلهن وعن ام ابي ذر بعد
موت ابي ذر سئلت عن عبادة ابيها فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن
الحسن البصري قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل ابن عياض قال التفكر
مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكر فقال الفكر
مخ العقل وعن طاوس قال الحواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله هل على الارض
مثلك قال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال
الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته فكرا فهو سهو ومن لم يكن
نظره اعتبارا فهو لهو وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة
قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار
عند عجائبه وقال بعض الحكماء لم تطابقت قلوب المتقين بفكر لها الا ما قد ذهب
في حب الصيد من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين

وقال عمر ابن عبد العزيز

وقال عمر ابن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من افضل العبادة وعن ابن عباس رضي الله عنه
ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وقال بشر لو تفكر الناس
في عظمة الله ما عصوه تعالى وقال بعض الحكماء عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر
وقال التفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث
الحكمة ويحيي القلوب

التقرير الثاني في بيان مجاري الفكر

اعلم ان مجاري الفكر كثيرة وليس يخلو حاله اما ان يكون جاريا في امر الدين او في غير
ذلك فاما ما يتعلق بغير الدين فلا حاجة بنا الى ذكره والذي يتعرض
لذكره انما هو ما يتعلق بامر الدين ثم اما ان يكون متعلقا بالنظر في جلال الله او يكون
متعلقا بافعال العبد فهذان قسمان يكونان متعلقا للتفكر فنذكر ما يتعلق بكل
واحد منهما ونبدأ بما يتعلق بالله

القسم الاول في التفكر

في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه اعلم ان عقول العقلاء وافهام الفضلاء
لا تقدر على الغوص في بحار الجلال والكبرياء وهي عاجزة عن الوصول والاطلاع بكنه
حقائق الصفات الحق وكيف تقدر القوى البشرية على مثل هذا التفتيش وانما
يطيق نور الشمس ابصار الخفافيش ولنا فيه مقامان

المقام الاول

من التفكر في ذات الله ومقام في صفاته واسمائه وهذا مما منع منه العقل والشرع
فاما الشرع فقوله لا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته واما العقول فانما
تتحير فلا تطيق مد النظر اليه بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال
الله وكبريائه كحال نظر الخفافيش بالاضافة الى نور الشمس فانها لا تطيقه البتة

بل يخفى نهاره وتبدو ليلا وهكذا حال الانسان بالاضافة الى الذاتية وكنه عظمته
سبحانه يبقى الاعرض الشمس فانه يورث التحير في العين ويكسب الغشي فيهما فهكذا
النظر في ذاته تعالى يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل فالصواب ان لا يتعرض
لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح
به العلماء وهو ان الله تعالى مختص بالصفات الالهية كالقادرية والعالمية والحيية
وسائر الصفات الذاتية وانه تعالى مقدس عن المكان والجهة ومنزه عن الحصول
في الاحياز والاماكن وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم
ولا منفصل عنه وقد اعتاص فهم هذا على كثير حتى ظنوا من سوء نظرهم واعتقادهم
انه لا يعقل الا الاتصاف مختصا بالاعضاء والجوارح لما لم يفهموا حقيقته واثبتوا ذلك في الخالق
فظنوا الحق وتجاهلوا ان الجلال والعظمة والكبرياء في نفي الاعضاء فالوهم يتقاضى
ضد ذلك وخلقت الطباع مطبقة على الانسان وبنوا هذا على ما يشاهدونه
من احوالهم وما يتصورون ان الجلال والكبرياء غير ما تعهده بظنونهم واوهامهم
ويحجبون ان البرهان العقلي قد قام على ذلك ولما كان النظر في ذاته تعالى خطرا من الوجه الذي
ذكرناه اقتضى ادب العقل والشرع ان لا يتعرض لمجاري النظر فيه ونعدل الى المقام
الثاني لما فيه من السلامة عن هذا الخطر الفظيع **المقام الثاني** وهو النظر
في افعاله وعجائب صنعه وبدائع خليقته فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه

وتعاليه

٢٦٧

وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفوذ قدرته ومشيئته فكل ما في الوجود مما
سوى الله تعالى مما لا يقدر عليه غيره فهو فعل من افعاله وخلقه وكل ذرة من الذرات اي
من جوهر وعرض وغير ذلك مما يتركب منهما ففيه عجائب وغرائب يتضح بها حكمة الله
وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك وحصره غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا
لنفد البحر قبل ان ينفد عشر العشير من ذلك ولكنا نشير الى الجمل ليكون ذلك لما عداه
كالمثال **قال مولانا الامام المؤيد بالله امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام**
فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم
من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفاصيلها فلا يمكن
ان نتفكر في تفاصيلها ثم انها منقسمة الى ما يدرك بحس البصر والى ما لا يدرك بالبصر
اما الذي لا يدرك بالبصر فنحو الملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي ومجال الفكر
فيها مما يضيق فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر فهذه نحو السموات
والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها
ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانها
رها وبحارها وحيوانها ونباتاتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها
وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه
هي الاجناس المدركة من السموات والارض وما بينهما ثم انها تنقسم الى اقسام وتشتمل على
عجائب جملة لا يحيط بمعرفتها الا الله تعالى ومن احب النظر في الحكمة وادخلها في الصنعة [illegible]

الانسان فانه مخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك فيما هو غافل عن نفسه وجاهل
بها كيف يعرف غيره فاذا امرك الله بالتدبر لكتابه الكريم فانظر الان الى
النطفة وهي قطرة من الماء قذرة ضعيفة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت
وانتنت كيف اخرجها الله تعالى من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى
بينهما الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع
وكيف استخرج دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم كيف خلق المولود
من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه به حتى نما ونبت وكبر وكيف جعل
النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم صيرها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي
متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب
من اللحم والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف
والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وشعب رؤوسها بالاصابع ثم قسم الاصابع ثم
قسمها بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والطحال والرية والرحم
والمثانة والمعا كل واحد منها على شكل مخصوص وصفات مخصوصة ثم كيف قسم كل عضو
من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة
مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار
فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والايات لانقضت فيه الاعمار ثم انظر
آلات العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها

بقوائم للبدن

١٦٨

بقوائم للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل
ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه
وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها
مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة ثم
وصل مفاصلها وربط بعضها الى بعض باوتار فهذه نبذة من عجائب خلقتك التي لا يمكن
استقصاؤها وموضعها كتب التشريح ثم انظر الى الارض كيف جعلها فراشا وقرارا ثم انظر
الى السماء كيف سواها سقفا مرفوعا وهكذا سائر العجائب المخلوقة من النبات والحيوانات والجبال
وغير ذلك من المخلوقات والمصنوعات فيها ما من انشائها بكيفية ودبرها بقدرته ولنقصر
ها هنا اعنة الكلام في هذا التمهيد فانه بحر لا ساحل له وحق لا غاية لمتنفعه ونسأل الله
ان يرزقنا حسن البصيرة للتفكر في عجائب الحكمة

القسم الثاني في التفكر

في صفات نفسه وافعاله ليكون على ثقة من امره وحقيقة من حاله واحراز النجاة لنفسه
فيعرف الطاعة ليكون آتيا بها ويتحقق المعصية ليكون مجتنبا لها ويميز الامور المهلكة
فليحترز من التلبس بها ويتحلى بالصفات المنجية ليكون محرزا لها فاذا اجملنا ما يشتمل عليه
هذا القسم الى اربعة نفصلها بمعونته تعالى

النوع الاول في المعاصي

وانما بدأنا بها لما فيها من الخطر فينبغي للانسان ان يكون مكثرا للتفكر في احوال نفسه
فينظر في حاله على الجملة ثم في جوارحه هل هو في الحال ملابس لمعصية فيتركها او لابسها
بالامس فيتداركها بالندم والتوبة او متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتبا
عد عنها فينظر في اللسان وما فيه من التعرض للكذب والغيبة والنميمة وتزكية النفس
والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض في الامور الباطلة الى غير ذلك من المكاره

ويتفكر في سمعه انه لا يصغي الا الكذب واللهو وفضول الكلام وينظر في عينيه وانه
لا يطلق على عورات المسلمين ولا يرى اشياء من المحرمات ثم ينظر في بطنه فلا يدخله الا الحلال
ولا يملأه من اكل الشبهات والحرام فان ذلك كله معصية عظيمة ومقوٍّ للشهوة التي هي
سلاح الشيطان ثم يتفكر في مطعمه وملبسه ومسكنه وما يكتسبه ويتفكر في
طرق الحرام ومداخله ويحترز منها غاية الاحتراز وان اكل الحلال هو اساس العبادات
فهكذا يكون تفكره في اعضائه فمهما حصل التفكر في عادة الامور والمعاينة المحددة
ترات منها فقد تخلصها عن ما ذكرناه **النوع الثاني** في الطاعات فينظر اولا
في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او
كيف يجبر نقصانها اذا حصل بكثرة النوافل ثم يرجع بعد ذلك الى اعضائه فيتفقدها
عضوا عضوا ويتفكر في الافعال المتعلقة بها فيقول في تفكيره العين خلقت للنظر
في ملكوت السماوات والارض وغيره وتستعملها في طاعة الله تعالى وينظر في كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وانا قادر على ان اشغل العين بطاعة الله في مطالعة
القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر عليه وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع
بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين التحقير فازجره
عن معصية الله تعالى فلم لا افعله ويقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف
واستماع كل حكمة واستماع كل قراءة وذكر وموعظة فما لي اعطله واهمله وهكذا يتفكر
في لسانه ويقول انا قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل
الصلاح بالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب كل صالح ويتفكر فيما في بيته من
المال فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فيفتش عن اعضائه وجملة بدنه

وامواله وعلمائه

وامواله وعلمائه واولاده فيطيع الله في ذلك كله ويقيس على هذا سائر الطاعات **النوع
الثالث** وهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرف منها كما ذكرناه من قبل وهي
استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة
والحقد والجزع والطمع وغير ذلك من الصفات ويتفقد قلبه فان غلب على ظنه ان قلبه منزه
عنها فانه يتفكر في كيفية امتحانه عنها ويستشهد بالعلامات عليها فان النفس ابدا تعد
بالخير نفسها وتكذب فاذا كانت مدعية للتواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب
نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون انفسهم واذا ادعى
الحلم فليتعرض لما يغضبه من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك سائر الصفات
فاذا رآها زائلة عن نفسه حمد الله تعالى على زوالها منه وان وجد نفسه حاصلة عليها اجتهد
في ازالتها ومنعها عن نفسه بكل ممكن يجد اليه سبيلا ثم اذا وجد في نفسه شره
الطعام وكثرة الاكل تفكر في ان هذه الصفة هي صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام
والوقاع كمال لكان ذلك في صفات الملائكة كالعلم والقدرة ولكنه صفة البهائم فتشبهه
وعن الملائكة المقربين ابعد وهكذا يكون تحرزه عن الصفات المهلكة للدين بما ذكرناه
وكما علمه **النوع الرابع** وهي الصفات المنجيات وهذا كالتوبة والندم على
الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعمة والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص
والصدق في الطاعات كلها ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع
لعظمته والتواضع لجلاله فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يحتاج اليه من هذه

الصفات التي هي مقربة الى الله تعالى فاذا اتقن الاثنين منهما فليعلم انهما محال لا يتم الا
بالعلوم وان العلوم لا يتم الا بالتفكر فاذا اراد ان يكتب لنفسه التوبة فليفتش
عن ذنوبه اولا وليحصرها وليقطعها في قلبه ثم لينظر الى ما ورد عليها من الوعيد الشديد
وليحقق في نفسه انه متعرض لسخط الله وغضبه ومقته فلا يتبعها حتى ينبعث له الندم
والاسف فيتدبر مجاري احكام العلماء والصالحين فاذا فرغ منهما انتقل الى النظر
في جلال الله وعظمته وهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر القلب في صفات
نفسه المبعدة والمقربة وعليه عند الله تعالى وبنهايته يتم الكلام على المقالة الثالثة في بيان
الصفات المحمودة المنجية بحمده تعالى **المقالة الرابعة في علوم الكتاب**
في بيان الامور المحتاجة في الادب في الاكل والشرب والنكاح واحكام الكسب وطلب الحلال
وغير ذلك مما يحتاج اليه المكلف ولا بد له منه بحكم الضرورة فان فيه قوام الا
جسام وبه يحصل الاستطاعة على العبادة ولهذا قال بعض السلف الاكل من الدين
وعليه نبه رب العالمين بقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وتشتمل على ابواب عشرة
نفصلها بعون الله تعالى **الباب الاول في بيان ادب الاكل** ويشتمل على
تنبيهات اربعة **التنبيه الاول** في بيان ما لا بد للمنفرد منه من الاداب
مما يكون قبل الاكل وما يكون بعده وما يكون مع الاكل وهي احوال ثلاثة **الحالة
الاولى** في الاداب قبل الاكل وجملتها اداب سبعة اولها ان يكون الطعام حلالا
طيبا في نفسه وثانيها غسل اليد وثالثها السفرة الموضوعة على الارض ورابعها

الجلوس

الجلوس اما على الطعام فيجثو على ركبتيه واما ان ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى وخامسها
ان ينوي بالاكل التقوي على طاعة الله والتقرب على طاعته ولا يقصد التنعم بالاكل وسادسها
الرضا بكل موجود من الرزق وغيره كذا قيل وسابعها كثرة الايدي على الطعام
الحالة الثانية في الاداب حالة الاكل فيبدأ بالتسمية ويأكل باليمنى و
يبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجيد مضغها ولا يذم ماكولا قط ويأكل
مما يليه الا الفاكهة فانه يجيل يده ولا يأكل من ذروة القصعة ولا يقطع اللحم
بالسكين ولا يمسح يده بالخبز ويأكل ما تساقط ولا ينفخ في الطعام الحار ولا يجمع
بين التمر ونواه في الطبق ولا يكثر الشرب في حال الاكل الا اذا غص بلقمة ويأخذ
الكوز بيمينه ويسمي عند الشرب ويمص الماء ولا يشربه قائما ولا يتنفس في الكوز
ويحمد بعد الفراغ من الشرب **الحالة الثالثة** ما يستحب بعد الطعام فيمسك
قبل الشبع ويلعق اصابعه ويمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام
بعد الفراغ من الاكل ويخلل اسنانه ويلفظ ما خرج من اسنانه ويرميه ويتمضمض
بعد الخلال ويقرأ بعد الطعام سورة الاخلاص وسورة قريش ويكثر الحمد والشكر
بعد الفراغ ويغسل يده واصابعه ويقصد بها البركة وينقي فمه والحنك واللسان
بالماء واليد والنظافة بالاشنان **التنبيه الثاني** في بيان ما يستحب من الاداب
بسبب الاشتراك والاجتماع في الاكل وهي سبعة اولها يستحب ان لا يبتدئ بالاكل

وقصده من هذا حق بالتقديم قبله من سن او فضل وثانيها ان يذكر بين رفيقه في الأكل
ولا يستأثر بأكثر منه ومن بعضها ان لا يحوج رفيقه الا ان يقول له كل وخامسها
الفضل في الطعام لهم جميعا وسادسها ان لا ينظر الى اصحابه ولا الى اكلهم ويشتغل
بنفسه ولا يمسك يده قبل فراغ اصحابه وسابعها ان لا يفعل ما يستقذره
غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم من رأسه عند اكل اللقمة واذا اخرج شيئا
من فيه صرف وجهه من الطعام ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا يغمس ما فضل
من اللقمة **النوع الثالث** في آداب الزائرين في تقديم الطعام وجملتها
ستة **اولها** ان لا يدخل الا باذن ولا يقصد اوقات الطعام وثانيها ان لا يتكلف
لهم ويقدم ما حضر ويكره ان يستقرض اذا لم يملك شيئا وثالثها من الزائر لا يقترح
شيئا ولا يتحكم في بيت صاحبه لانه ربما شق عليه **ومن بعضها** سمحه ان يتأتى لمن
اخاه بما فيه الكرامة له **وخامسها** ان لا يستأذن في تقديم الطعام بل يقدمه ان كان
عنده شيء من غير مؤاذنة **النوع الرابع** في بيان آداب الضيافة وجملتها ستة
اولها الدعوة وسنته ان تقصد بالدعوة الابرار ولا يقصد الفساق **وثانيها** الاجابة فلا
تفرق بين الفقير والغني ولا يمتنع من الاجابة الا بعذر شرعي ويحضر ان كان صائما ويفطر
وجه ... في الاجابة **وثالثها** الحضور فاذا دخل المجلس لم يتصدر ولا يأخذ امكنة
غيره ... ما يتعالى الا والى المفضضة والمذهبة واستعمال الديباج والحرير وتصوير صور الحيوانات

ومن بعضها

١٧١

ومن بعضها احضار الطعام فيستحب تعجيله ولا يستطيل الاكل من المدعوين ويستحب ترتيب
الاطعمة فيقدم من الفاكهة اولا ثم اللحم ثم الثريد ثم الحلوا بعد ذلك وخامسها ان لا يبادر
برفع المائدة قبل الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي ويقدم من الطعام قدر الكفاية فان ما دون
ذلك لوم وتقصير وسادسها الانصراف يخرج مع الضيف الى باب الدار ويتصرف الضيف
وهو طيب النفس ولا يخرج الضيف الا برضا صاحب الدار **تكملة للباب** الاكل دائرته
الحمأة باصبع واحدة من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاثة من السنة وباربع وخمس من الشره
واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان
واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وشرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة
واربع تقوي البصر استقبال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى ~~...~~ الخضرة
والنظافة في الملابس واربعة تضعف البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب
والنظر الى فرج المرأة والاستناد الى القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير
واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء على
القفا نوم الانبياء وعلى اليمين نوم العلماء وعلى اليسار نوم الملوك وعلى الوجه نوم
الشياطين واربع تزيد في العقل ترك فضول الكلام والسواك ومجالسة ومجالسة العلماء
والعمل بالعلم واربع من العبادة والوضوء في كل حال وكثرة السجود ولزوم المساجد
وكثرة قراءة القرآن **الباب الثاني في ذكر آداب النكاح** وهو مبني
على النبي وخصوصه من الرئاسة والخطابة خصص سنة سيد المرسلين وبه تقع المباهاة

وهو

لأمته علاجه أمر النبيين وتنحصر أسراره في بيان آفات ثمانية نشرحها ونفصلها
بقوله تعالى البيان الأول في فضيلته والترغيب فيه وقد اختلف العلماء
في تحكيمه فقال قايلون الأفضل فعله وقال قايلون الأفضل تركه والمختار ما
عليه الأكثر من العلماء في فضل فعله قال الله تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبا
دكم وقال تعالى فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن وقال تعالى في مدح الرسل وجعلنا لهم
أزواجا وذرية ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه الكريم من الأنبياء عليهم السلام إلا
المتأهلين بالنكاح وقد قيل ان يحيى تزوج ولم يجامع وأما عيسى فإنه سينكح إذا
نزل الى الأرض ويولد له وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وآله وسلم النكاح سنتي
فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي وقال تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم يوم
القيمة وقال من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك النكاح مخافة
العيلة فليس منا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كان ذا طول فليتزوج ومن استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج وقال إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه
فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير وقال صلى الله عليه وآله وسلم من نكح لله وأ
نكح لله استحق ولاية الله وأما الآثار فقد قال عمر لا يمنع من النكاح الا عجز أو فجور
وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق
من عمري يكثر النكاح ويقول ما أتزوج الا لأجل الولد وقال سفيان كثرة النساء
ليست من الدنيا لأن عليا عليه السلام كان من أزهد الصحابة وكان له أربع نسوة وسبع
عشرة سرية وقيل لابراهيم ابن أدهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة

منك بسبب

منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه فقال ما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي حاجة في
امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي وقيل فضل المتأهل على المتعزب كفضل المجاهد
على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من أعزب البيان الثاني في
بيان فوائد النكاح وآفاته وفيه خمس فوائد الأولى الولد وهو الأصل وله
وضع النكاح والمقصود بقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الانس الثانية التحصن
عن الشيطان وكسر توقان النفس ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج الثا
لثة ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له
على العبادة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل في التكفل بمعالجة المعيشة من
الطبخ والطحن والكنس وغسل الأواني فان الانسان لو لم يكن له شهوة في الوقاع فانه يتعذر
عليه معيشته وحده الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والقيام بحقوق
الزوجات والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن
الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن وأما الآفات فثلاث الأولى العجز
عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لا سيما في هذه الأزمان مع اضطراب المعايش
وضعف بنيتها والنكاح سبب للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك
أهله الثانية القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى
منهن الثالثة أن يكون الأهل والولد شاغلين له عن ذكر الله تعالى وجاذبين له الى طلب الدنيا
وتدبير معيشتهم للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التكاثر

والتفاخر وكل ما يشغل عن ذكر الله تعالى وليس فيه شؤم على صاحبه ولا شك أنه يتولد
من النكاح أنواع من الشواغل عن هذا الجنس تستغرق القلب والفؤاد وتنقضي الليل والنهار
ولا يتفرغ القلب للتفكر في الآخرة وأعمالها فتنبه لجامع الآفات والعواقب **البيان الثالث**
في ذكر ما يراعى حالة العقد ويراعى في صحة العقد أمور أربعة **الأول** منها إذن
الولي فإن لم يكن فالإمام أو خليفته **الثاني** رضا المرأة إذا كانت بالغة بكرا كانت
أو ثيبا إلا إذا كانت صغيرة وزوجها غير الأب والجد **الثالث** حضور شاهدين ظاهري
العدالة **الرابع** الإيجاب والقبول في المجلس وأما آدابه فهي ستة أولها الخطبة إلى الولي
بعد انقضاء العدة وإن لا يسبقه خاطب آخر **وثانيها** الخطبة قبل الإيجاب والقبول
فيقول الولي الحمد لله والصلاة على محمد وآله زوجتك ويقول الزوج الحمد لله والصلاة
على محمد وآله قبلت نكاحها منك **وثالثها** استحباب النظر إليها قبل النكاح **ورابعها**
احضار جمع من أهل الصلاح **وخامسها** أن ينوي بنكاحه تحصين الفرج وغض
البصر وطلب الولد **وسادسها** تحت العقد في المساجد **وأما الخصال المطيبة**
للعيش فهي ثمان **الأولى** الدين والصلاح فإن الدين من أهم المقاصد وأجلها ولهذا قال
صلى الله عليه وآله وسلم عليك بذات الدين تربت يداك **الثانية** حسن الوجه فذلك أيضا
مطلوب لأن به يحصل التحصين **الثالثة** حسن الخلق وذلك أصل فيهم فإن سوء الخلق
وبذاءة اللسان يكدر من العيش ويقطع الفرح بها **الرابعة** أن يكون خفيفة
المهر وقد نهي عن المغالاة في المهور **الخامسة** أن تكون ولودا ويكره نكاح العقيم

السادسة

السادسة أن تكون بكرا فإن في البكارة فوائد كثيرة **السابعة** أن تكون
حسيبة من أهل بيت الدين لقوله صلى الله عليه وآله وسلم إياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء
في المنبت السوء **الثامنة** أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل
الشهوة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة **البيان الرابع**
في ذكر الموانع من النكاح وجملتها احد عشر **أولها** أن تكون منكوحة
للغير وثانيها أن تكون معتدة عن الغير وثالثها أن تكون كافرة إما مرتدة
أو مجوسية أو وثنية أو زنديقة لا تنتسب إلى كتاب ولا إلى نبي فإن كانت كتابية يهو
دية أو نصرانية ففي اختيار الإمام جواز نكاح اليهودية والنصرانية ففيه تردد بين العلماء
والقديم جواز نكاحهما لفاقد الأمة **ورابعها** أن تكون مملوكة والزوج حر
قادر على طول الحرة وغير خائف عنتا وخامسها أن تكون مملوكة للناكح فإنه لا
يجوز وطؤها بالنكاح ويجوز بالملك وسادسها أن تكون قريبة للزوج بأن تكون
من أصوله أو فروعه أو فروع أول أصوله أو من أول فرع من كل أصل بعده أصل ويعني
بالأصول الأمهات والجدات وبالفروع البنات وبنات البنين وبفروع أول الأصول
الأخوات وبنات الأخوة وبأول فرع من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون
أولادهن وسابعها أن تكون محرمة بالرضاع فإنه يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب من الأصول والفروع كما سبق وثامنها حرمة المصاهرة والتسبب لا تحرم
إلا بالدخول بالأم وعلى تحريم الأم بالعقد على البنت أو بالدخول بها فيه تردد
والقديم أنها لا تحرم إلا بالدخول بالبنت وتاسعها أن تكون المنكوحة خامسة

وعاشرها، وان تكون تحت الناكح اختها وعمتها وخالتها وما في حكمهن، وان تكون
محرمة بحجة او عمرة، والزوج كذلك فهذه كلها محرمات للناكح. **البيان الخامس**
في ذكر آداب **المعاشرة** في النكاح وفيه نظران **النظر الاول** في بيان ما على
الزوج وعليه من آداب وحقائق عشر. الاول منها الوليمة وهي مستحبة، قال الرسول صلى
الله عليه وسلم لعبد الرحمن: اولم ولو بشاة. **الثانية** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى
منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن، قال الله تعالى: وعاشروهن بالمعروف. **والثالثة** ان يزيد على
الاحتمال بالمداعبة والمزاح فانه يطيب قلوب النساء. **الرابعة** ان لا ينبسط
بالمداعبة وحسن الخلق بالموافقة لها باتباع هواها الى حد يفسد خلقها عليه ويسقط
هيبته بالكلية بل يراعي في ذلك حد الاعتدال، فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا
ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل ان رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر
وامتعض. **الخامسة** الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي
يخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت من تمام تتبع من طبع المرأة ما يبقى عندها
ويغير بها ما يبقى من خلقها. **السادسة** الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن
في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد في الامر كله. **السابعة** ان يتعلم الزوج
من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلاة والعبادة
وما يقضى منها في حال الحيض وما لا يقضى. **الثامنة** اذا كان له زوجات فينبغي ان يعدل
بينهن في القسمة ولا يميل الى تفضيلهن فان خرج الى السفر واراد استصحاب واحدة اقرع

بينهن

بينهن تطييبا للنفوس. **التاسعة** أدب الجماع فيستحب التسمية عند الابتداء ويقرأ
قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل وينحرف عن القبلة وليستتر، ولا يأتيها في الحيض وان انقضى
الحيض فلا يأتيها حتى تغتسل، الى غير ذلك من الآداب المستقصاة في علم الفقه. **العاشرة**
آداب الولادة، ويكره فرحه بالذكر وحزنه بالانثى ويؤذن في اذن الولد ويسميه
ويعق عنه شاتان عن الغلام وشاة عن الجارية. **النظر الثاني** في بيان ما على الزوجة
من حقوق الزوج، والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق وهي رقيقة، فعليها طاعة
الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه، وعليها القعود في بيتها الا
ثم لمغزلها ولا يكثر صعودها واطلاعها، **قليلة** الكلام لجيرانها، ولا تتفاخر على الزوج
بجمالها ومالها، ولا تزدري زوجها لقبحه او فقره، وعليها ملازمة الصلاح في الغيبة
لزوجها والرجوع الى اللعب والانبساط واسباب اللذات في حضور زوجها، ولا
ينبغي ان تؤذي زوجها بحال. **الباب الثالث في بيان آداب الكسب وطلب**
المعاش. اعلم ان الله تعالى قد جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار
التمحل والاضطراب والتشمير والاكتساب فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة
اليها، والاقتصاد محمود والاسراف مذموم، ولن ينال رتبة الاقتصاد ما لم يلازم في
طلب المعيشة منهج السداد. واعلم ان الكلام في انواع الكسب ووجوه المكاسب
والكلام في عقد البيع وانواع التجارة وعقود المعاوضة كبيع المرابحة والصرف والسلم
وغير ذلك من انواع المعاوضات طويل، ولكنا نقتصر ههنا على ما يتعلق بامر الآخرة

من ذلك فنذكر فضل الكسب وما ينبغي للمكتسب فعله بما يتعلق بأمر الدين فهذا
تقرير **النظر الأول** في بيان فضل الكسب قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا
ذكره في معرض الامتنان على الخلق وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش وقال تعالى ليس
عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقال وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل
الله وقال فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله **وأما الأخبار** فقوله صلى الله عليه
وآله وسلم إن من الذنوب ما لا يكفره إلا الهم بنفقة العيال وفي حديث آخر إلا طلب المعيشة
وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه
كالقمر ليلة البدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني
بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي حديث آخر إن الله يحب
العبد المحترف وقال صلى الله عليه وآله وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وقال
صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالتجارة فإنها تسعة أعشار الرزق **وروي** أن عيسى عليه
السلام قال لرجل ما تصنع قال أتعبد قال من يعولك قال أخي قال أخوك أعبد منك **وأما**
الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر
أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته
وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به وقال عمر لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق
ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس
في أرضه فقال له عمر أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم
وقال ابن مسعود

وقال ابن مسعود إني لأكره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته وسئل
إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أو المتفرغ للعبادة قال التاجر أحب
إلي لأنه في جهاد وقال عمر ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق
فيه لأهلي أبيع وأشتري **النظر الثاني** في بيان ما يجب على التاجر في أمر
دينه اعلم أنه لا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن صلاح معاده فيكون
عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما يناله
من الدنيا بل ينبغي أن يشفق على دينه وعلى نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه
وتجارته فيه وذلك أمور سبعة **الأول** حسن النية والعقيدة في ابتداء
التجارة فينوي بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس **الثاني** أن يقصد القيام
في صنعته وتجارته فرضا من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت لبطلت
المعايش وهلك الخلق فانتظام الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو أقبلوا
كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي **الثالث** أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق
الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة **الرابع** أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر
الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل وذكر الله تعالى في السوق بين الغافلين
الخامس أن لا يكون حريصا على السوق غالبا عليه ولا يشتد حرصه على ذلك و
ذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وأن يركب البحر في التجارة فإنه يقال
من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق **السادس** أن لا يقتصر على

اجتناب الحرام بل يتقي مواضع الشبهة ومظان الريبة ولا ينظر الا الفتوى بل يستفتي نفسه فما وجد فيه حزازة تركه وما طابت به نفسه فعله والتاجر ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل احد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعله وقوله فقد قيل ان التاجر يوقف يوم القيمة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب مع كل واحد من عامله فهذا ما اردنا ذكره من المعاملة والعدل والاحسان والشفقة على اهل الدين من التجار والله اعلم

الباب السابع في الحلال والحرام وبيان مواقعها

اعلم ان طلب الحلال فريضة على كل مسلم وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على العقول فهما وعملا واثقلها على الجوارح عملا وفعلا واجدرها بيانا واقلها جريانا ومن اجل ذلك اندرست بالكلية علما وعملا وصار غموض علمها سببا لاندراس عملها اذ ظن بعض الجهال ان الحلال صار مفقودا وان السبيل دون الوصول اليه لا يزال مسدودا وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الاودية الموات وما عدا ذلك فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملة الفاسدة وهيهات هيهات بل الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات ولا تزال هذه المراتب الثلاث متلازمة كيف ما تقلبت الاحوال فلا جرم عظمت العناية في تفصيل هذا الباب وذكر ما يليق بالكتب الوعظية وما عدا ذلك فيطلب من الكتب الفقهية والذي نذكره ههنا ايضاحات اربعة **الايضاح الاول** في بيان فضيلة الحلال ومذمة الحرام قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل

الطيبات

الطيبات قبل العمل وهو المراد بالحلال وقال تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين وقال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم والايات الواردة في الحلال كثيرة لا تحصى **واما الاخبار** فقد روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اكل حلالا اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية اخرى ازهده الله في الدنيا وروي ان سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يسأل الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحريص في الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الدنيا بالاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب له وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به **واما الاثار** فروي ان عمر شرب لبنا من ابل الصدقة فادخل اصبعه وتقيأ وقالت عائشة انكم تغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر

لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل منكم الا بورع
حاجز وقال الفضيل بن عياض من عرف ما يدخل بطنه كتبه الله صديقا فانظر عند من
تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم لم لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت
به وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب
لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله
تعالى ومفتاحها الدعاء واسنانها لقمة الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه
حرام وقال بعض الحكماء من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال بعض الزهاد من اكل الحرام عصت جوارحه شاء
ام ابى ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان
اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام
ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر وعن امير المومنين كرم الله وجهه
انه لم ياكل طعاما بعد قتل عثمان ونهب الدار الا مختوما عليه حذرا من الشبهة وعن بعض
الزهاد من لم يبال بما اكله لم يبال الله من اي باب من النار ادخله **الايضاح الثاني**
في بيان صنف الحرام والحلال واصنافهما اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يليق بكتب الفقه
والذي نذكره ههنا هو ما يخص طالب الاخرة وهو ما ينبغي من التلبس به والتحفظ وطلبه
ونبين الآن ان نشير الى اجمالية وتقسيم خاص وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل
في وجه اكتسابه فهذان قسمان **القسم الاول** ما يحرم لصفة في عينه كالخمر والخنزير
والكلب وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض على ثلاثة اقسام لانها المعادن
كالملح والطين وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث المضرة بالآكل وفي بعضها ما

يجري في حكم السم والخبز لو كان يضر لحرم اكله والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من جهة المضرة
فما لا يضر يجوز اكله **وثانيها النباتات** لا يحرم منها الا ما كان مزيلا للعقل كالبنج والخمر
وسائر المسكرات او مزيلا للحياة كالسموم او مزيلا للصحة كالادوية في غير وقتها
وثالثها الحيوانات فاما حيوان البحر فكله مما يؤكل واما حيوان البر فما كان منه لا يذكى
فذكاته صيده كالجراد والسمك وما كان منها يذكى فانما يحل اذا ذكي ذكاة شرعية وروعي
فيه شروط الذابح والآلة وما لم يذبح ذبحا شرعيا فهو حرام كما هو مذكور في كتاب الصيد ولا
يحل لنا الا ميتتان السمك والجراد **القسم الثاني** ما يحرم لخلل يعرض فيه وذلك يكون
على انواع النوع الاول الحرمة تعرض من جهات ثلاث **الاول** ان يكون اخذه على جهة
الاكراه من صاحبه كالاموال المأخوذة على جهة الظلم المصادرة فما هذا حاله حرام كما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة من نفسه **الثانية** المال المأخوذ
على جهة الرضا لكنه على جهة فضول ومنفعة منكرة كاجرة البغي وحلوان الكاهن
والاجرة على الغناء **الثالثة** ان تكون هذه المنفعة واجبة كالاجرة على الجهاد
في سبيل الله تعالى فما هذا حاله من هذه الاموال فهو حرام لا يجوز تناوله **النوع الثاني**
تحليله وذلك يكون من جهات الاول اخذ ما لا مالك له كالمعادن واحياء الموات والاحتطاب
والاحتشاش **الثانية** المأخوذ قهرا ممن لا حرمة له كالغنيمة والفيء فانهما
حلال للمسلمين بشرط اخراجهما على قاعدة الشرع من حيث القسمة واخراج خمسها **الثا
لثة** ما يؤخذ قهرا مما يملك باستحقاق من غير رضاه اما باذن الامام او باذن
الحاكم كنفقات الاقارب المحكوم بها على من انكرها بالبينة **الرابعة** ما يؤخذ على جهة

التراضي بمعاوضة وذلك مثل البيع والشراء والاجارة والحوالة والقرض والشركة وغيرها الحالة الخامسة ما يؤخذ بالتراضي من غير عوض وعن طيب نفس اذا روعي شرط المعقود عليه وهذا مثل الهبة والصدقة والوصية الحالة السادسة ما يحصل من غير اختيار كالميراث اذا كان الموروث قد أخذه من حله فهذه جميع مداخل الاموال في التحريم والتحليل فقد ذكرناها الاجمالية ليكون السالك لطريق الآخرة على حقيقة من أمره وبصيرة في حاله

الإيضاح الثالث في بيان درجات الورع في الحلال والحرام اعلم ان الحلال كله طيب وبعضه أطيب من بعض والحرام كله خبيث وبعضه أخبث من بعض فكذلك الورع يكون على درجات اربع نفصلها بعون الله تعالى الدرجة الاولى ورع العدول وهذا هو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة باتيانه ويستحق اسم العصيان ويتعرض للتعذيب بالنار وهي هي من مداخل الاموال الكلية الدرجة الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عن ما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في تناوله بناء على الظاهر الدرجة الثالثة ورع المتقين وهو الذي لا تحرمه فتوى ولا شبهة في حله لكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس الدرجة الرابعة ما لا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به البأس ولكنه يتناول لغير الله ولغير التقوى وهذا هو ورع الصديقين فهذه درجات الورع تعرف لما اشرنا اليه ومن اعلمه

الإيضاح الرابع في بيان ما يحل من مال الظلمة امراء الظلم والجور والسلاطين اعلم ان لصاحب الدين معهم ثلاثة احوال الحالة الاولى حالة النجاة والسلامة ان تعتزلهم فلا تراهم ولا يرونك وهو الواجب اذ لا سلامة

الا فيه فعليك

١٧٨

الا فيه فعليك ان تعتقد بغضهم على ظلمهم وعدوانهم وابغاضهم واستحقاقهم للبراءة واللعن بما هم فيه من الظلم للخلق والجور ولا تشق على مفارقتهم ولا تستخبر عن احوالهم الحالة الثانية ان يدخل عليك الظالم زائرا لك فهذه دون الاولى لكن فيها تعرض للمعصية ايضا فجواب السلام لا بد منه اذ سلم عليك واما القيام في وجهه لاكرامهم فلا يحرم لانه في مقابلة اكرامه بالدخول عليك ولانه اكرام للعلم والدين فلا بأس به ولكن يتوجه عليك امور ثلاثة التعريف له بجهله لاقدامه على الظلم والجور والتعريف له في ما هو مشتغل به عليه من ظلم الخلق والارشاد له الى ما هو غافل عنه من مصالحه ثم تقوى في خلقه فهذه الامور كلها لازمة لمن دخل عليه الظالم لا محالة الحالة الثالثة وهي اخطرها في الدين وهي مذمومة جدا في الشرع وقد وردت فيها تشديدات وتغليظات تواردت بها الاخبار والآثار وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ابغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء وفي حديث آخر خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء وفي حديث آخر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم او فاعتزلوهم وعلى الجملة فالداخل على السلطان متعرض لمعصية الله اما بفعله بالخضوع عليهم واما بقوله فبدعوه للظالم وبثنائه عليه واما بسكوته عن المنكر عليهم واما باعتقاده فيكاد لا يسلم اذ ان ما هو عليه من الظلمة من اعتقاد رديء وفي اعتزالهم سلامة عن هذه الاخطار كلها فلا جرم كان واجبا

الباب الخامس في بيان آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق

اعلم ان الاخوة في الله تعالى والحب في الله من افضل القربات والطف ما يستفاد به على الطاعات
في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق
بمراعاتها تصفو المودة وتطهر المحبة وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العالية
عند الله تعالى فلنذكر فضيلة الصحبة والاخوة ثم نردفه بالكلام في بيان حقوقها وفيها
تقريرات ثلاثة **التقرير الاول في بيان فضيلة الاخوة والصحبة**
اعلم ان الالفة والصحبة ثمرة حسن الخلق والمنافرة والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن
الخلق يوجب التحاب والتآلف وسوء الخلق يوجب التباغض والتدابر وقد مضى
فيه ما فيه كفاية وقد قال تعالى مظهرا نعمته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي
بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله
لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اقربكم مني مجلسا يوم القيامة الذين يألفون ويؤ
لفون وقال في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان
نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير
في من لا يألف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين
تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا
وقال في الترغيب في الاخوة في الله من آخا اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها
بشيء من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ ابن جبل اني احبك في الله فقال ابشر
ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس

كراسي

١٧٩

كراسي حول العرش ومنابر من نور يوم القيامة ووجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس
ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل
من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله وروى ابو هريرة عن الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم قال ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور
ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم
المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما تحاب اثنان
في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين في الله اذا كان احدهما
اعلى مقاما من الآخر رفع الله الآخر مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالابوين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي ووجبت
محبتي للذين يتحابون من اجلي ووجبت محبتي للذين يتباذلون من اجلي ووجبت محبتي
للذين يتناصرون من اجلي وقال ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم
اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة
حمراء في رأس ذلك العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل
الجنة كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله فيضيء
حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب في جباههم
المتحابون في الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت
بين الثلج والنار الف بين عبادك الصالحين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما زار رجل رجلا
في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت

لك الجنة وفي اخبار داود عليه السلام قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم
في ما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي خبر
آخر خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة
قال امير المؤمنين كرم الله وجهه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع
الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت
النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض
لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا وقال بعض الزهاد عند موته اللهم انك تعلم اني وان كنت
اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل لي ذلك قربة اليك وقال الحسن رضي الله عنه يا ابن آدم
لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق بالابرار الا باعمالهم فان اليهود
والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وقال الفضيل بن عياض في بعض كلامه ها تريد
ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها
بأي زلة لاخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قربته في الله وروي
ان الله أوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت وتصدقت
فقال ان الصلاة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة ظل والزكاة نور واي عمل
عملت لي قال موسى الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا او عاديت لي
عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله **التذنيب الثاني**
في بيان حقوق الصحبة والاخوة اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد
النكاح الرابط بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما

بحق النكاح

بحق النكاح كما سبق تقريره فهكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق هو من شان الا
خوة وكمالها وجملتها ثمانية **الحق الاول** في المال ومنها مواساة الاخوة [illegible]
لله في المال من [illegible] اربع ان تؤثره على نفسك وهذه النهاية وان تنزله منزلة نفسك
وهذه بعدها وان تنزله منزلة ولدك في مالك وان تنزله منزلة عبدك وهذه المراتب
احكام شرحها يطول **الحق الثاني** في الاعانة في النفس في قضاء الحاجات
والقيام بها قبل السؤال قال جعفر اني لاسارع الى قضاء حوائج اعدائي مخافة
ان اردهم فيستغنوا عني فهذا في الاعداء فكيف حال الاصدقاء وقضى [illegible]
حاجة لبعض اخوانه كبيرة فاذهب اليه فقال ما هذه فقال لما اسديته اليّ فقال
خذ مالك عافاك الله اذا سألت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ
للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى واقل هذه الاية والمنايا بعفتهم [illegible]
الحق الثالث باللسان بالنطق والنطف في حقه يكون بالدعاء له
باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره وتثني عليه بما تعرف من احواله وان تشكره على صنيعه
في حقك وان تذب عنه في حال غيبته عنك قال عمر ثلاث يصفين لك ود اخيك ان
تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومنها
المحبة ان تخبره بمحبتك له وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره
وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فانه اذا عرف انك تحبه احبك
بالطبع لا محالة واذا عرفت انه يحبك زاد حبك له **الحق الرابع**
السكوت عنه وهو ان تسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته فتسكت عن كل امر
يكرهه جملة وتفصيلا وتسكت عن الرد عليه فيما يتكلم فلا تماريه ولا تنازعه
ولا تجسس عن اخباره وعيوبه وان تسكت عن اسراره التي يلقيها اليك واذا رايته

في طريق أو في حاجة له تقاعد بذكر عرضه أو صدره ومراده فإن ذلك مما يثقل عليه وأن تسكت عن ذكر أهله وأقاربه بما يسوءه وأن تسكت عن مدح غيره فيه قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يواجه أحدا بما يكرهه وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يكره لكم البيان كل البيان يعني التصريح في المساوي كلها وقال بعض الزهاد المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات ومن أعلم

الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات والصديق إذا هفا فليس يخلو حاله إما أن تكون هفوته في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصيره في الأخوة فإذا كانت الهفوة في الدين فعليك التلطف له في نصحه بما يقيم أوده ويجمع شمله ويعيده إلى الصلاح والاستقامة فإن أصر على الخطيئة وكره أن يرعوي فهل تقطع أو تتغافل فيه تردد بين العلماء والفرق في المصادقة في رتبة وإما أن تكون زلته في حقك بما يوجب الوحشة فالأولى العفو والاحتمال في كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة

الحق السادس الدعاء للأخ في حياته وبعد وفاته بكل ما يحبه لنفسه وأهله ومن يتعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا الرجل لأخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي حديث آخر دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد

الحق السابع الوفاء والإخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم في السبعة الذين يظلهم الله بظله رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفاء

بعد الوفاة

بعد الوفاة خير من كثير في الحياة وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين

الحق الثامن التخفيف وترك التكلف ومعنى ذلك أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح على نفسه من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا من مال ولا يكلفه التواضع له ولا التفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وقال بعضهم من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم فهذا ما أردنا ذكره من حقوق الصحبة على سبيل الاختصار والإيجاز

التقرير الثالث في بيان الصفات المعتبرة فيمن تختار صحبته اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل فلا بد أن يتميز بخصال يرغب في صحبته من أجلها وجملة ما نذكره في ذلك خمس خصال

الخصلة الأولى العقل فإنه رأس المال وهو الأصل فلا خير في صحبة الأحمق والقطيعة والوحشة ترجع والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولهذا قيل مقاطعة الأحمق قربان إلى الله وقال سفيان النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونريد بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم

الخصلة الثانية حسن الخلق فلا بد

من اعتمادها وادرت غافل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكنه اذا غلبه غضب او شهوة
او بخل او جبن اتباع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر ما هو مجبول عليه
فلا خير في صحبته

الفصل الثالث

الذي فلا خير في صحبة الفاسق المصر
على فسقه لان كل من يخاف الله فانه لا يصر على كبيرة وكل من لا يخاف الله فانه لا تؤمن
غايلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الي وقال فاعرض عمن
تولى عن ذكرنا وفي مفهومه ذلك زجر عن صحبة الفاسق

الفصل الرابع

البخل
فلا ينبغي صحبة البخيل فان صحبته تزري ولم يكن نافعا لنفسه فيكون نافعا لغيره
قال بعض الحكماء النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخيل كرب على قلوب المومنين
وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان الله خلق البخل من مقته وجعل اسه في اصل شجرة
الزقوم وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم اي داء ادوأ من البخل وقال الرسول صلى الله عليه
واله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع

الفصل الخامس

الحريص
على الدنيا فاما الحريص عليها فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على
التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة
الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فمن اجل ذلك تكره صحبة
طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الاخرة قال امير المومنين كرم الله وجهه

اخبث الطاعات

اخبث الطاعات مجالسة من يستحيى منه وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل المطر فاما اهل
البدع والضلالات من اصحاب الاهواء ففي صحبتهم خطر عظيم وهو خوف السراية
للبدعة اليك وتعديها شومها اليك والمبتدع يستحق المقاطعة والمهاجرة
وكيف تقتضي صحبته وقد قال عمر لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على
سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله في كل امورهم

الباب الثامن

في بيان الحب في الله والبغض فيه اعلم ان ما هذا باب غامض دقيق
فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملتذ به فان تأكد الميل فهو العشق
وهو المحبة المفرطة والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن الشيء المولم المتعب
فاذا قوي سمي مقتا فلنذكر ما يتعلق بالمحبة ثم نذكر ما يتعلق بالبغض فهاتان
مرتبتان

المرتبة الاولى

ما يتعلق بالمحبة وتقع على وجوه اربعة

الوجه الاول

حب الشيء لذاته وما هذا حاله فهو محبوب وهو ان يكون
في ذاته محبوبا لك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدته والتلذذ
باخلاقه لانك تستحسنه فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ
فهو محبوب ثم ان ذلك الاستحسان اما ان يكون في الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة
وتمام القد وجمال الهيئة واما ان يكون في الصورة الباطنة اعني حسن الاخلاق

ولدغدغات القلب ومفاكهة اللسان وحسن المنطق وكل ذلك مستحسن عند كل طبع سليم
وعقل مستقيم ويلتذ به ويكون محبا **الوجه الثاني** ان يكون حبه له
لغير ذاته والمحبوب غير ذاته ولا شك ان الوسيلة الى المحبوب محبوبة وما يحب لغيره
كان ذلك هو المحبوب بالحقيقة ولهذا فان الناس يحبون الذهب والفضة ولا غرض لهم فيهما
اذ هما لا يطعمان ولا يشربان ولكنهما وسيلة الى كل محبوب وغرض مطلوب فمن الناس
من يحب غيره كما يحب الذهب والفضة من جهة انهما وسيلتان الى الغرض فيحبه
لانه يتوسل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله
او جاهه **الوجه الثالث** ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس
راجعا الى حظوظه الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض
فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين
العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة واحراز السعادة في الآخرة وبه كما هذا
حاله يكون من جملة المحبين في الله تعالى وكذا فانه يحب تلميذه لانه يتلقف منه
العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى الى درجة التعظيم في ملكوت السماء
كما قال عيسى صلوات الله عليه والسلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في ملكوت السماء **الوجه**
الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما ولا عملا وما فقد حاله فهو اعلا الدر
جات وادقها واغمضها وهذا القسم ممكن فان من آثار الحب ان يتعدى من المحبوب الا كل
من يتعلق به ولو بعيد فمن احب الله تعالى وغلب على قلبه حبه واستولى عليه حتى انتهى
الى كل

الى كل حالة في الاستهتار فانه يتعدى الى كل موجود سواه من آثار قدرته ومن احب
انسانا احب صنعته وخطه وجميع افعاله ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا وقع المطر استمطر واشال جسمه وقال هذا قريب العهد بربه واذا حصل من الفواكه
باكورة مسح بها وجهه واكرمها وقال انها حديثة عهد بربها **المرتبة الثانية**
في بيان ما يتعلق بالبغض فاعلم ان كل من احب في الله فانه لا بد ان يبغض في الله فانك
اذا احببت انسانا لانه مطيع لله تعالى ومحبوب عنده فان عصاه فلا بد ان تبغضه
لانه عاص لله ممقوت عنده فهما متلازمان كما ترى ثم ان اهل البغض مع اهل العداوة
من الكفار والفساق ومع علامات مختلفة واحوال متباينة لان المخالف لامر الله لا يخلو حاله
اما ان يكون مخالفا في عقيدته او في عمله فهاتان حالتان **الحالة الاولى** ان يكون مخالفا
في عقيدته وتقع على اوجه ثلاثة **الوجه الاول** منها ان يكون كافرا فان
كان محاربا فهو مستحق للقتل والاسترقاق وليس بعد هذين اهانة وان كان مرتدا
وجب قتله وان كان ذميا فلا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض والتحقير والاهانة الاغير
ذلك من الاذايا **الوجه الثاني** المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان
كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا
يسامح بعقد ذمة وان كانت بدعة بحيث لا يكفر بها فامره اخف من حكم
الكافر ولكن الانكار عليه اشد لان شر الكافر مقصور عليه وشر هذا يتعدى **الوجه**
الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعاء ولا يخاف

الاقتداء به واقره ان تعود فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في
النصح فان تلك القوة شديدة التقلب فيتعرض عنه لان في الاعراض زجرا له
عن بعض عيبه **الحالة الثانية** ان يكون مخالفا في عمله ثم يقع ذلك على او
جه ثلاثة **الوجه الاول** وهو اشتغاله بما يتضرر به الناس كالظلم
والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى هو الاعراض
عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عنهم وطردهم والتحاشي عن جهتهم ان معصيتهم
شديدة لما فيها من ايذاء الخلق **الوجه الثاني** الذي يفسق وشرب
المسكر واتيان فاحشة الزنا وترك الصلاة فما هذا حاله فانه يضر في المحبة
على ارتكابه للمعصية فان صدر في علاقة المعصية وجب منعه بالضرب
والحبس وغير ذلك واذا عجز عن ذلك وعلم ان ذلك له حاجة في الواجب وعظه
وان تحقق ان نصحه يمنعه عن الفعل فالواجب نصحه **الوجه الثالث**
ان تكون عنايته في الدعاء الى الفسق والجور وتهيئة المعاصي من القمار وشرب
المسكر والزنا باحضار آلاتها وتسهيلها وتهيئة الغناء باحضار آلات اللهو
والصبيان فان من هذه حاله يفسد على الناس دينهم ويجاهدهم فان هذه
معصية عظيمة فالواجب عدم الاهانة والاعراض والمقاطعة لكونها متعدية من ما
يقوم به من الدعاء الى المعاصي وقد تم غرضنا مما يتعلق بالمحبة والبغض

[illegible]

في مقدمة **الباب السابع** في بيان الحقوق اللازمة للمسلمين لبعضهم على
بعض لاجل الاسلام والدين اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او يكون معه
غيره وان تعذر عيش الانسان الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من ذكر
آداب المخالطة والمخالطة لا بد لها من رابطة واعظم الروابط رابطة الاسلام
فانها من اقوى الروابط وقد عظم الله حرمتها ورفع شأنها وهي الاخوة في الدين
وقد اتخذ النبي صلى الله عليه واله وسلم امير المؤمنين كرم الله وجهه اخا له حيث قال لعلي
ابن ابي طالب اخي ووزيري وقاضي ديني وقال له انت مني بمنزلة هرون من موسى
الا انه لا نبي بعدي واما الخلة فهي فوق الصحبة والاخوة ولم يكن له احد خليلا
وقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله لان الخليل
هو الذي تتخلل المحبة جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا وتستوعبه ولم يكن يستوعب
قلبه صلى الله عليه واله وسلم سوى محبة الله فكان صلى الله عليه واله وسلم حبيب الله وخليله
وقد روي انه صلى الله عليه واله وسلم صعد المنبر فرحا مستبشرا وقال ان الله
قد اتخذني خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله فاما الايثار فهو الالقاء بالنفس
والوقاية بها كما كان من ابي بكر في الغار من وقايته بنفسه وكشف الجبة وكما
كان من ابي طالب اذ جعل شخصه وقاية لشخصه الكريم صلوات الله عليه
وسلامه ونحن الان نبتدئ بذكر حقوق الاسلام لانها الغاية والنافعة

وجملة ما نذكره من ذلك آداب ثلاثون أولها ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه
اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات
ويبر اذا اقسمه اذا اقسم وثانيها ان يحب لكافة المسلمين ما يحب لنفسه
ويكره لهم ما يكره لنفسه وثالثها ان لا يؤذي احدا من المسلمين بفعل ولا
قول ورابعها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله تعالى لا يحب كل
مختال فخور وخامسها ان لا يسمع فيه كلام متكلم ولا يصغي الى بلاغات الناس
في بعضهم بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض وسادسها ان لا يزيد في
هجر من يعرفه على ثلاثة ايام في ترك رد السلام وسابعها ان يحسن الى كل من قدر
عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغيره وثامنها ان لا يدخل على
احد الا باذنه ويستاذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف وتاسعها
ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طرائقهم وعاشرها
ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان والنسوان وحادي عشرها ان يكون
مع كافة الخلق منطلق الوجه كثير البشر وثاني عشرها ان لا يعد مسلما
وعدا الا ويفي به ولا يخلفه وثالث عشرها ان ينصف الناس من نفسه
ورابع عشرها ان يزيد في توقير من يدل هيئته وزيه على علو منزلته
فينزل الناس منازلهم وخامس عشرها ان يصلح ذات البين بين المسلمين
مهما وجد الى ذلك سبيلا وسادس عشرها ان يستر عورات المسلمين كلهم

كما ورد به السنة

كما ورد به السنة وسابع عشرها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس
عن سوء الظن ولا يتفحص عن الغيبة وثامن عشرها ان يكون شافعا لكل من له حاجة
من المسلمين الى كل من كانت له عنده منزلة ويسعى في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه وتاسع
عشرها ان يصافح كل من وجد من المسلمين عند السلام عليه والعشرون
ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر عليه ويرد عنه
ويناضل عنه الحادي والعشرون ان يشمت العاطس اذا قال الحمد لله الثاني والعشرون
انه اذا بلي بذي خلق شرير فينبغي ان يجامله ويتقيه الثالث
والعشرون ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين الرابع والعشرون
النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه الخامس والعشرون ان يعود
مرضاهم والدعاء لهم واظهار الرافة والترحم لهم السادس والعشرون ان يشيع
جنائزهم وان يقف هنيئا في الميت ولما ورد في الخبر السابع والعشرون ان يزور
قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلوب بزيارة القبور الثامن
والعشرون خفض الجناح ولين الجانب والتواضع للمسلمين التاسع والعشرون
ان لا يتنقص احدا من المسلمين حيا او ميتا الثلاثون ان يكون غائبا اليهم بكل
منفعة دافعا لكل مضرة مهما كان قادرا على ذلك متمكنا منه فهذه جملة كافية
تنبيه على آداب المعاشرة على عموم الخلق والجملة الجامعة لما يبقى الآداب مع عموم الخلق
ان لا يستحقر احدا ولا ينظر لاهل الدنيا بعين التعظيم لهم في حال حياتهم فان الدنيا

صغيرة عند الله تعالى صغير ما فيها وصغر ما عظمه حال أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت
الدنيا في عينيك فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم
ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعا
دهم بحيث تظهر العداوة فيطول عليك الأمر في المعادات ويذهب دينك ودنياك
فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي الفاعلين له عداوة لك
وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وشماتة وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير فلا تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم وثنائهم في وجهك
وحسن بشرهم لك فإنك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا تجده
ولا تشكو اليهم أحوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في السر كما يكونون لك في العلا
نية فذلك طمع كاذب وأنا تظفر به ولا تطمع في ما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال
الغرض ولا تعل عليهم بكثرة استغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة لك على التكبر
عليهم بإظهار الاستغناء واذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد
وان لم يقضها فلا تعاتبه فإنه يصير عدوا تطول عليك مقاساته فلا تشتغل
بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فإنه لا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك تعريضا
وان شئت لا من غير تنصيص على شخص بعينه ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر
الله الذي سخرهم واستعذ بالله ان يكلك اليهم وان بلغك عنهم غيبة او رأيت منهم شرا

واصابك منهم

وأصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة
لهم فيزيد الضرر ويضيع العمر ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعلم انك لو استحقيت
ذلك لجعل لك في قلوبهم موضعا فان الله هو المحبب المبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا
لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن مساويهم واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم
لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير وا
لقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء
والنسيان ولا يعفون يغيرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة أكثرهم خسران
وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون
في حنقهم ولا يرجون في كثرة الملق فيهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذياب يقطعون با
لظنون ويتغامزون وراءك بالعيوب ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون
يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم فلا تعول على
مودة من لم تخبره حق الخبرة منهم بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد
فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدنانير و
الدراهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الأحوال فاتخذه أبا لك
ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او أخا لك ان كان مثلا ومصداق ذلك كله قوله
صلى الله عليه وآله وسلم وجدت الناس أخبر تقله وقوله صلى الله عليه وآله وسلم كلكم يطلق

الصانع وقوله صلى الله عليه وآله وسلم الناس كإبل مائة لا يوجد فيها راحلة فليكن همك حفظ
هذه الآداب والصبر على التخلق بها وأمثالها في كل الأحوال يحصل لك الخيرة في عاقبة
أمرك لتظفر بالسعادة الأخروية والآخرة لمداومة الخير والتوفيق

الباب الثاني

في بيان الحقوق للوالدين والأولاد وسائر الأرحام والأقارب اعلم أن لكل واحد
من هؤلاء حقاً يخالف الآخر لكن أخص الأرحام وأكبرهم وأشدهما وأقربهما هو حق
الولادة فلا خفاء أن الحق متضاعف فيهما فنذكر حقوق الوالدين على الأولاد ثم نثني
ثم نثلث بذكر حقوق الأولاد على الوالدين ثم نذكر حقوق سائر الأقارب فههنا
ثلاثة أصناف

الصنف الأول

حق الوالدين على أولادهما فقد
قال الله تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فإن الله تعالى قد جمع في هذه الآية
بين آداب خمسة نهاهما عن التأفيف ونهاهما عن نهرهما وأمر بالقول الكريم لهما وأمر بخفض
الجناح في حقهما وأمر بالدعاء لهما بالرحمة وقال تعالى وبالوالدين إحسانا وقال صلى الله
عليه وآله وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى
الله عليه وآله وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن
أمسى مثل ذلك ومن أصبح مسخطا لهما أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ومن أمسى
مثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وقال صلى الله عليه وآله وسلم الجنة

يوجد ريحها

قد صحح

يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وإنه قال بر
أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك ويروى أن الله تعالى قال لموسى
عليه السلام من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته
عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم عليه فأوحى الله إليه
أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي لا أخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ما على أحد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها عن أبويه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه
أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيئا قال مالك بن ربيعة
بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل
بقي علي شيء من بر والدي أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار
لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وقال صلى
الله عليه وآله وسلم إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
بر الوالدة على الوالد ضعفان وقال صلى الله عليه وآله وسلم أسرع إجابة قيل يا رسول الله
ولم ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله
من أبر قال والديك قال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك حقا عليك فلولدك
حق عليك وقال صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله
بسوء العقوق على سوء عمله وقد قيل ولدك ريحانك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو
عدوك أو شريكك قال أنس بن مالك الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط
عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا

بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ثم اخذ بيده وقال قد
أدبتك وعلمتك وأنكحتك وأعوذ بالله من فتنتك في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم
من حق الولد على والده ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل غلام
مرتهن بعقيقته أو جارية

الصنف الثاني

وهو حق الولد
على والديه فقد روي ان الأقرع بن حابس رأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال له لا ارحم
من لا يرحم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما يقابله اغسلي وجه اسامة فجعلت
أغسله وأنا انفه ثم أخذه وغسل وجهه ثم قبله وقال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية
ونظر يوما الى الحسين وهو يعثر في ثيابه وهو على منبره فنزل وحمله وقرأ قوله تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يصلي بالناس اذ جاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى
ظنوا انه حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث
أمر فقال ان ابني هذا قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه
السلام ريح الولد من ريح الجنة وحكي عن معاوية انه دخل اليه الاحنف ابن قيس فلما دخل
عليه قال له يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال له انهم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم
أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا
فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا
وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني لمملوء
غيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف

درهم

درهم وبمائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب قاسمه على
الشطر فهذه الاخبار كلها دالة على تأكيد حق الولد وكيفية القيام بحقهما ه

الصنف الثالث

في بيان حقوق الاقارب والارحام قال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما
من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان
ينسأ له في أثره لاجله ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر رضي الله عنه اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله بصلة الرحم وان ادبرت وا
وصاني ان اقول الحق وان كان مرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس
الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا
فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق
الادم فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد منعني من بني مدلج بصلتهم
الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر قد قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قد قدمت
علي وهي مشركة أفأصلها قال نعم وفي رواية اخرى افاعطيها قال نعم صليها
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الصدقة على المساكين صدقة وعلى الرحم ثنتان [illegible]

ابو طلحة ان يتصدق من بستان له كان يحبه عملاً بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قال يا رسول الله هي في الفقراء والمساكين فقال صلى الله عليه وآله وسلم وجب اجرك اجعلها
في اقاربك وقال صلى الله عليه وآله وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وفي رواية
قوله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح
عمن ظلمك وروي ان عمر امر العمال اي امر والي الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا
قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما اورث الوحشة وقطيعة الرحم

الباب التاسع في بيان حق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه
اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة بالمجاورة قال صلى
الله عليه وآله وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق
فالجار الذي له ثلاثة حقوق فالجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق
الرحم واما الجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار والاسلام واما الذي له حق
واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقاً بحق الجوار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من كان يؤمن بالله فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن اهله
بوائقه وجاره بوائقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اول خصمين يوم القيامة جاران
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد آذيته وروي ان رجلاً
جاء الى ابن مسعود فقال ان لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب

فانه عصى الله

فان عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانة تصوم
النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وآله وسلم هي في النار
وروى الزهري ان رجلاً اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو جاره فامر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين داراً جار قال الزهري
اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واومأ الى اربع
جهات وقال صلى الله عليه وآله وسلم اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن
المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها
وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار
اهله ويمن الفرس ذلته وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار
كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضاً قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء
حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق وابتداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار
الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه
وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جاراً له يريد ان يبيع داره في دين
ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذاً بحق ظل داره ان باعها
معدماً فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفأر في بيته
فقيل له لو اقتنيت هراً فقال اخشى ان يسمع الفأر صوت الهر فيهرب

الاذى الجيران حكاية قد احببت لنفسي مالا احبه لهم وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام
ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة
ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن
زلاته ولا يتطلع من السطح على عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في
مصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا
يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته
اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلامه
ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده
الى ما يجهله من امر دينه ودنياه وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استنصرك
نصرته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته
وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة
عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فا
كهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده
ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله وعن عبد الله بن عمر انه امر
غلاما يسلخ له شاة

غلاما يسلخ له شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم
تقول هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا
انه سيورثه وكان الحسن البصري لا يرى باسا ان يطعم اليهودي والنصراني من اضحيته
وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه فقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر
بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة رضي الله عنها خلال المكا
رم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها
الله لمن احب صدق الحديث وصدق في البأس الصغير وصدق الناس واعطاء السائل
والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصا
حب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعادة المرء
المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف
لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد
احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمنع احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه
وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد
ذهب بعض الفقهاء الى ذلك وقال من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله

قال أحسنه الاحسان اليه وقد فرغنا من ذكر ما ورد في حق الجار والله الموفق للصواب

الباب الثالث

في بيان حقوق المماليك اعلم ان ملك النكاح قد سبق
بيان حقوقه في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو يقتضي حقوقا في المعاشرة ولا بد
من مراعاتها ولقد كان آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان قال اتقوا الله
فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون
فما أحببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم
ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف
ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة خب ولا متكبر
ولا خائن ولا سيء الملكة وقال عبد الله ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال
اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد
عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه رأى رجلا على دابته
وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك
فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله تعالى بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية
لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك
قالت اردت الراحة منك فقال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وقال الزهري

متى قلت

متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف ابن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس
ابن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له بسفود
عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال
ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال انت حرة لا بأس عليك وكان عون
ابن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك فمولاك يعصي مولاه وانت
تعصي مولاك وأغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان
عند ميمون بن مهران ضيف نزل به فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها
قصعة مملوءة مرقة فعثرت واراقتها على رأس سيدها ميمون فقال يا جارية
احرقتني فقالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال
قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت
عنك قالت زد فان الله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى وقال ابن المنكدر
ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول
أسألك بالله أسألك بالله فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صياح العبد فانطلق
اليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أسألك بالله فلم تعفه قال فانه حر لوجه الله تعالى فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك
النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة ربه

فله أجره مرتين وممّا عتق ابو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب واحد وقال صلى الله
عليه وآله وسلم عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأ
ما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبدٌ مملوكٌ أحسن عبادة ربه ونصح لسيده
وعفيفٌ متعففٌ ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة من
لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا أنا اضرب غلاما
لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم أبا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فالقيت السوط فقال والله لله أقدر عليك منك على هذا وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه
رواه معاذ ابن جبل وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا أتى أحدكم غلامه بطعامه فليجلسه
فليأكل معه وان لم يفعل فليناوله أكلة في يده وليقل كل هنيئا ودخل رجل
على سلمان وهو يعجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في عمل فكرهنا
أن نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت عنده جارية فعلّمها وأحسن
إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمملوكك عليك
ثلاث عن غيبته وجملة حق المماليك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه
فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر
عند غضبه عليه لهفوته أو جنايته في معاصيك وجنايتك في حق الله وتقصيرك

في طاعته

١٩٢

في طاعته مع ان قدرة الله تعالى عليك فوق قدرتك عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا يُسأل
عنهم رجلٌ فارق الجماعة أو عصى امامه فمات عاصيا فلا يُسأل عنه وامرأة غاب عنها
زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت عليه فلا يُسأل عنها ورجل ينازع الله
رداءه ورداؤه الكبرياء وبتمامه تم الكلام على المقالة الرابعة
من مقالة العبادة المقالة الخامسة في بيان اخلاق النبوة وذكر المعجزات
الباهرة اعلم ان الغرض من هذه المقالة هو الاشارة الى آداب الرسول صلى الله عليه
واخلاقه المأثورة عنه بالتفصيل في ذلك غرضان الغرض الاول الافصاح
بما خصه الله به من الاخلاق الزاكية والشمائل المرضية التي لم يتفق بأخذ مثلها
والغرض الثاني تحديد الايمان وتأكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي تشهد
آحادها على القطع انه اكرم خلق الله واعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف اذا
حصل مجموعها فيكون أدخل في الدلالة وأظهر في الكشف والابانة فنذكر أولا ما
خصه الله به من ~~الكمال ثم نذكر ثانيا~~ الخلائق التي يفوق ثم نذكر ثانيا خلقه وصو
رته وما خصه الله به من الكمال ثم نذكر ثالثا ما أيده الله به من المعجزات القاهرة
والآيات الباهرة فهذه ثلاثة أقسام نفصلها بعون الله تعالى القسم الاول
في بيان اخلاقه وشمائله التي أكرمه الله تعالى بها وقد اشتمل على انواع عشرة
النوع الثاني في تأديب ربه اياه بالقرآن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كثير الحرص عليه والابتهال الى الله تعالى ان يزينه بمحاسن الاخلاق فكان يقول اللهم حسّن
خُلقي كما احسنت خَلقي اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله دعاءه وانزل عليه
القرآن وكان خلقه القرآن قال بعض الصحابة دخلت على عائشة فسألتها عن اخلاق
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقالت أما تقرأ القرآن قال بلى قالت كان خلق رسول الله صلى
الله عليه القرآن وقد ادّبه الله بمثل قوله خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين
وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور.
وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله
يحب المحسنين وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله تعالى ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله تعالى ~~اجتنبوا~~
كثيرا والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت
رباعيته يوم احد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر
شيء وامثال هذه التأديبات كثيرة في القرآن غير منحصرة وهو صلى الله عليه وآله
هو المقصد الاول بالتأديب والتهذيب ثم منه تشرق الانوار على كافة الخلائق

فانه صلى الله عليه وآله

فانه صلى الله عليه وآله وسلم أُدّب بالقرآن ولهذا قال صلى الله عليه بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ثم
ان الله تعالى لما اكمل خلقه اثنى عليه بقوله وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شأنه
واجل امتنانه فانظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم بعد حمده واثنى ثم انه صلى الله
عليه وآله اخبر ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق بقوله ان الله يحب مكارم الاخلاق ويكره
سفسافها فقد خصه الله تعالى بالصفات العالية بحسن المعاشرة ولين العريكة
وكرم الطبيعة وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض
الى غير ذلك من الصفات المحمودة والخلائق المفقودة في غيره من سائر الخلق فنهيئ
جملة مما اشار اليه القرآن من تأديباته **النوع الثاني** في بيان جملة من محاسن
اخلاقه صلى الله عليه وآله ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله مخصوصا من الله تعالى بكرائم الخصال
وشرائف الشمائل وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام
وافشاء السلام وعيادة المريض وحسن الجوار مسلما كان او كافرا واجابة الطعام
والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة وكظم الغيظ واجتناب ما حرمه
الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر والكذب والغيبة
والنميمة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة وسوء الظن وقطيعة الارحام
وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والتفاخر والحقد
والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم ولقد كان صلى الله عليه وآله احلم الناس واشجعهم
واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها

أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم
وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى
من يحتاج اليه ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت انشاءه تعالى في نسخة اخرى الا ان قد وجده
سنة فاذا يجي هكذا انقوت عامه واطلق فوق بدوه فتأمل ولا تغفل من ايسر ما
يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله ولا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود
على قوت العام ما كان هكذا في نسخة اخرى ~~فتأمل في جميع المواضع~~ عامه فيؤثر منه
حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام فتأمل في جميع المواضع القائم ان لم يأته شيء من نفله ثم
وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن
وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد
ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها
ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب
لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه وعرض عليه الانتصار
بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد
من معه فابى وقال انا لا ننتصر بالمشركين ووجد من فضلاء اصحابه
قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق عليهم بل
وداه بمائة ناقة من عنده وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون

به على العدو

به على عدوهم وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد
ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا من غير خبز اكله وان وجد شواء اكله
وان وجد لبنا دون خبز اكله واكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله ولا يأكل
متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه ولم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام
متوالية حتى لقي ربه ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة اشد الناس
تواضعا واسكتهم من غير تكبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله
شيء من امور الدنيا يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة
ما لبس مخيطا ونعله من سقفين ومرة جبة صوف يتختم بالورق ومرة يلبسه
في خنصره الايمن وهو الاكثر ومرة في خنصره الايسر يركب ما وجد وأمكنه فمرة
فرسا ومرة بعيرا وتارة بغلة وتارة حمارا وتارة يمشي راجلا حافيا
بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يحب الطيب ويكره الرائحة الخبيثة ويجالس
الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف
بالبر لهم هذه جملة من اخلاقه الشريفة على جهة الاجمال وسنذكر فيما يكون
منها على جهة التفصيل بمعونة الله تعالى **النوع الثالث** في بيان كلامه صلى الله
عليه وآله وصحبه كان صلى الله عليه وآله افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول
انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وكان يتكلم الكلام يتبع المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات
النظم قالت عائشة لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه قليلا وانتم تنثرون الكلام
نثرا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يبلغ حيث
اراد ويتبين الاكل غايته ومقصوده وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول فيه
ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه
وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا
يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق ويعرض عمن يتكلم بغير جميل
ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنا
زع عنده الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض
فانه انزل على وجوه واراد انكم لا تجعلوه متناقضا فانه يمكن حمله على
وجوه غير متناقضة فتلائمه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه
وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وعامة
ضحكه اذا استغرق في ضحكه وربما ضحك حتى تبدو انيابه وربما ضحك
فتبدو ثناياه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له ولقد
جاءه اعرابي يوما وهو متغير اللون ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقا
لوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق لا ا
دعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس

بالثريد

بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها
حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت آمنت بالله وكفرت به فضحك الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال يغنيك الله بما يغني عباده المؤمنين
وكان من احسن الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة
او يخطب خطبة موعظة وكان اذا سر او رضي فهو احسن الناس رضا وكان
وجهه يطلقه ثم وان وعظ وعظ بجد وان غضب ولم يكن يغضب الا لله
لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها واذا نزل به امر فوض الامر
الى الله وتبرأ من الحول والقوة الا به واستنزل الهدى من عند ربه ويقول اللهم
ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه
واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي من غير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك
وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك
الى صراطا مستقيم

النوع الرابع في بيان اخلاقه عند الطعام

كان الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ياكل ما يجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف
ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضع الطعام قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة
تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه
ويكون الركبة فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة

وانه لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه باصابعه الثلاث وربما استعان با
لرابعة ولم ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشياطين وجاء عثمان ابن عفان بفالو
ذج واكل الفالوذج وعمل الحنطة على السمن وعمل طبيخا حتى ينطبخ فاكل منه وقال ما
هذا يا ابا عبد الله فقال بابي انت وامي يا رسول الله نجعل السمن والعسل في البرمة و
نضعها على النار ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه
حتى ينضج فياتي كما ترى فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذا الطعام طيب وكان ياكل
خبز الشعير غير منخول وياكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه اليه الفا
كهة الرطبة البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما اكله بالر
طب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ في يساره فمرت
شاة فاشار اليها بالنوى فاكلته وهو في كفه الايسر وكان ياكل بيمينه حتى اذا
فرغ وانصرفت وكان ربما اكل العنب خرطا يرى زوانه على لحيته كخرز اللؤلؤ
وهو الماء الذي يقطر منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع التمر واللبن
ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم وقال هو يزيد في السمع وهو
سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وياكل
الثريد باللحم والقرع الدبا وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس قالت
عايشة رضي الله عنها كان يقول اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه الدبا فانه يشد
قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان
يصاد له ويوتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم يطاطي راسه اليه ويرفعه الى فيه

دفقا

١٩٦

ثم ينهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن
القدر الدبا ومن الاصباغ الخل ومن التمر العجوة من جياد تمر المدينة ودعا في العجوة
بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا والنعنع
المرزة والباذروج والبقلة الحمقا التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما
من البول ولا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد
والحيا والدم وكان لا ياكل الثوم والبصل والكراث وما ذم طعاما قط لكن ان
اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال
ولا يحرمهما وكان يلعق باصبعه الصحفة ويقول اخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق
اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه وا
حدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة وكان اذا فرغ قال اللهم
لك الحمد اطعمت واشبعت واسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى
عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل
الماء على وجهه وكان يشرب في ثلث دفعات له فيها ثلث تسميات وفي اواخرها
ثلث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا ويعب اللبن عبا وربما كان
يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان
يدفع فضل سؤره الى من عن يمينه وان كان من عن يساره اجل رتبة

قال للذي عن يمينه السنة أن تعطي فإن أحببت آثرتهم وأتي بإناء فيه عسل ولبن

فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد ثم قال إني لا أحرمه

ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه

الله وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه

أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فأخذ ما يأكل ويشرب بنفسه

جملة من آدابه في طعامه وشرابه **النوع الخامس** في بيان آدابه وأخلاقه

في اللباس كان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار ورداء وقميص و

جبة وغير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها

أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء

من سندس قال تعالى سندس واستبرق فهما نوعان من الحرير السندس ما رق

والاستبرق ما غلظ وحين يلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت

ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق وكان

قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة

مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحده وربما لبس الكساء وحده ما

عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس

العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الإ

زار الواحد ليس عليه غيره يعقد عليه طرفيه بين كتفيه وربما أم به

الناس على الجنائز وربما صلى في بيته بالإزار الواحد ملتحفا به مخالفا

بين طرفيه

بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى في الليل

بالإزار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي

كذلك ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت أم سلمة بأبي وأمي ما فعل

ذلك الكساء الأسود قال كسوته قالت ما رأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على

سواده قال أنس وربما رأيته يصلي الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم

وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على

الشيء ويقول الخاتم على الشيء خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم

وبغير عمائم وربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه يصلي

إليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عما

مة تسمى السحاب فوهبها لعلي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله

الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به وإذا نزع ثوبه نزع من مياسره وكان

إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ويقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل

ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا

وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع

وشبر أو نحوه وكانت عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى له طاقين تحته وكان

ينام على الحصير الذي ليس تحته شيء **وفي أخلاقه الكريمة**

تسميته دوابه وسلاحه ومتاعه فكان اسم رايته العقاب واسم سيفه

الذي يشهد به الحروب ذا الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له
الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه من الفضة بالقاف والباء
بنقطة من أسفل والياء بنقطتين من أسفل وهي فعيلة بوزن صحيفة وكان يلبس
المنطقة من الأديم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وكان اسم
جعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوا وهي التي يقال لها العضبا واسم بغلته
الدلدل وقيل دلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها
غيثة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ منها ويشرب منها ويرسل الناس
أولادهم الصغار الذين قد ميزوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فلا يدفعون عنه وإذا وجدوا في المطهرة ما شربوا منه ومسحوا على وجوههم منه
وأجسادهم يبتغون بذلك البركة **النوع السادس** في بيان عفوه مع القدرة
كان صلى الله عليه وآله أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة على الانتقام حتى أنه
أتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية
فقال يا محمد لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك
بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا وروى جابر أنه كان عليه الصلاة والسلام
يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل
قال ويحك من يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذا وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر
فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل

أصحابي

١٩٨

أصحابي وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام
على رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف فقال ما يمنعك مني قال كن خير آخذ قال
قل أشهد أن لا إله إلا الله فقال الأعرابي لا أقاتلك ولا أكون معك ولا مع قوم
يقاتلونك فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال جئتكم من خير الناس وروى أنس أن
يهودية أتت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها
إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على ذلك قالوا أفلا نقتلها قال لا وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل
صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر
ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه بعثني
رسول الله أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ بخائين
بنقطتين من أعلى فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا
تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا روضة خاخ فوجدنا المرأة فقلنا أخرجي
الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته
من عقاصها فأتينا به الرسول صلى الله عليه وآله فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى
أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر الرسول صلى الله عليه وآله فقال يا
حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي كنت امرأ ملصقا في قريش وكان من معك
من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب
أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعل ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صدق فكفوه فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا
المنافق فقال له الرسول إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل
بدر فقال اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقد تقدم ذكر حلمه في النهي عن المنكر
تكملة حق عند سلطان جائر وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسمة فقال رجل
من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وآله
فاحمر وجهه وقال رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وكان الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج
إليكم وأنا سليم القلب فهذا ما أردنا ذكره من عفوه

النوع السابع

في بيان إغضائه عما يكرهه كان صلى الله عليه وآله وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن
يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان إذا اشتد وجده ح لا يوجد منه أكثر
من مس لحيته وكان لا يواجه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها
فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه الصفرة
وبال أعرابي في المسجد ليضربه فتهيأ له الأصحاب فقال عليه الصلاة والسلام لا تزرموه
أي لا تقطعوا عليه البول ثم قال إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر من البول
والخلاء وفي رواية أخرى سددوا وقاربوا ويسروا ولا تنفروا وأبشروا ولا تعسروا
وجاء أعرابي ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام
ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك فقال نعم جزاك
الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنك كنت قلت ما قلت
وفي أنفس أصحابي شيء من ذلك فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم

ما كان فيها

ما كان فيها عليك قال نعم فلما كان من الغد أو من العشي جاء فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه قد رضي أكذلك قال الأعرابي نعم
فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إن مثلي ومثل هذا
الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها
إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم
فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها وأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا
هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار فهذا ما أردنا ذكره من إغضائه
عما يكرهه وحلمه عنه

النوع الثامن

في بيان سخائه وجوده صلى
الله عليه وآله وسلم كان صلى الله عليه وآله أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح
المرسلة وقيل كالريح العاصف لا يمسك شيئا وكان أمير المؤمنين كرم الله وجهه
إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس
صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه
بديهة هابه ومن خالطه أحبه وعن نعته يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده
مثله وما سئل شيئا قط إلا أعطاه وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما
بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة
وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير
ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله

فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال الرجل أنفق
ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله وعرف البشر في وجهه ولما قفل
من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى الشجرة فاختطفت رداءه فوقف
وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم
ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا اما ما ذكره من وصف جوده وكرمه

النوع التاسع في بيان شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم كان عليه الصلاة والسلام
أنجد الناس وأشجعهم قال علي عليه السلام لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ
بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا
وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قليل
الكلام قليل الحديث فاذا احمر البأس تشمر وكان من اشد الناس بأسا وكان
الشجاع منا هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما
لقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب وكان قوي البطش
ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته وجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد باسا منه وروي انه كان بالمدينة ليلة
فزع فركب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرسا لابي طلحة وكان قطوفا فادرك
الناس وهو راجع فقال ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرا ابطئني الفرس

ويقال انه زال

ويقال انه زال عنه عيبه واتسع جريه من تلك الليلة ببركة ركوبه صلى الله عليه وآله
وكان هذا الفزع في المدينة لما جاء الخبر ان ناسا من العرب اجتمعوا الى المدينة
قلت وقبله الداعي وكان امرهم فتربصوا من اتيانها وابطأهم من اجل الوباء فقفلوا
ما فعلوا لخروجه وصيحته بهم فاخذتهم وشملت غنيمته وطرحوا في الارض قضاياهم حتى
ما نفد حنق اناسهم **النوع العاشر** في بيان تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم
كان الرسول صلى الله عليه اشد الناس تواضعا على علو منصبه قال ابن عامر
رأيته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب
الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع
الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع
مع اهله وكان اصحابه لا يقومون لما يعرفون من كراهيته لذلك وكان يمر
على الصبيان فيسلم عليهم واتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برجل فارعد
من هيبته فقال هون عليك فلست ملكا انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل
القديد اليابس وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كأنه احدهم فيأتي
الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا منه ان يجلس مجلسا
تعرفه الغرباء فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليها وقالت عائشة رضي الله عنها كل
جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك فاصغى برأسه حتى كاد ان تصيب
جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله وكان لا يدعوه احد من

من أصحابه الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس فان تكلموا في معنى الآخرة
أخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تحدثوا في الدنيا تحدث
معهم رفقا بهم وتواضعا وكانوا ربما يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون
أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم عليه السلام اذا ضحكوا ولا يزجر الا عن
حرام وقد علم من هذا أنه جمع بين كمالاته الذاتية وشمائله التي بلغ
النبي فاق فيها على كل الخلائق صلى الله عليه وسلم

القسم الثاني

في بيان صورته الكريمة وخلقته الشريفة فنذكر صورته ولونه وشعره ووجهه وتركيبه لذلك
أعضاءه حتى نذكرها واحدا واحدا ونورد المحاسن التي اختص كل واحد منها من
هذه التراكيب أما صورته فكان صلى الله عليه وسلم في خلقته لم يكن بالطويل الممغط
ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن
يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه
الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب الى الربعة ويقول
صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة **وأما لونه** فكان صلى الله عليه وسلم
أزهر اللون ولم يكن بالآدم الشديد ولم يكن كثير الحمرة وكان ليس بشديد
البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء
من الألوان وكان كما نعته عمه أبو طالب **فقال** وأبيض يستسقى
الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل ونعته بعضهم بأنه مشرب
بحمرة وقالوا انما كان المشرب بالحمرة منه ما ظهر للشمس كالرقبة والوجه
والأزهر

والأزهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه في وجهه كاللؤلؤ أطيب
من المسك الأذفر وأما شعره فكان صلى الله عليه وسلم رجل الشعرة حسنها
ليس بالسبط ولا بالجعد القطط كان اذا امتشطه بالمشط كأنه حبك الرمل
وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية على أنه كان الى شحمة أذنيه وربما
جعله غدائر أربعا يخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه
فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد
على ذلك وفي رواية أخرى ثمانية وفي رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء
وأما وجهه فكان أحسن الناس وجها وأنورهم لا يصفه واصف الا شبهه
بالقمر ليلة البدر وكان يعرف رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا
يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر حيث يقول أمين مصطفى للخير
يدعو كضوء البدر زايله الظلام وكان واسع الجبهة أزج
الحاجبين سابغهما وكان أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة وكان
عيناه نجلاوين أدعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان أهدب الأشفار
حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أقنى العرنين أي مستوي الأنف وكان مفلج
الأسنان أي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا
تلألأ وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان أسهل الخدين
صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثم اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ

من شمائله وأما تركيب خلقته فكان من أحسن الناس عنقا لا ينسب إلى الطول
ولا إلى القصر ما ظهر منه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في
بياض الفضة وحمرة الذهب وكان عريض الصدر لا يعدو لحم بعضه بعضا كالمرايا
في استوائها وكالقمر في بياضها موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب
لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها
واحدة ويظهر اثنتين وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس أي رؤوس
العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين
كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب
إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس وكان عبل العضدين
والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه
قضبان الفضة كفه ألين من الخز كأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب
أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس
الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الإزار من
الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن أي أسن ذكره في صحاح الجوهري
وعلى سمن أو كثرة لحم يدل عليه قول أم المؤمنين كنت أسابقه فيسبقني فلما ثقل
سبقته أو مقتضاه في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق
الأول لم يضره السن وأما مشيته فكان صلى الله عليه وسلم

يمشي

يمشي كأنما يتقلع من صخر أو ينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير
تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان يقول أنا أشبه الناس بآدم وكان أبي إبراهيم
أشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول إن لي عند ربي عشرة أسماء فأما أسماؤه
فمنها أحمد وهو محمد وهو الماحي الذي يمحو الله به الكفر وهو العاقب
الذي ليس بعده أحد وهو الحاشر الذي يحشر العباد على قدميه وهو رسول
الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا
وأنا قثم وقال بعض العلماء القثم الكامل الجامع لكل خير فهذا ما أردنا
ذكره في التبرك بآثار خلقته الكريمة وتركيب صورته الشريفة

القسم الثالث في بيان معجزاته وآياته الدالة على نبوته

اعلم أن كل من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى لاستماع أخباره
المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته
لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتأليفه لجميع الخلق وقوده إياهم إلى طاعته مع
ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق
ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك
أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق عنده ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن
مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا باستمداد من تأييد
سماوي وقوة إلهية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت

شمائله ووجد له شاهدة وناطقة بصدقه فيه حسان ان القريحة الفهمة كما يراه يقول
ومنه ما هذا بوجه كذاب فكان يشهد له في صحة مصادره وموارده وانما أوردت بعض
أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليقع التنبيه لصدقه فيه وعلو منصبه ومكانته
العظيمة عند الله تعالى اذ أتاه جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس شيئاً من العلوم
ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب
يتيماً فقيراً ضعيفاً مستضعفاً فمن أين حصلت له محاسن الأخلاق واختص بأسرار
من الآداب ومعرفة مصالح الفقهاء دون غيره من أسرار العلوم فضلاً عن معرفته
بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين للبشر الا
ستقلال بذلك فلو لم تكن له الا هذه الأمور الظاهرة لكان فيها كفاية في الدلالة
على صدقه وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل وذكر الشيخ محمد
الحجازي رحمه الله أنها ثلاثة آلاف معجزة فلنذكر من جملتها ما استفاضت فيه الأخبار
واشتملت عليه كتب الصحاح **المعجزة الباهرة الأولى** القرآن الباقية بين الخلق
التي لا تخفى على وجه الدهر وليس لنبي معجزة باقية سواه اذ تحدى به بلغاء
العرب وفصحاء الخلق وجزيرة العرب يومئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم
وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور
مثله أو بسورة من مثله وقال لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

لا يأتون

لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك و
صدوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا
معارضته ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار
العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقرض الى اليوم
قريب من ثماني مائة سنة فلم يقدر أحد منهم على معارضته وأعظم
بغباوة من ينظر من أحواله وأقواله وأفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم
في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان الملوك
في الأرض في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى أي يتشكك
بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه وتأسى
به فنسأل الله أن يوفقنا للاقتداء به في الأقوال والأفعال والأخلاق وأن
يفيض علينا من أنواره وبركاته ويمن بحسن الاتباع له في كل آثاره **المعجزة**
الثانية انشقاق القمر له بمكة لما سألته قريش آية فوقف نصفه
على جبل أبي قبيس ودخل نصفه من تحته وقد جاء في هذه الآية في القرآن
فقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وانما لم يتواتر النقل بهذه الآية المعجزة
مع ظهورها لأنها كانت ليلية فشهدها المشركون على الرسول صلى الله عليه وسلم
والأكثر الناس كانوا نياماً في الليل في الشغل وربما ظن أنها سحابة فلهذا
لم تتواتر بل قد واتر كثير من الآيات الظاهرة المعجزة **الثالثة** النفر
الكثير في منزل جابر من الطعام القليل والقصة مشهورة في غزوة
الخندق

ثمانين رجلاً من صاع وعناق وهو من المعجز ومرة أخرى ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها
أنس بن مالك في يده ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا
كلهم حتى شبعوا وفضل ثم ينبوع الماء من بين أصابعه الكريمة فشرب العسكر كلهم
وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير وفي عين تبوك وكان لا ماء فيها فشرب الجيش
منها وهم ألوف ومرة أمر عمر بن الخطاب بأن يزود أربعمائة راكب من تمر كومة
بقدر البعير وهو منه جبر له فزود كلهم منه وبقي ومن ذلك أنه رمى بقبضة
من تراب في أعين الجيش فعميت أبصارهم وقال تعالى فيه تصديقاً له وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى ومن ذلك حنين الجذع الذي كان يخطب إليه لما تحول إلى المنبر حتى ضمه
إليه فسكن **المعجزة السابعة إخباره بعلوم الغيب** ومن ذلك ما أخبر
عثمان من أنه تصيبه بلوى بعدها الجنة وأخبر أن عماراً تقتله الفئة الباغية
وأخبر أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين وأخبر بموت النجاشي
في الحبشة وأخبر بقتل الأسود العنسي ليلة قتله في صنعاء وأخبر بأن فاطمة أول
من يلحق به من أهله وأخبر نساءه بأن أطولكن يداً أسرعكن لحاقاً بي فكانت زينب بنت جحش
أطولهن يداً بالصدقة وأولهن لحاقاً به وأخبر بأن أبي بن خلف يكون قتيلاً
له فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فمات منه **المعجزة الثامنة** أنه تفل في عيني
أمير المؤمنين وهو أرمد فبرأ من وقته وبعثه بالراية في خيبر وأصيبت رجل
بعض أصحابه فمسحها بيده فصحت من وقتها ومن دعا على رجل قطع صلاته بالمرور
بين يديه فقال اللهم اقطع أثره فما انقطعت رجله وقال لرجل يأكل بشماله فقال لا

استطيع

استطيع فقال له لا استطعت فما انقطعت بيده وخطب امرأة من أبيها فقال إنها برصاء
امتناعاً من أبيها فقال صلى الله عليه وآله وسلم فلتكن كذلك فبرصت وقصد الحكم بن أبي العاص محاكته
يحكي مشيته سخرية منه صلى الله عليه وآله وسلم على جهة الاستهزاء به فقال الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات إلى غير ذلك من الآيات القاهرة والمعجزات
الباهرة ولنقتصر على هذا القدر من ذكر ما فيه كفاية على قصدنا وهو الموفق للصواب

المقالة السادسة عشر في العزلة من علوم الكتاب اعلم أن العزلة فيها خير كثير
وسلامة عظيمة من كل شر ولهذا قال بعض الحكماء الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها
في الصمت وواحد منها في العزلة ثم إن الناس مختلفون فيها اختلافاً كثيراً في إيثار
العزلة أو الخلطة وفي كل واحد منهما فائدة وآفة ونحن نذكر الاختلاف ثم نذكر
فوائدها وآفاتها فههنا تنبيهات ثلاثة **التنبيه الأول** في نقل المذاهب
والأقاويل وحجة كل فريق فنقول أما الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم فلم
يكن من جهتهم كلام في الاعتزال إنما في أيام الرسول فلا وجه للعزلة لأن الخير كله إنما هو
في مخالطته ورؤيته وملازمته والأخذ عنه وأما بعد وفاته فلم يؤثر عن أحد منهم
الاعتزال لأنهم كانوا مجتهدين في نصرة الدين وإحياء معالمه فلأجل هذا افترقوا في
البلاد بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم للدعاء إلى الله تعالى وإحياء الدين وإقامة شرائع الحلال
في أيام التابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا وقد افترق الناس فيها على ثلاث
فرق فلنفصلها بعونه تعالى **الفريق الأول** وهم الذين ذهبوا إلى إيثار العزلة

وتفضيلها وهذا هو المحكي عن سفيان الثوري وابن عيينة وابن ادهم والفضيل ابن عياض وداود
الطائي وسليمان الخواص ويوسف ابن اسباط وحذيفة وبشر الحافي واحمد ابن الحواري على
نص فيه تعجيز للحج ثلاثة **الحجة الاولى** بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام
حيث قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا فقيل
انما حصل ببركة العزلة **الحجة الثانية** قوله تعالى في قصة موسى وان لم تؤمنوا
لي فاعتزلون وقوله تعالى في قصة اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله وهذا كله في صريح المدح والثناء بالاعتزال **الحجة الثالثة** قوله صلى الله عليه
وآله وسلم لعقبة بن عامر الجهني وقد قال له ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك
وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له من افضل الناس قال مؤمن مجاهد
في سبيل الله بنفسه وماله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد
ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا انبئكم بخير الناس
فاشار بيده نحو المشرق وقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان
يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس واشار بيده نحو الحجاز رجل في غنيمة
له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس **الفريق
الثاني** وهم الذين ذهبوا الى اختيار الخلطة وفضلها واستكثار المعارف
بالاخوان والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في المهمات كما اشار اليه

بقوله تعالى

بقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى والى هذا ذهب سعيد ابن المسيب والشعبي
وابن ابي ليلى وهشام ابن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عيينة
وابن المبارك وعلى هذا رأي الشافعي واحمد ابن حنبل وجماعة واستدلوا على هذا بحجج ثلاث
الحجة الاولى قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وقوله تعالى والف بين قلوبهم فامتن
عليهم بالسبب المؤلف ونهاهم عن التفرق وفهم منه الاجتماع على الدين ونحوه **الحجة
الثانية** قوله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف
ولا يؤلف وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية وقوله صلى
الله عليه وآله وسلم من فارق الجماعة ولو قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
الحجة الثالثة قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لمؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلاث وقال
من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه قالوا فالعزلة هجر بالكلية فلا جرم
كان الافضل خلاف ذلك فهذا منتهى كلام الفريقين في بيان الافضلية في العزلة
والخلطة **الفريق الثالث** الذين ذهبوا الى التفصيل وحاصل ما قالوه ان الحكم
عليهما مطلقا بلا تفصيل خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص واحواله والى الخليط
وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته ويقاس الفائت بال
حاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل والى هذا يشير بعض الحكماء بكلامه
حيث قال الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء

التقوية فيكون بين المنقبض والمنبسط فبهذا يكون حال الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف
ذلك في الأحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل وهذا هو الحق المختار والملائق
بالنظر الصحيح فإن خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وهذا
الذي ذكرناه واخترناه هو رأي الشافعي وغيره من العلماء أعني التفصيل
الذي ذكرناه ونذكر على أثر هذا الفوائد والآفات التي تظهر من جهة العزلة والمخا
لطة والله الموفق للصواب **الباب الثاني** في ذكر فوائد العزلة
فهي منقسمة إلى فوائد دينية ودنيوية أما الدينية فهي التمكن من
الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكرة والخلاص من الرياء والغيبة
والنميمة التي تحصل بالمخالطة وأما الدنيوية فهي الانحراف عن النظر في زهرة
الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمعهم فيه والسلامة عن التأذي
بالخلق ومن وابل الدهر بالخلطة وجملة ما يرجع إليه من ذلك ستة فوائد **الفا
ئدة الأولى** الفراغ للعبادة والفكر والأنس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة
الخلق والاشتغال بالكشف عن أسرار الله تعالى في أمر الدين والدنيا والتفكر في ملكوت
السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة والعزلة وسيلة
إليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى
والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله وعاشوا بذكر الله
وماتوا بذكر الله والقدوة بسنة الله ولا شك أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الذكر
والفكر والعزلة أحق بهم وأولى **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة عن المعاصي

التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة وينجو منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والنميمة
والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الاسترسال في الأخلاق
الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا فإن الاحتراز عن تلك الأمور
مع المخالطة لا يكاد يسلم منها العبد بقصد ومع العزلة يمكن السلامة منها **الفا
ئدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض
فيها والتعرض لأخطارها وقل ما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات والمعتزل
عنهم في سلامة منهم وروي عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لما ذكر الفتن ووصفها فقال إذا رأيت الناس قد مرجت
عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقلت فما تأمرني يا رسول
الله قال الزم بيتك واملك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخا
صة ودع عنك أمر العامة **الفائدة الرابعة** البراءة عن شر الناس
فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات
والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب وربما يرقبون
منك الدخول فيها ويرون منك من الأعمال والأقوال ما لا تبلغه عقولهم
فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا
فضلت العزلة استغنيت عن جميع ذلك ولا شك أن كل من اختلط بالناس وشا
ركهم في أعمالهم لم ينفك من حاسد يشمت وعدو يكيده وفي العزلة السلامة
عن ذلك **الفائدة الخامسة** أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك
عنهم أما انقطاع طمع الناس فيك ففيه كل النفع فإن رضى الناس غاية لا تنال

فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى من الحقوق وإن سهلها كحضور الجنازة وعيادة
المريض وحضور الولائم والإملاكات وفيها تضييع الأوقات والتعرض للآفات ثم قد
تعوق عن بعضها العوائق وتستثقل المعاذير ولا يمكن إظهار كل الأعذار فيقولون
قمت في حق فلان وقصرت في حق فلان فيصير ذلك سبب العداوة وأما انقطاع
طمعك عنهم فهو أيضا **فائدة** جزيلة فإن كل من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها
تحركت حرصه وانبعثت طمعه ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأطماع فيتأذى
به ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولهذا قال تعالى
ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا **الفائدة
السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة أخلاقهم
فإن رؤية الثقيل هو العمى الأصغر للأعمش لم عمشت عينك قال من النظر إلى الثقلاء
ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه الله منهما
ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة والمطارحة بالمفاكهة
عوضني منهما أنه كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم وحكي عن الزبير أنه قال سمعت
رجلا يقول نظرت إلى الثقيل فغشي علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح
النظر إلى الثقلاء وقال الشافعي رضي الله عنه ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب
الذي يليه من بدني كأنه أثقل علي من الجانب الآخر فهذه فوائد العزلة **التنبيه
الثالث** في بيان آفات العزلة اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية
والأعمال الأخروية ما لا يستفاد إلا بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة
وكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواتها من آفات العزلة فانظر إلى
فوايد

فوايد المخالطة والدواعي إليها ونحن نوردها بعض الفوايد وجملتها ستة **الفائدة
الأولى** التعلم والتعليم وهما من أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة
على أن العلوم كثيرة وبعضها عنه مندوحة وبعضها ضروري والمحتاج إلى التعلم
لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم
ورأى الاشتغال بالعبادات فليعتزل فأما العزلة قبل التعلم ففيها غاية الخسران
لما فيها من الجهل صوابه التعليم وأما التعلم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم
والمتعلم وإن كانت القصد إنما هو إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع
فإنه هلاك الدين وبطال الآخرة **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع أما الانتفاع
بالناس فإنه يحصل بالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر
إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه وأما النفع فهو
أن ينفع الناس إما بماله وإما ببدنه فيقوم بحاجاتهم على جهة الاحتساب لله تعالى
ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة ومن قدر عليه مع
القيام بحدود الشرع فهو أفضل له من العزلة إذا كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل
الصلاة والأعمال البدنية لأن ذلك واجب على الكفاية أعني الاشتغال بما يحتاج
إليه المسلمون **الفائدة الثالثة** الأنس والاستيناس وهو غرض من يطلب الولائم
في العرسات وجميع الدعوات ومواضع المعاشرة والأنس يحصل في خلطة من

ينتفع به في الدين في أقواله وأفعاله كما لا يخفى بالعلماء وأهل الصلاح الملازمين للتقوى فإنه يحصل
به تحريك الداعي للنشاط في العبادة فإن القلوب إذا ما كدرت غيبة ومثلها كان في
الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب كان هو الأولى لأن الرفق في العبا
دة من عين العبادة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر
أحدكم من يخالل وليحرص أن يكون حديثه عند الملاقاة عن أحوال الدين لا غير
الفائدة الرابعة نيل الثواب وإنالته أما نيله فبحضور الجنائز وعيادة
المرضى وحضور العيدين وحضور الجمعة والجماعة في سائر الصلاة فلا رخصة
في تركها إلا لضرر فيه من قطع أو ريح أو غير ذلك وكذلك في حضور الدعوات والإملاكات
ثواب من جهة إدخال السرور على قلوب المؤمنين وأما إنالته فهو أن يفتح الباب
ليعوده الناس أو يزوروه في المصائب أو يهنئوه على النعم فإنهم ينالون بذلك
ثوابا فكذا إذا كان من العلماء وأذن لهم بالزيارة فإنهم ينالون ثواب الزيارة
بسببه لأنه بالتمكين صار سببا في ذلك فينبغي أن يوزن ثواب هذه المخالطات
بآفاتها التي ذكرناها فعند ذلك قد ترجح المخالطة وقد ترجح العزلة **الفا
ئدة الخامسة** التواضع فإنه أفضل المقامات لا يقدر عليه أهل الصلاح ولا يقدر عليه
مع الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فكم من متكبر في بيته والباعث
له على الاعتزال التكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر ولا يقدم أو يرى الترفع

عن مخالطتهم

عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة
من أن تظهر فضائحه لو خالطهم ولا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ
البيت سترا على قبائحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده عن غير
استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا
ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين وأهل الأمر إليهم
ويحبون اجتماعهم على أبوابهم **الفائدة السادسة**
فإنها لا تنفك عن المخالطة ولا تحصل إلا بها وهي مستفادة منها في مصالح الخلق
وجاري مخالطتهم ولأن المخالطة والمجالسة أصلان في تفهيم مصالح الدين والدنيا
فإنه لا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب والصبي إذا اعتزل بقي غمرا
جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج
إليه من التجارب ويكفيه ذلك وتحصل بقية التجارب بسماع الأحوال فلا يحتاج
إلى المخالطة إلا في أول الأمر ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه و
صفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فهذه فوائد العزلة وآفاتها
قد ذكرناها في صورة الفوائد وقد ذكرنا فيما سبق أن الطريق الأسد والمسلك
الأرشد هو الطريق الوسطى باتباع المصالح والمفاسد في العزلة والمخالطة فكل

ما كان مقترنا بالاثم تقاعد سالما عن جميع الشوايب فهو احق واولى والله اعلم بالصواب
ولنختم هذه المقالة بذكر جمل من آداب المجالسة والمعاشرة
مع اصناف الخلق ملتقطا من كلام الحكماء اذا اردت حسن المعيشة فالق صديقك
وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة ~~لهم وكن في جميع امورك في اوسطها ولا تنظر في~~
~~عطفيك~~ لهم ولا هيبة من جهتهم وتوقر من غير تكبر وتواضع من غير مذلة وكن في
جميع امورك في اوسطها ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعة
واذا جلست فلا تستوفز وتمكن في جلوسك وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك
وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك
وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة
وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن
ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسئله اعادته واسكت عن المضاحك
والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا بشعرك وتصنيفك
وسائر ما يحصل من جهتك ولا تتزين تزين المرأة ولا تتبذل تبذل العبد
وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على
ظلم ولا تعلم ولدك ولا اهلك فضلا على غيرهم مقدار مالك فاجعلهم من غير عنف
ولين من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت

فتوقر

٢٠٩

فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات
الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا سكن غضبك فتكلم وان قربت من السلطان
فاحذر منه وكن منه على احذر السنان وان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه
عليك وان قربك فترفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تد
خل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة
الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية
فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية
بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التوا
ضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق وان جلست
فادب ادابها من غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف واغاثة المظلوم وارشاد
الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واياك ومجالسة الملوك
فان فعلت ذلك واضطررت اليه فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر
وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاقلال في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة الملا
عبة وكثرة الحذر منهم وان اظهروا المودة ولا تجشأ بحضرتهم ولا تخلل بعد الاكل عندهم
وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس
العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم

والتغافل عن ما يجري من سوء ألفاظهم وقلة المبالاة لمنفعة الحاجة البين وإياك أن تمازح
لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك ويسقط المنزلة
عند الحليم ويمقته الصالحون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث
الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وتكثر العيوب وتظهر الذنوب وقد قيل
إن المزاح لا يكون إلا من سخيف أو بطر ومن بلي في مجلس بمزاح يكثر فيه اللغط فليذكر الله
عز وجل قال صلى الله عليه وآله وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم
من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر
الله له ما كان في مجلسه ذلك وقد فرغنا عما أردنا من باب العزلة واشتماله على ما
أودعناه فيه وبالله التوفيق **المقالة السابعة في الغرور في علوم**
الكتاب اعلم أن مفتاح السعادة الأخروية هو التيقظ والفطنة
ومنبع الشقاوة الأخروية هو الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده
أعظم من الإيمان والمعرفة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدور بنور البصيرة
ولا نقمة على القلب أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة
الجهالة ولا باعث لهما إلا غلبة الهوى واستحكام الضلالة فالأكياس وأرباب
البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها
كوكب دري يتوقد في الليل والصباح والمغترون الغافلون قلوبهم كظلمات

في بحر

في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
وأهل الوفاق هم الذين أراد الله أن يشرح صدورهم للإسلام والهدى والمغترون
هم الذين أراد الله أن يضلهم يجعل صدورهم ضيقة كأنما تصعد في السماء وأهل
الضلالة هم الذين لم تنفتح بصائرهم فيكونون بهداية أنفسهم مرتبين واستهواهم
الشيطان فأصبحوا في بادية الجهالة والغي مترددين فإذا تمهدت هذه القاعدة
فاعلم أن الغرور هو سكون النفس إلى ما يكون موافقا للهوى ويميل إليه الطبع
من شبهة وشبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير في العاجل أو في
الآجل من شبهة فاسدة فهو مغرور لا محالة وأكثر الناس يظنون بأنفسهم
خيرا وهم مخطئون فلنذكر ذم الغرور ثم نرجع إلى أصناف الغرور فهذان
تقريران نفصلهما بعون الله تعالى **التقرير الأول** في بيان ذم الغرور
قال الله تعالى ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى ولكنكم
فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله
الغرور وقال صلى الله عليه وآله وسلم حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون
سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء
الأرض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم
وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع

الجاهل وأشد الغرور غرور ان غرور الكفار فهم الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم
بالله الغرور وغرور العصاة الفساق من أهل الإسلام **فأما** الكفار فالغرور
من وجهين هو انهم جحدوا النبوة والرسالة وأنكروا الأمور الآخروية كما
حكى الله تعالى عنهم بقوله وما أظن الساعة قائمة وكما حكى عن عبد الله ابن أمية
وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب إلى آخر الآيات وكما روي عن
خباب ابن الأرت انه قال كان لي على العاص ابن وائل السهمي دين فجئت أتقاضاه
فلم يقضه فقلت إني آخذه في الآخرة فقال إذا صرت إلى الآخرة فإن لي
هنالك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال
لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب وقال تعالى فيه ولئن أذقناه رحمة منا من
بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة وتارة يغترون
بتأخير العذاب كما قال تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير وتارة ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر
فيزدرون بهم ويستخفون بهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا و
يقولون لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك
قديم الى غير ذلك من الغرورات الكاذبة والأماني الباطلة التي فيضوا بها
وغرتهم الأماني فيها **فأما العصاة** الفساق من أهل القبلة

فغايته

فغايته غرورهم أنهم قالوا ان الله كريم وإنا نرجوا عفوه وكرمه واتكلوا
على ذلك وأهملوا الأعمال الصالحة التي يرجى بها العفو عند الله تعالى ويعتقدون ذلك
بتسميته تمنيهم واغترارهم رجاء ويظنون ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة
الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار
رحمته الواسعة وانهم موحدون مؤمنون فيرجونه بوسيلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والايمان وربما كان منشأ رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو مرتبتهم
كاعتقاد العلوية بنسبهم ومخالفتهم لطريق سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع
وظنوا انهم أكرم على الله من آبائهم لأن آباءهم كانوا في غاية الورع والتقوى وكانوا خائفين
وهم في غاية الفجور والفسق والظلم والجور آمنون فهذا هو نهاية الغرور
بالله تعالى وما جرى وان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي وان نوحا لم ينفع
ولده وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينفع والديه حيث استأذن في الزيارة لقبرها
والاستغفار لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار وقيل للحسن البصري
قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون
فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وعن بعض أهل الصلاح انه كان يتهجد
البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجو الله فقال هيهات هيهات
من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه فهذا غرور الفريقين **التقرير**
الثاني في بيان المغترين وتقسيم فرقهم فاعلم ان المغترين فرق

كبيرة فجعلهم في مراتب أربع المرتبة الأولى المحجوبون بالعلم والمشغولون
به وأهل الغرور منهم أصناف عشرة الصنف الأول الذين أحكموا الأمور الشر
عية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن
المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بها لقدرة من العلوم وظنوا أنهم عند الله بمكان
وأنهم بلغوا مبلغا لا يعذب بهم وأنهم لا يطالبون بذنب ويشفعون في الخلق يوم القيامة
فهذا وما شاكله غرور كاذب وأماني باطلة الصنف الثاني
الذين أحكموا العلم والعمل وواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم
لم يتفقدوا قلوبهم عن الصفات المذمومة المهلكة من الحسد والرياء وطلب الرياسة
والعلو وإرادة السوء بالأقران وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لا
يعرف بعضهم أن ذلك مذموم مهلك فهو مكب على ذلك غير محترز منه ولا يلتفت
إلى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء الشرك الخفي وقوله صلى الله عليه وسلم لا يد
خل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر إلى غير ذلك من الوعيد على هذه الصفات
المذمومة فهذا مغرور في غاية الاغترار في ما ذكرناه ووصفته الصنف
الثالث تفقدوا هذه الأخلاق الباطنة وعلموا أنها مذمومة من جهة
الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم ظنوا أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع قدرا
من أن يبتليهم بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ثم
إذا ظهر عليه أحدهم مخايل الكبر والرياء وطلب العلو والشرف قال

ما هذا

ما هذا بكبر وإنما هذا طلب العز للدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام
أنف المخالفين من أهل البدع فهذا مغرور الصنف الرابع أحكموا العلوم و
طهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس
وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري
منها وقلعوها من القلوب وأن الواقعات منابتها الجلية الواضحة ولكنهم معدودون
من جملة المغترين حيث بقيت منها بقايا في زوايا القلوب هي من خفايا الشيطان ومكا
يد النفس والهوى وربما غمض مدركها فلم يفطنوا لها ومثاله من يريد تطييب
الأرض عن ما يفسد نبات الحشيش فربما اجتهد في قلع الظاهر ويبقى بقايا كامنة
تحت الأرض ربما ظهرت فأفسدت الزرع فإن لم يستأصلها بالبحث عن أغوارها فأبطل
الزرع وهذا الصنف والذي قبله كثير الوجود لحظ البلوى بهما لا يكاد ينجو
منهما إلا من وفقه الله الصنف الخامس الذين اقتصروا على علم
الفتاوى في الحكومات وتفصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح
المعايش وخصصوه باسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا
الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن
الغيبة والبطن عن أكل الحرام والبعد من المشي إلى السلاطين وأرباب الظلم والجور
ولا حرسوا قلوبهم عن الرياء والحسد والكبر وسائر المهلكات فهذا لا محالة مغرور
هالك الصنف السادس هم الذين اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة

في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة
واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة أولئك وإفحامهم وزعموا أنه لا يكون لعبد
إيمان بالله إلا بأن يتعلم جدلهم واعتقدوا أنه لا أحد أعرف بالله تعالى وبصفاته
منهم وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم الكلامية وعباراتهم الجدلية وظنوا
أنهم فازوا بالعلم النافع فما هذا حاله غرور أيضا فإن القرون الأول من الصحابة
بلى أيضا رضي الله عنهم كانوا من أعظم الخلق إيمانا وأصدقهم عقيدة فلم يلتفتوا إلى
ذلك وأعرضوا عنه **الصنف السابع** جعلوا شغلهم الوعظ وأعلاهم
حالة من يتكلم في أخلاق النفوس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر وا
لشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون
من جهة أنهم إذا تكلموا على هذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين
بها وهم منسلخون عنها وهم في غاية البعد عنها إلا قدرا يسيرا لا ينفك عوام المسلمين
منها فهذا غاية الغرور بما ذكرناه **الصنف الثاني** الذين تيقظوا
بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها
ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فيفعل ذلك بعضهم على المنابر وبعضهم
في المحاريب وبعضهم في الأسواق وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن أهل
السوق والجند والديوان فقد فاز بالخلاص وأنه صار مغفورا له وآمن
من عقاب الله وهذا غرور أيضا فإن حفظ كلام الزهاد وإعادته من غاية

قلبه لا يكفيه

٢١٣

قلبه لا يكفيه ولا يكون منتفعا إلا بالعمل فقد صار في غرور ونجا ب**الصنف**
التاسع الذين استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني سماعه وجمع الروايات
الكثيرة وطلب الأسانيد العالية الغريبة فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى
الشيوخ ويقول أنا أروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الأسانيد الغريبة
ما ليس مع أحد من الخلق فهؤلاء في غاية الغرور أيضا فإنه ليس مقصود شيء من مقالة
السنة فهمهم قاصر ليس مقصودهم إلا النقل ويظنون أنه يكفيهم والأمر على خلاف ذلك
الصنف الثامن قوم اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب
اللغة واغتروا به وزعموا أنه قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة لأن قوام
الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب إنما هو بعلم النحو واللغة فأفنى هؤلاء
أعمارهم في دقائق النحو واللغة وفي صناعة الشعر وهذا غرور أيضا فإنه يكفي
في علم الكتاب والسنة ما يمكن قوام الإعراب به والوصول إلى معانيهما وما
عدا ذلك فضلة لا حاجة إليه فهذا ما أردنا ذكره من تعديد الفرق المغترين
بما ذكرناه **المنهج الثاني** السالكون مسلك العبادة
والعمل ثم إن المغرورين منهم أصناف عشرة **الصنف الأول** أهملوا علم
الفرائض واشتغلوا بالفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي تغلب
عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى
ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة فما هذا حاله غرور وربما

أشتغل بتطهير الأعضاء حتى فات الوقت ومع ذلك فإنه ربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط منه إلى الأقطام لكان أحسن وأولى له. **الصنف الثاني** الذي غلبت عليهم الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعهم الشيطان حتى يعقدوا نية صحيحة بل يشوش عليهم حتى تفوتهم الجماعة وتخرج الصلاة عن الوقت وإن تمم التكبيرة كان في قلبه تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبيرة حتى يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في أثناء الصلاة عن الخشوع وإحضار القلب في العبادة فهذا غرور هؤلاء وهو واقع كما ترى. **الصنف الثالث** الذي غلبت عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال أحدهم يحتاط في التشديد والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه غافل عن جميع معاني القرآن فهذا غرور هؤلاء وهو من أقبح الغرور. **الصنف الرابع** الذي اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذًّا وربما يختمون في اليوم والليلة مرة وربما يزيد أحدهم على ذلك فألسنتهم تجري به وقلوبهم تتردد في أودية الأماني وأعمال الدنيا ولا يتفكرون في معاني القرآن ولا ينزجرون بزواجره ولا يقفون عند أوامره ونواهيه ولا يتعظون بمواعظه فهؤلاء ظنوا أن المقصود هو الهمهمة والهذرمة فيه بالغفلة وهذا هو غاية الغرور. **الصنف الخامس** الذي اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر كله أو صاموا الأيام الشريفة

وهم في ذلك

وهم في ذلك لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة والنميمة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم من أكل الحرام عند الإفطار وألسنتهم من الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وكل منهم يظن بنفسه الخير ويهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وهذا نهاية الغرور. **الصنف السادس** الذي اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج من المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ولا يحترزون عن الرفث والخصام في الطريق وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على رفقته في الطريق وهذا يطلب بذلك الرياء والسمعة فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولا وبإنفاقه بالرياء ثانيا وهو مع ذلك يظن أنه على خير وهو مغرور. **الصنف السابع** الذي تصدوا وأخذوا أنفسهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم وينسى نفسه فإذا أمرهم بالخير أعنف عليهم وطلب الرياسة والعز وإذا باشر أمرا منكرا فرد عليه غضب وقال أنا محتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس في مسجده ومن تأخر عنه غلظ عليه القول وإنما غرضه الرياء والسمعة والرياسة فهذا قد جمع الغرور كما ترى. **الصنف الثامن** أقوام جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظواهرهم وبواطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول أهل بلادهم إن فلانا مجاور بمكة والمدينة وأحدهم يتمدح ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا

سنة ويجب ان تعرف قلة الناس بذلك فهذا انه يجاوره ويمد عين الطمع الى اوساخ اموال الناس فان اجتمع منها شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر منه الرياء والبخل والطمع وجملة من الخصال المهلكة

الصنف السابع اقوام زهدوا في المال وقنعوا من اللباس والطعام بالدون ومن المساكن بالمساجد وظنوا انهم قد ادركوا رتبة الزهاد وهم مع ذلك في غاية الرغبة في الرياسة والجاه اما بالعلم واما بالوعظ واما بمجرد الزهد فقد تركوا اهون الامرين ونحو اللباس والمطعم وتلبثوا باعظم المهلكين حب الرياسة وحب الجاه فهولاء مغرورون لانهم ظنوا انهم من الزهاد وهم ابعد ما يكون من طريقهم

الصنف الثامن قوم حرصوا على النوافل ولم يعظم عندهم الاعتداد بالفرايض فترى احدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة لها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم بل ويله عزمة لما تقدا خالد محمد في المغرورين فرهنه مجامع الغرور لهذه الفرق قد عرفتها والآن الله في الدين من عرفها وبعد عنها بتوفيق الله تعالى

المرتبة الثالثة اهل التصوف وهم اصناف في الغرور ونذكر منها عشرة

الصنف الاول متصوفة اهل زماننا هذا فانهم اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فتشبهوا بالصادقين من الصوفية كالجنيد والشبلي وابي يزيد البسطامي وغيرهم في الزي والهيئة وفاقوهم في الخوف والخشية والصدق في تلبس لهولاء حقايق التصوف

الا لبس

الا لبس المرقعات وتنقش الصفداية واهملوا انفسهم عن الخوف والمجاهدة

الصنف الثاني الذين ازدادوا غلوا هولاء في الغرور لانه شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادوا ان يتظاهروا باسم التصوف ولم يجدوا ابدا من التزين بزيهم فتركوا لبس الحرير والخز والابريسم وطلبوا المرقعات الفاخرة والفوط الرقيقة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قدرا من الحرير وظنوا انهم متصوفة وهم مغرورون

الصنف الثالث ادعوا علوم المكاشفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال ولا يعرفون هذه الامور الا بالاسامي المجردة العبارات ولا يتصفون بشيء من معانيها بل قد تلقفوا من كلمات الصوفية كلمات وهم يرددونها ويظنون ان ذلك اعلا من علم الاولين والاخرين فهم ينظرون الى الفقهاء والمفسرين واهل الحديث وجميع اصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان اهل الحرف والصناعات يلازمونهم ويحفظون منهم كلمات مزوقة وليس مقصدهم سواها فهم مغرورون

الصنف الرابع وقعوا في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام وزعم هولاء ان الله غني عن العلم والعمل فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول لم يكلف الله تعالى الا تطهير القلوب لا غير عن الشهوات وعن حب الدنيا من غير حاجة الى هذه التكاليف الظاهرة وانما المقصود عمل القلوب بان تكون والهة الى الله فهذا غرور كاذب

الصنف الخامس الذين احكموا الاعمال الظاهرة وطلبوا الحلال واشتغلوا بتفقد

القلب وصاروا يدعون المقامات العظيمة من الزهد والتوكل والرضا والحب لله من غير وقوف
على هذه المقامات وشروطها وعلاماتها لكنه ربما تخيل في نفسه خيالات بديعية
مغربة فيدعي معرفة الله وهو جاهل ويدعي الإخلاص وهو في غاية البعد منه الصنف
السادس الذين ضيقوا على أنفسهم أمر القلوب حتى طلبوا الحلال الخالص وأهملوا
تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة ولم يدروا أنه كما هو طالب للحلال فهو
طالب للإحراز عن هذه الخصال والحصول على الطاعات واجتناب المعاصي وأن طلب
الحلال غير كاف فاعتقاده أنه كاف غرور لا محالة الصنف السابع
الذين اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس عن شوائب العيوب
وصاروا يتعمقون فيها ويشغلون أعمارهم في البراءة عن العيوب فهم في جميع أحوالهم
مشغولون بالفحص عن عيوب النفس ومعرضون عن المقصود ومثالهم كمن اشتغل بالبحث
عن عوائق الحج ولم يسلك طريق الحج فهؤلاء مغرورون أيضا الصنف الثامن
الذين ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة أهل التصوف فجمعوا
أقواما وتكلفوا خدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرئاسة وجمع الأموال وإنما
غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفقها عليهم
وبعضهم يأخذ الأموال لينفقها في طريق الحج ويزعم أن غرضه البر وإنما غرضه
الرياء والسمعة وعلامة ذلك أنهم يهملون أوامر الله ظاهرا وباطنا فهؤلاء أيضا
من الغرور الصنف التاسع الذين انفتحت لهم الأبواب الأفقية
من الله تعالى لكنهم نظروا إلى نفوسهم وقصروا من الوصول إلى المقصود فصاروا فيها
فمثلهم

فمثلهم بمنزلة من قصد ملكا من الملوك يريد مشاهدته وخدمته فصادف على بابه روضة
معجبة فأعجبته فقعد فيها واشتغل عن مشاهدة الملك وخدمته فهؤلاء غافلون كما ذكرناه
الصنف التاسع الذين جدوا واجتهدوا وعلا إرادة الوصول إلى
طاعة الله والفوز بقربه فأفيضت عليهم أنوار الهداية فظنوا لما أفيض عليهم من
تلك الأنوار أنهم وصلوا ولم يصلوا فاغتروا بالوصول ولم يحصل لهم الوصول فهذا
غرور لكنه غرور ليس فيه خطر لأنهم التمام فقصروا عن بلوغ الغاية فهذا إنما
أردنا ذكره عن ذكر المتصوفة المرتبة الرابعة في بيان غرور
أهل الأموال والمغترون منهم ستة أصناف الصنف الأول الحريصون
على بناء المساجد والرباطات والمدارس والقناطر وإصلاح الطرقات
وما يظهر للناس كافة من المنازل وحفر الآبار ويطلبون بذلك الشهرة والرياء والسمعة
وما قصدهم بذلك وجه الله وعلامة ذلك أنهم لو أنفق أحدهم درهما في خفية ما
رضي بذلك فهم مغرورون من وجهين أحدهما أنهم إنما يبنونها من الأموال المكتسبة
من الربا والمظالم وأنواع الحرام وثانيهما طلبهم الرياء في كل ما فعلوا الصنف
الثاني الذين اكتسبوا المال من وجوه الحلال وأنواع التجارات لكنهم مغرورون
من وجهين أحدهما أنه ربما كان في جواره وفي بلده ناس من الفقراء فلا يصرف
إليهم درهما واحدا مع الحاجة العظيمة وإنما يصرفها في المساجد وثانيهما
أنه يصرف ذلك إلى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش الذهبية وال
فضية وهو منهي عن ذلك وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة أعينهم عن

الخشوع في الصلاة وحضور القلب **الصنف الثالث** الذين ينفقون الاموال
النفيسة في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون بذلك المحافل والجامع من أجل
الشكر وإشاعة الذكر ويخصون بذلك من كان من الفقراء عادته التشكر والإفشاء
بذكر المعروف ومن كان منهم خامل الذكر فإنهم لا يتصدقون عليه فهذا غرور عظيم الخطر
قل من يسلم منه من أهل الاموال **الصنف الرابع** الذين يحفظون الاموال
ويمسكونها بحكم البخل بها ثم إنهم يشتغلون بالعبادة البدنية التي لا يحتاج
فيها إلى نفقة كقيام الليل وصيام النهار وختم القرآن وقراءته ثم إنهم مع ذلك
مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى عليهم في بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج
المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها وعليه خطر عظيم في إبقائها هو غافل
عنه فهذا غرور **الصنف الخامس** الذي غلبت عليهم البخل فلا تسمح
نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجونها من المال الخبيث والجنس
الرديء الذي يرغبون عنه ولا يحبونه ومع ذلك أيضا يطلبون من الفقراء من يخدمهم
ويتردد في حاجاتهم ومن يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمتهم فما هذا
حاله يكون فيه غرور ونقص من أجورهم وإنهم لم يقصدوا بالله تعالى ولم يخلصوا لوجهه
الكريم **الصنف السادس** الذي اغتروا من الاغنياء بحضور مجالس
الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد
السماع للوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا عظيما وهم مغرورون لأن فضل
مجلس الذكر إنما يكون تحصيلا للخير إذا كان مرغبا في الخير فإذا لم يكن مهيجا للرغبة

فلا خير فيه

فلا خير فيه وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور مجالس الذكر وفضل البكاء وربما
يدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق
بيديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وسبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير وهو مغرور
بما ذكرناه **فهذه جميع أصناف الفرق** المغترة بما هم عليها على
التفصيل الذي أشرنا إليه **سؤال** ما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص أحد
منه ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس من خلاصه ولا يتخلص أحد من هذه
الآفات **وجوابه** السلامة سهلة على من وفقه الله للخير وتلطف به بالألطاف
الخفية فإنه أمر سهل لا محالة ثم إن طريق النجاة يحصل بأمور ثلاثة **أولها**
العقل فإنه يميز به بين الحسن والقبيح ويستعمله فإنه هو النور الأصلي ولقد كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا وصف له رجل بالعبادة وأثنى عليه بضروب من الثناء
لا يسأل إلا عن عقله فإن الأحمق يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر وإنما تقرب الناس
على قدر عقولهم **وثانيها** العلم ونعني به أن يكون عالما بالله وعالما بنفسه وعالما
بحال الدنيا وبحال الآخرة فإذا أدرك هذه الأمور كلها كان ذلك تنبيها إلى
النجاة **وثالثها** العمل ونعني بذلك أن يجتهد في فعل ما يقرب به إلى الله تعالى وما
يقربه إلى الجنة وما يبعده من النار وجميع ذلك قد شرحناه في المهلكات والمنجيات

المقالة الثامنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من علوم المكاشفة **اعلم** أنهما قطبان من أقطاب الدين وهما المهمان اللذان
بعث الله بهما جميع النبيين ولو طوي بساطهما وأهمل علمهما لتعطلت

النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى
الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وكان الذي خشينا ان يكون فانا لله وانا اليه
راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه
واستولت على القلوب مداهنة الخلق وبطلت عنها مراقبة الخالق واسترسل
الناس في اتباع الشهوات والهوى في مواقعة الشبهات وعز على بسيط الارض مؤمن
صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وانسداد هذه
الفترة مجددا لهذه السنة الداثرة محييا بسيفه ولسانه هذه الآثار الغابرة
ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين سائر الخلق بإحياء سنة
أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بإحياء قربة تتضاءل درجات القرب دون
ذروتها وكان عند ربه بالحظ الأكبر وظفر من جنابه بالنصيب الأجزل الأوفر ونحن الآن
نشير إلى ما يجب أن نذكره من حالهما على جهة الإيجاز لأن كتابنا هذا لا يتسع
للإكثار فما لا بد من ذلك في مطالب اثني عشر **المطلب الاول** في بيان و
جوبهما والاشارة إلى فضلهما ويدل على ذلك بعد انعقاد الاجماع عليه الآيات
والأخبار والآثار وفيه ثلاث جهات **الجهة الاولى** الآيات كقوله
تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني
إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد لأنه

على استحقاقهم

على استحقاقهم لما قالوه من اللعنة بتركهم لإنكار المنكر ~~وفي جملة على فضيلة الامر~~
~~بالمعروف~~ وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وفي هذا دلالة على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بين أنهم إنما كانوا خير
أمة من أجل ذلك وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين أنهم إنما استفادوا النجاة من أجل نهيهم
عن السوء وقال تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين وا
لمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وقال
تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض فهذه
الآيات كلها دالة على الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الأ
خبار فكثيرة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما من قوم يعملون بالمعاصي الا وشك
أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
أنه قال لأبي ثعلبة الخشني يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم [illegible] للمتمسك
فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم
لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا وقال الرسول صلى الله عليه وسلم

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا
يستجاب لهم ومضاه تسقط صحابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله
عليه وآله وسلم يا أيها الناس إن الله تعالى يقول تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ما أعمال البر والجهاد في سبيل الله إلا كنفثة من بحر لجي وما جميع أعمال البر وا
لجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة من بحر لجي وقال صلى الله
عليه وآله وسلم إن الله يسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله
العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وآله وسلم إياكم والجلوس
على الطرقات قالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا
الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وآله وسلم كلام العبد كله عليه لا له إلا أمر بمعروف أو
نهيا عن منكر أو ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب
العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه وروي
وأبو أمامة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال كيف بكم إذا طغى نساؤكم و
فسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف
أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا أوكائن ذلك يا رسول الله قال
نعم والذي نفسي بيده وأشد منه قالوا وما أشد منه قال كيف أنتم إذا رأيتم

المعروف منكرا

المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا أوكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده وأشد منه قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف بكم إذا أمرتم
بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا أوكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده وأشد منه سيكون يقول الله بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم
فيها حيران وقال أبو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم
على الله تعالى قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله
فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه أي لا يكتب عليه سيئة بعد ذلك وإن عاش
ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل شهداء أمتي
رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك
فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس
القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال أبو ذر الغفاري
قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين قال الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم نعم يا أبا بكر إن لله تبارك وتعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء
مرزوقون يمشون على الأرض يباهي الله بهم الملائكة وتزين لهم الجنة كما
تزينت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر ومن هم قال هم الآمرون با
لمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله والذي نفسي بيده إن
العبد منهم ليكون في غرفة فوق الغرف فوق غرف الشهداء للغرفة منها
ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم

ليرتقي تلمآية ألف حوراء قاصرات الطرف في عين كلما التفت الواحدة منهن نظر
إليها فتقول له أتذكر يوم كذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الواحدة
ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى عن منكر **وأما الآثار** فقد
قال أبو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا
ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا
تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الأحياء فقال هو الذي لا ينكر
المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من أحبار بني إسرائيل
يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما
غمز بعض النساء فقال مهلا مهلا يا بني فسقط من سريره فانقطع نخاعه وسقطت
امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله إلى نبيهم أن أخبر فلانا الحبر أني
لا أخرج من صلبك صديقا أبدا ما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلا مهلا يا بني وقال
حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم
وينهاهم وأوحى الله إلى يوشع بن نون أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين
ألفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبي
وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها
فإذا أعلنت فلم تغير أضرت بالعامة وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني
كيف منزلتك في قومك قال حسنة قال كعب الأحبار إن التوراة لتقول غير ذلك قال
ما تقول قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند
قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

كرم الله وجهه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم
ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله
معناه أنه يحتاج الصبر على المكروه ولذا نجا الفضيل بما أجاب وقيل للفضيل إلا تأمر
وتنهى فقال إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا وقيل
للثوري ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال إذا انفتق البحر فمن يقدر أن
يسكنه **المطلب الثاني** في بيان درجاتهما في الأمر والنهي بيمينها
وجملتها درجات ثمان **الدرجة الأولى** منها التعرف ونعني
به طلب المعرفة لجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس وهو منهي عنه
فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليستمع صوت المزامير ونغم الأوتار
والغناء بها والسرائر ولا أن يتنسم ليدرك رائحة الخمر من دار جاره ولا من غيرها
ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار والعود ولا أن يستخبر جاره ليخبره
بما يجري في دور الجيران نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا
يشرب الخمر في داره أو في داره خمر معدة للشرب فله عند ذلك أن يدخل داره
من غير استئذان ولا يلزمه ذلك الاستئذان ويجوز له تخطي ملكه بالدخول للتوصل
إلى دفع المنكر مثل كسره بالضرب والمنع منهما احتيج إلا ذلك وإن أخبره عدل
واحد ففي جواز الهجوم على داره بقوله نظر واحتمال والأولى أن يمتنع من ذلك لأن
لداره حرمة فلا يدخل داره بغير إذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت له حقه
إلا بشاهدين فهذا أحق ما يجعل معيارا في ذلك ولقد كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت

أحسن من ذا على ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فإن المنكر قد يقدم
عليه المقدم لجهله فإذا عرف وجب عليه تركه كالسوادي فإنه يصلي ولا يحسن الر
كوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله لأن هذه ليست بصلاة فلو رضي فإنه لا يكون مصليا
لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف لأن في ضمن التعريف نسبة
إلى الحمق والجهل والتجهيل إيذاء وقل ما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا
سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل
ويجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة أن تنكشف له عورة جهله والطباع أحرص
على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبيح في صورة النفس
وسواد في وجهها وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس
أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ
والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو في حق من أصر
عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب وعلى الظلم أو على اغتياب المسلمين
أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه الأخبار الواردة
في الوعيد عليها ويحكى له سيرة السلف وعادة الأبرار المتقين وكل ذلك بشفقة
ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية
مصيبة على نفسه لأن المسلمين كنفس واحدة ثم ههنا آفة عظيمة على المنكر
وهو أن لا يعجب بنفسه فيقصد بالوعظ عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ولا
حتى يقصد وجه الله تعالى بالوعظ والتذكير وليحمد الله تعالى على ما رزقه من عصمته
المعصية **الدرجة الرابعة** السب والتعنيف بالقول الغليظ
الخشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الإصرار والاستهزاء

بالوعظ

بالوعظ والنصح ولسنا نعني الكلام الفاحش ولا التعبير بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته
بل يخاطبه بما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله تعالى
ويقول يا جاهل يا غبي وما يجري هذا المجرى فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه
وجهله لما عصى الله بل كل من ليس كيسا فهو أحمق فالكيس من شهد له الرسول بالكياسة
حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى
على الله **الدرجة الخامسة** التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي وإراقة
الخمر وإزالة الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس
على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة وكإخراجه من المسجد إذا كان جنبا
فأما معاصي القلب واللسان فلا يجب تغييرها بالمباشرة للتغيير لهما لأن ذلك
غير ممكن ولا ينبغي أن يأخذ برأسه ولا برجله عند إخراجه من المسجد ولا
يأخذ بلحيته فإنه لا حاجة الأمثل عند الأمر لأن التغيير حاصل بدون ذلك
الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقولك دع عنك هذا وإلا
كسرت رأسك وإلا ضربت عنقك وذلك ينبغي أن يكون مقدما على الضرب ولا يجوز
أن يتهدده إلا بما يقدر أنه يفعله ويمكن تحقيقه لأن الضرب باليد وكسر
الرأس يجوز فعلهما في إزالة المنكرات ولا يجوز أن يتهدده بوعيد لا يجوز تحقيقه كأن
يقول له لأنهبن دارك ولأقتلن ولدك أو لأسبين امرأتك فإن ما هذا حاله
إن قاله عن غير عزم فهو كذب وإن قاله عن عزم فهو حرام نعم إذا تعرض من الوعيد
بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم تقتضيه الحال وله أن يزيد
في الوعيد على ما هو عزمه في الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب

المذورة بل المبالغة في ذلك مقتصاة

الدرجة السابعة

مباشرة الضرب باليد والرجل مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف والقاضي قد يحتاج الى الارهاق بالحبس على من يثبت عليه الحق فإن أصر المحبوس وعلم الحاكم قدرته على أداء الحق وكونه معاندا على أدائه فله أن يلزمه الأداء بالضرب على قدر ما يراه صوابا فإن احتاج المنكر الى شهر السلاح وكان يعلم ان شهر السلاح يكفه عن ذلك فله ان يكفه وإن احتاج الى الجرح بالسلاح فلا بأس ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق على امرأة وكان بينه وبين المنكر نهر حائل أو مكان مرتفع فله ان يوتر قوسه ويقول له خل عنها أو لأرمينك فإن لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي له ان لا يقصد المقتل بل يرمي الساق والفخذ وما أشبه ذلك وكذا إذا سل في وجهه السيف ويقول اترك هذا المنكر وإلا ضربت رأسك فكل ذلك عناية وتدخل الى دفع المنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بحق الله تعالى كشرب المسكر وبين ما يتعلق بحق الآدميين نحو القتل والزنا وسائر المنكرات

الدرجة الثامنة

ان لا يقدر على دفع المنكر بنفسه ويحتاج الى الاعوان يشهرون السلاح ويأخذون أهبة القتال وربما يستمد الفاسق بأعوانه ويؤدي ذلك الى أن يتقابل الصفان ويتقاتلان فهل يكون ذلك الا للامام أو يكون للآحاد الناس هذا مما وقع فيه تردد فقال قائلون لا يستقل به آحاد الناس لأنه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وهذا هو رأي الأئمة الزيدية والمعتزلة وقال آخرون يجوز ذلك للآحاد الرعية لأنه اذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تفصل الأدلة بين منكر ومنكر والمختار هو الأول لأن آحاد الرعية لا يملكون ذلك وإنما أمره الى الامام لأن ولايته عامة وليس على يديه الأيدي وهو متأهل بالقوة للحرب والقتال وإهراق الدماء فأما آحاد الرعية فهم يضعفون

يضعفون عن ذلك وربما وقع الاستنكاف لآحاد الرعية على الاقتصار بقبض يؤدي الى ثوران الفتنة واتصال القتال من غير حاجة ويحكى عن الشيخ أبي حامد الغزالي جواز ذلك لآحاد الرعية حتى قال يجوز الكف عن المنكر بالقتل والقتال للآحاد والغزالي مما اخترناه آنفا منهما أما ما أردنا ذكره في تدرج درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كيفيته تفاصيله والله أعلم

المطلب الثالث في بيان المنكرات المألوفة في العادات

واعلم أن تعديد الأجمل منها ما يشتد كدرها على غيرها إذ لا مطمع في حصرها وضبطها وإنما ذكرنا هنا لأنها تعرض كثيرا ونورد في ذلك مقامات بعدة

المقام الأول في منكرات المساجد

اعلم أن المنكرات منقسمة الى مكروه ومحظور فإذا قلنا منكر مكروه فالمراد به أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس حراما وإذا قلنا منكر محظور وقلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور المحرم الذي لا يجوز السكوت عليه مع القدرة ويشتمل على صور سبع

الصورة الأولى ترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة فيجب النهي عنه على رأي الزيدية والشافعية فأما الحنفية فذلك مذهبه فلا ينكر عليه ومن رأى رجلا يسيء صلاته فسكت فهو شريك له في الاثم

الصورة الثانية قراءة اللحن في القرآن يجب النهي عنها ويجب تلقين الصحيح وان كان المعتكف في المساجد يضيع أكثر أوقاته ويشتغل في المباحات وجب الانكار عليه إذا كان الاعتكاف واجبا والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم أمر به فإنه عاص بتركه وإن كان لا يطاوعه لسانه فإن كان أكثر قراءته لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وسورة الإخلاص وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس بقراءته

لكنه يخفض صوته **الصورة الثالثة** تطويل الأذان وتمطيطه ولحنه وانحرافه
عن صوب القبلة وكثرة الأذان بحيث يضطرب الحال في الأذان فلا يفهم منها لتداخل
الأصوات واجتماعها فكل ذلك منكرات تكره وبدعة وهكذا حال الأذان قبل الصبح لأن ذلك
يشوش الصوم والصلاة على الناس فإن كان يعرف بالتذكير قبل الفجر فلا بأس ولا
بأس بالأمر بحفظ مداومتها إذا أذنوا في وقت واحد ويكره تعاقبهم في أوقات
متعاقبة بعد طلوع الفجر ممنوعة منه **الصورة الرابعة** لبس الخطيب
للديباج والحرير أو حمله للسيف الذي فيه حلية الذهب فإنه يفسق بذلك والإنكار عليه
واجب فأما الثياب الزرق فلا يكره لكن الأفضل البياض ويكره للخطيب أن يضرب
درجات المنبر بالسيف عند صعوده فإنه مما يفعله الجبابرة وأهل التكبر **الصو
رة الخامسة** كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون كلامهم بالكذب في الأخبار
يجب إنكاره وهكذا حال الملحد من الجبرية والمشبهة بما يقولون من ذكر التشبيه
والجبر ويجب إنكاره عليهم ولا يمكن من الوعظ إلا من كان عارفا بالله ظاهره الورع
والصلاح فأما من كان متزينا للنساء في ثيابه وهيئاته وحركاته كثير التعرض
في الوعظ ويحضر مجلسه النساء فإنه يمنع من ذلك لما فيه من إظهار الفتنة وحصول
الريبة ويجب منع النساء من حضور المساجد في هذا الزمان وقراءة القرآن مع التطر
يب والألحان على وجه يغيره نظم القرآن منكر يجب إنكاره وقد أنكره جماعة من
السلف **الصورة السادسة** الجلوس في يوم الجمعة لبيع الأدوية في المسا
جد منكر لا يمكنون منه وقيام السؤال وإنشاد الشعر مكروه في المسجد
لا حاجة إليه تنزه المساجد عنه والمتولي للمسجد يمنع من اشتغل فيه بالورا
قة والخياطة وغير ذلك من الأمور المباحة والبيع والشراء لا يمكنون منه الصف

الصورة السابعة دخول المجانين والصبيان والسكران المساجد منكر يجب
منعهم لأنه يؤدي إلى تنجيس المساجد ولا بأس بدخول الصبي المميز إذا لم يلعب ولا يحرم
عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا فيمنع منه **المقام الثاني**
في بيان منكرات الأسواق ويشتمل على صور خمس **الصورة الأولى** الكذب في المرابحة وإخفاء
العيوب في جميع المبيعات منكر يجب إنكاره لما فيه من الخيانة وهكذا حال المكيال والميزان
إذا وقع فيهما تطفيف وزيادة يجب التعهد والتفقد لأحوالهم ويجب ذلك على الإمام **الصورة
الثانية** ترك الإيجاب والقبول وهكذا حال البيع والاكتفاء بالمعاطاة وصورتها
أن ينقد إليه الثمن من غير ذكر لفظي إيجاب وقبول إلا فيما كان من المحقرات فإنه يغتفر
فيه ترك الإيجاب والقبول وهكذا حال البيوع الفاسدة في ما بين الخلق يجب إنكاره
لأنه خروج عن قواعد الشريعة وإن كان موجبا للملك على ما هو مقرر في كتب الفقه **الصو
رة الثالثة** بيع الملاهي كالطبل الذي يستعمل للغناء والدف والمزمار وأنواع الحيوانات
المونقة بالشعر والإبريسم والقصب والقضب وغير ذلك من الملاهي فكله محرم يجب
إنكاره على صاحبه وهكذا حال الحيوان المصورة في أيام العيد لأجل الصبيان يجب إنكاره
الصورة الرابعة الأواني المتخذة من الذهب والفضة فإنه يحرم استعمالها ويجب
النكير على كل من استعملها وهكذا بيع ثياب الحرير وقلانس الحرير المحبوكة بالذهب التي
لا تصلح إلا للرجال ويعلم بعادة البلد أنه لا يشتريها إلا الرجال فكله محظور
الصورة الخامسة بيع الثياب المقصورة الخلقة التي يلتبس على الناس بقصارتها
أنها خلقة ويحتال البيع أنها جديدة فهذا الفعل لا شك أنه حرام والمنع منه واجب
وهكذا جميع أنواع الملتبسات التي تفعل للتبايع والمكر وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم

ليس منا من غش وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من خان مسلما أو غره وذلك يطول أيضا
و... فلنقتصر على ما ذكرناه. المقام الثالث في بيان منكرات الشوارع
وهي مشتملة على صور خمس. الصورة الأولى وضع الأسطوانات التي يحفظ فيها الماء
بين الدكك للشرب متصلا بالأبنية وهكذا غرس الأشجار والأزقة وإخراج الرواشن
والأجنحة ووضع الأخشاب على الجدران بين الدكك إذا كان فيه مضرة وهكذا حال
الجذوع والأجنحة على الطرقات فكل ذلك منكر إذا كان يؤدي إلى تضييق الطرقات
واستضرار المارة فإن كانت الطريق واسعة فلا وجه للمنع وهكذا ربط الدواب
من الخيل والبغال والحمير والجمال بحيث تضيق على المارة ولا يؤمن ضررها وتنجيس
المارة فمنكر يمنع منه نعم يجوز وضع الأحمال والأطعمة في الشوارع في القدر القريب
حتى تنقل إلى البيوت ووضع الدواب في الطريق بقدر الركوب والنزول لا غير وذلك لأن
الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة الداعية القريبة
التي ذكرناها. الصورة الثانية مرور الدواب وعليها الشوك بحيث تخرق أثواب
المارة فذلك منكر وإن أمكن شدها وضمها بحيث لا تخرق أو أمكن العدول بها إلى
الموضع الواسع فلا بأس بذلك لأن الحاجة داعية لأهل البلد إلا مثل ذلك نعم لا تترك
ملقاة على الشوارع والسكك إلا بقدر مدة النقل لا غير وهكذا تحميل الدواب
من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منعه. الصورة الثالثة ذبح القصابين
في الشوارع وبالقرب من الحوانيت وتلويث الطرقات بالدماء والأرواث منكر يجب منعه
منه بل من حقه أن يتخذ مكانا في دكانه يذبح فيه لما فيه من الإضرار بالمارة في تضييق
الطريق وتنجيسها بإراقة الدماء واستقذار الطباع من القاذورات التي
تهراق فيها وهكذا طرح الكناسة في الطرقات وجلف الرمان والبطيخ وقشر الموز

ورش الماء

ورش الماء لأنه يؤدي إلى الزلق والتعثر للمارة وربما تسقط المارة فتكسر رجله أو جرح
نفسه وكل ذلك من المنكرات فيجب منعه. الصورة الرابعة الميازيب المخرجة في الشوارع
الضيقة فإن ذلك يلحق المارة ويحصل منه الزلق في الطرقات وهكذا إخراج البالوعات
في الطرقات فإنه يمنع منهما لما فيهما من الضرر بالمارة وتضييق الطريق بإرسال الأمواه
المتغيرة فيها لأن ما كان يتعلق بالمطر فليس يختص به واحد دون غيره بل إنما
يجب ذلك على الإمام في إصلاح الطرقات وتنظيفها وإصلاح أحوالها لأن ذلك من جملة المصالح
الدينية فكل ما كان ضررا عاما لا يختص بعينه فإنه يجب عليه إزالته وما كان الضرر
غير لاحق بالآحاد فهو من المصالح المؤكدة إلا للإمام. الصورة الخامسة ربط الكلاب
الضارية على الأبواب منكر يجب منعه لما فيه من الأذية للمسلمين ويؤدي إلى تنجيس الطريق
فيحصل في ربط الكلاب ضرران أحدهما خشية العقر منهن وثانيهما تنجيس الطرقات
وبسط ذراعيه في الطرقات الضيقة. المقام الرابع في بيان منكرات الحمامات وهو
مشتمل على صور خمس. الصورة الأولى ما يحصل من صور الحيوانات التي هي في جدران
الحمامات وبيوتها الداخلة والخارجة فإن ما هذا حاله يجب تغييره ويكفيه في
تغييرها قطع رؤوسها وفصلها وتشويه وجوهها بحيث تبطل صورتها ولا يمنع
من صور الأشجار وسائر النقوش فإن تلك مباحة فإن لم يمكن تغييره فإنه يعدل
إلى حمام آخر فإن مشاهدة المنكر غير جائز. الصورة الثانية كشف العورات
والنظر إليها في الحمامات ومن جملتها كشف العورة للدلاك ليلقي الوسخ ومما تحت السرة ومن جملتها
إدخال اليد تحت الإزار فإن مس العورة في الغير حرام كما النظر إليها وهكذا الا
نبطاح للدلاك على الوجه لتغمير الأعجاز والأفخاذ فما هذا حاله فإنه مكروه وإن كان

مع حائل ولكنه لا يكون مفضوضا اذا لم يمنع حركة الشهوة وهكذا كشف العورة للحمام الصورة
الثالثة غمس الأيدي والأواني النجسة في المياه القليلة في الحمامات الصغيرة وغسل
الأزر وغسل الطيلسان والقباع في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء على رأي
الأكثر من أئمة الزيدية والشافعية والحنفية فانهم يذهبون الى تنجيس الماء القليل
وان لم يتغير بالنجاسة إلا مالكا وهو محكي عن الإمام القاسم من أئمة أهل البيت عليهم
السلام فان اجتمع زيدي ومالكي فليس للزيدي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس
واللطف وهو يقول أني محتاج الى الماء فاغسل يدك أولا ثم اغمسها في الماء وأنت
مستغن عن إيذائي وتنجيس الماء علي لأن ما هذا حاله من جملة المسائل الخلافية وا
لمضطرب بأن الاجتهادية والمختار ما قال اختيار الإمام ان الماء القليل لا يتنجس بالنجاسة
الا اذا تغير عندنا ان الماء القليل لا ينجس الا بما يغيره من النجاسات من لون او طعم او ريح
كما قال القاسم ومالك وقد نصرناه في الكتب الفقهية الصورة الرابعة ان يكون
في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملس مزلقة يزلق فيها الغافلون
فما هذا حاله منكر يجب تغييره وقلعه وازالته وينكر على الحامي اهماله فانه
يفضي الى السقوط وقد تؤدي السقطة الى انكسار الرجل او اليد وهكذا ترك الصابون
والسدر المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه على حاله من غير
تغيير له فزلق فيه انسان وانكسرت رجله او يده فالضمان واجب لا محالة
وعلى من يكون الضمان فيه تردد فيمكن ان يقال انه على من تركه ويمكن ان يقال
انه على الحامي والاقرب انه على من تركه لانه اخص به واليق والله اعلم الصورة
الخامسة دخول النساء الحمامات مكروه الا لحائض او نفساء او مريضة

وهل يجب انكاره عليهن ام لا فيه تردد والاقرب انه لا ينكر عليهن في الحمامات الا ما ينكر
على الرجال فيها من جميع ما ذكرناه فاما مجرد منعهن عن الحمامات فلا وجه للمنع الا ان يتعلق
به منكر وحيث ان ذلك المنكر دون دخول الحمام فهذا ما اردنا ذكره من المنكرات
المتعلقة بالحمامات والله اعلم بالصواب المقام الخامس في بيان منكرات الضيافة
ويتعلق بها صور ست الصورة الاولى فرش الحرير للرجال وتهيئة المجامر
الفضية والذهبية والشرب فيهما واستعمال الذريرة فيهما ووضع ماء الورد فيهما
او بما اشبه منهما وهكذا وضع الالوان في صحاف الذهب والفضة ووضع الحلوى
في قداحهما فان ذلك كله محظور لا يجوز فعله الصورة الثانية اسبال
الستور عليها صور الحيوانات وهكذا ما في الانية من الصفر في الاطباق والطيبات والمرافع
الكبار اذا كان فيها الصور المطلية بالذهب والفضة فانه منكر يجب التغيير عنه
وهكذا المذهب اذا كان مطلية بالتصوير للحيوانات فلا يجوز استعماله للشرب ولا لغيره
وهكذا حال الملاعق الفضة والمكاحل من الذهب والفضة والكراهة فيه شديدة وقد
ورد عليه الوعيد فيجب انكاره الصورة الثالثة سماع الاوتار وانواع القصبات
والطارات وجميع انواع الملاهي وسماع غناء القينات واجتماع النساء فلا يجوز
للنظر للرجال خاصة ومهما كان في الرجال شباب تخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور
لا يجوز فعله ومنكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج عنه ولا يجوز له الجلوس
فلا رخصة في مجالسة المنكرات ومشاهدتها فاما الستور على الباب والنمارق والزرابي
المفروشة فليس منكرا وقد يتعللون على ابواب الدور والمجامر والمرافع المقتبلة

على أمثال الطيور وأشكالها وذلك حرام لا يجوز تركه وقد حكي عن أحمد بن حنبل أنه خرج من الضيافة من أجل ذلك **الصورة الرابعة** أن يكون الطعام حراما وكانت الدار حراما أو المكان حراما مغصوبا لمالك مغبون أو كانت البسط والثياب المفروشة حراما فهذا من أشد المنكرات وأعظمها خطرا وهكذا إذا كان في البيوت من يتعاطى شرب الخمر فلا يجوز الحضور وإن ترك الشرب فإنه لا يجوز مجالسة الفساق في حال مباشرة الفسق والفجور ولا خلاف فيه وأما الزيادة في مجالستهم بعد فراغهم من فسقهم فإنه يجب على المسلمين طردهم وإبعادهم وهجرانهم وإن كان منهم من يلبس الحرير ويتعاطى لبس خواتيم الذهب فإنه لا يجوز مجالسته **الصورة الخامسة** أن يكون في مجالس الضيافة من يتحدث عن الجبر والتشبيه والإلحاد ويصف الله تعالى بالأعضاء والجوارح وأنه ينزل إلى السماء الدنيا فما هذا حاله منكر يجب تغييره ولا يجوز الوقوف وهو يتحدث فيه فإن لم يقدر على إسكاته فالخروج واجب عليه وهكذا من يقصد الإضحاك بالفحش والكذب والكلمات القبيحة فإنه منكر فإن كان يتكلم بالمزاح فليس بمنكر كما لو قال طلبتك في المسجد والسوق العشرة وأعدت الحديث على أخيك سبعين مرة لأن المقصود من هذا هو المبالغة والعرف يقضي به **الصورة السادسة** إضاعة المال والإسراف فهذان منكران يتعلقان بالمال أما الإضاعة فنحو إغراقه في البحر وحرقه بالنار من غير فائدة ولا غرض وهكذا صرفه في أنواع الفساد والمناكير المحظورة لأنها فوائد محظورة وهي كالمعدومة وأما الإسراف فقد يطلق ويراد به صرف المال في القبائح والمنكرات وهذا مثل الإضاعة وقد يطلق على صرفه في الأمور المباحة ومثاله من لا يكون معه إلا مائة يعيش فيها هو وأولاده وأنفقه في وليمة فإن من هذا حاله يجب إنكار الأمرين جميعا عليه

الإضاعة

الإضاعة والإسراف كما قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد من ذلك وحسرته وقال تعالى والذين إذا أنفقوا ~~لم يسرفوا ولم يقتروا والآ~~ ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فإن كان وحده وكان قويا على التوكل جاز ذلك وما فيها وإن كان يتكفف الناس كان محظورا مكروها وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس على ذلك منكرات الجوامع ومجالس القضاة ومدارس الفقهاء فلا تخلو بقعة عن منكر ومحظور ولا يمكن استقصاء ذلك واستقصاؤه إنما يكون بذكر التفاصيل الكثيرة فلنقتصر على هذا

المقام السادس في بيان المنكرات العامة التي لا يختص بها شيء دون شيء **اعلم** هدانا وعليكم أنه يجب على القاعد في بيته تعليم الناس أن كل قاعد في بيته فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الخلق وتعليم معالم الدين وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون لأحكام الشرع في شروط الصلاة والزكاة في البلاد والأمصار والمدن فكيف بالبوادي والقرى وهكذا حال الأجلاف من الأعراب والأكراد وأهل المواشي الذين يقعدون في الجبال وبطون الأودية وسائر أصناف الخلق فالواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلاد فقيه يعلم الناس أمور الدين والواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه أن يتفرغ لفرض الكفاية وأن يخرج إلى من جاوره من أهل السواد ومن الأعراب فيعلمهم دينهم وفرائض شرعهم فالمعلوم أن الإنسان لا يولد عالما وإن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا والحجة على الفقهاء أشد لأن قدرتهم على ذلك أظهر وهي بضاعتهم لأن المحترفين وأهل الصناعات لو تركوا حرفهم لبطلت المعايش وتعطلت الأرزاق ولأن العلماء ورثة الأنبياء فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم أهل بيته وأقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ من ذلك إلى جيرانه

ثم الأمثل فالأمثل ثم الأمثل بالنسبة من الأعراب المكتفين بلغته وعكسه إلا الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى
دينا وإن قام به الأقرب سقط عن الأبعد فإن لم يكن هذا والأعم الحرج الجميع وهذا أحق أعني
تعريف الخلق والقيام بالأمور الواجبة على الكفاية من الشغل بالرواية في العلوم والتعمق في
غوامض العلوم لأن هداية الخلق أعظم من ذلك ولهذا فإن الأنبياء صلوات الله عليهم ما بعثهم
الله تعالى إلا لهداية الخلق وتعريفهم ما لا يعرفون قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فضل
العلماء لفضلهم لم يكن بينهم وبين الأنبياء إلا درجة النبوة فهذا ما أردنا ذكره في الكلام
هذه المنكرات **المطلب الرابع في بيان كيفية الإنكار على الأمراء والسلاطين**
وأهل الجور وأمرهم بالمعروف قد ذكرنا فيما سبق درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وأن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل
على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين والظلمة وأهل الجور الدرجتان
الأوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والقهر فليس ذلك للآحاد لأنه يحرك فإن ذلك يحرك
الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه المحذور أكثر لا محالة وأما المتولي لذلك هو الإمام
فإنه القادر على ذلك والمنتقم لله تعالى منهم وللمسلمين فيما ظلموا العباد وأكثروا الفساد
في الأرض وأخذوا المحارم وأكثروا المظالم وأما التخشين في القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف
الله يا فاسق يا جبار يا خائن وما أشبه ذلك فذلك إن كان لا يحرك فتنة يتعدى
شرها الى غيره لم يسقط وجوبه وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب
إليه ولقد كانت عادة العلماء من السلف الصالح التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير
مبالاة بهلاك المهج والتعرض لأنواع العذاب رغبة في ما عند الله وإعزاز الدين وعلما
منهم بأن هذه شهادة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيد الشهداء حمزة وجعفر ثم رجل

قام إلى

قام إلى سلطان فأمره ونهاه فقتله على ذلك وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الجهاد كلمة
حق بين يدي سلطان جائر ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
جائر وأن من قتل على ذلك فهو شهيد أقدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومتحملين
لأنواع العذاب وصابرين عليه ومحتسبين لما يبذلونه في الله ونحن الآن نورد من تلك
القصص ما يدل على أنهم صدقوا الله في تعريض أنفسهم للحتف وتعرضهم للسيف والله لم يخافوا
في الله لومة لائم وجملتها قصص عشر **القصة الأولى** حكاية عن أمير المؤمنين كرم الله
وجهه قال كانت قريش قد اتفقت في كيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبلوغ الغاية
في مضرته لما كان من جهاده وأمره في بطلان شركهم ومحو آثارهم وتسفيه أحلامهم
في ما كانوا عليه من عبادة الأوثان والأصنام فدخل يوما موضعا بناه قبله فهموا
بقتله في ذلك الموضع فجاء جبريل فأخبره بما اجتمعوا عليه وما وقع في أنفسهم من ذلك
فخرج من ذلك وقال لأمير المؤمنين اضطجع فوق فراشه فاضطجع وخرج الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم فقبا نفس الرسول بنفسه وجعل حوباه دون حوباء الرسول
فأبطل الله كيدهم وخيب أمرهم فيما هموا وعلموا أن الرسول قد نجا منهم وأنه لا غرض
لهم إلا فيه ونزلت الآية تذكيرا للنعمة عليه وإيضاحا للمنة الواصلة إليه فقال تعالى يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ففاز
أمير المؤمنين بالحظ الأوفر وحصلت السلامة لهما والحمد لله **القصة الثانية**
حكاية عن أبي بكر رضي الله قال بينما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة
ابن أبي معيط فأخذ بمنكب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا
فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال أتقتلون رجلا

ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم هيهنا رواية عمر وفي رواية أخرى ان قريشا اجتمعوا
في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم هذا الرجل وما بلغكم منه حتى اذا بادأكم بما
تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوثبوا عليه وثبة
رجل واحد فأحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا انت الذي تقول كذا لما كان يبلغهم
من عيب آلهتهم ودينهم فيقول صلى الله عليه وآله وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك فلقد رأيت رجلا
منهم أخذ بمجامع ردائه فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه يقول ويلكم أتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله فانصرفوا عنه وان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت من رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قط **الفصل الثالث** ما روي ان معوية حبس العطا عن المسلمين
فقام اليه أبو مسلم الخولاني فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك
فغضب معوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج وقال ان أبا مسلم كلمني بكلام
اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق
من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت
وصدق أبو مسلم انه ليس من كدي ولا كد أبي فهلموا الى عطاياكم فانظر الى غضب أبي مسلم لله تعالى
ولم يستحي عن النصيحة لمعوية ثم انظر الى انصاف معوية من نفسه واعطاء الحق أهله
ولقد كان شيطانا في الحلم والاغضاء والصبر على المكاره وليس بدعا من قال من حلم ساد
ومن ساد استفاد **الفصل الرابع** حكي عن الاصمعي قال دخل عطا ابن أبي
رباح على عبد الملك ابن مروان وهو جالس على سريره وحوله الاشراف من كل بطن وذلك
بمكة في وقت حجه في خلافته فقام اليه وأجلسه معه على السرير وقعد معه على
السرير وقال له يا أبا محمد ما حاجتك فقال له اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده
بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله

في أهل الثغور

في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم واتق الله فيمن على
بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له عبد الملك أفعل ثم نهض فقام فقال له انما
قال فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما
حاجتك فقال ما لي الى المخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك الشرف
الفصل الخامس روي عن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا
مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فمر به عطاء ابن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل
على الوليد وسمه بأمير المؤمنين فانه أمرك بذلك فدخل وعنده عمر ابن عبد العزيز فقال السلام
عليك يا وليد فغضب الوليد على حاجبه وقال ويلك أمرتك أن تدخل علي رجلا يحدثني
ويسامرني فأدخلت الي رجلا لم يرض نفسه ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي
فقال الحاجب ما مر بي غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فقال لم بلغنا ان في جهنم
واديا يقال له هبهب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا
على عتبة الباب باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين
فقبض عطاء على يد عمر ابن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال يا عمر ان الامر جد فجد
لم أنصرف فقال عمر فمكثت عشرين سنة أجد غمزته في ذراعي فانظر الى عطاء
ولم يراقب أحدا ولا التفت الا الى الخبيث اللص الوليد ولا وزن عنده لملامة ظالم ولينظر
ذو علماء الآخرة كيف كانوا على الغاية أشد من خوفهم من النار **الفصل السادس**
يحكى عن الخبيث الحجاج انه دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة قال صاحب الرواية فد
خلنا عليه ودخل الحسن البصري آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد الي الي ثم دعا
بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا اذ ذكر عليا

من ضيعكم عنه فنالوا منه ونلنا مقاربة له وفرقاً من سطوته وشره والحسن ساكت عاض على إبهامه
فقال يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتاً قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب
قال سمعت الله جل ثناؤه يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وختنه وأحب الناس إليه صاحب سوابق مباركات سبقت له من الله تعالى لن تستطيع
أنت ولا أحد من الناس أن تحظرها عليه ولا تحول بينه وبينها والله ما أجد فيه قولاً
أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه
وخرجنا قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت
صدره قال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي فقيه أهل الكوفة أتيت
شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت
إن سئلت فصدقت وإن سكت فسلمت قلت يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها
قال فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة وبعث الحجاج إلى الحسن فقال أنت الذي
يقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال
ما أخذ الله على العلماء من المواثيق لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال يا حسن أمسك لسانك
وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك ولله در الحسن البصري
لقد كان شديد التكلم على الفسقة غليظ الإنكار على الظلمة لا تأخذه في الله لومة
لائم في التصريح ولا أحد في صدره شيء من التخويف ولقد غربت في هذه الأزمنة من يكلم
الظلمة ويصول على الفسقة وما ذاك إلا للتهاون بأمر الله وضعف الهمم عن الإقبال إلى
الآخرة فنسأل الله عفواً عاجلاً في التقصير في حقه وجوداً شاملاً من كرمه وفضله

القصة السابعة

القصة السابعة حكي عن حطيط الزيات جيء به إلى الحجاج فقال أنت حطيط قال
نعم سل عما بدا لك فإني عاهدت الله تعالى عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لا
صدقن ولئن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فما تقول فيّ قال أقول إنك من
أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك
قال هو أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب
فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم
جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً فقيل للحجاج
إنه في آخر رمق فقال اطرحوه في السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب لي فقلنا حطيط
ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة فشرب ثم مات وكان عمره ثماني عشرة سنة
رحمه الله ولقد خطها الله لحطيط بالقلم في لوحه المحفوظ إنه من الذين قال فيهم فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً **القصة الثامنة** حكي عن الحرث المحاسبي
قال كنت ليلة قاعداً في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي
ثم قعد بين يدي فقلت له من أنت قال واحد من السائحين أقصد المتعبدين في محا
ريبهم ولا أرى لك اجتهاداً فأي شيء عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد
قال فصاح وقال ما علمت أن أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث
فأردت أن أزيد عليه فقلت له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم
ويسألون الله تعالى كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث
عندي يومين لا يعقل وقد أحدث في ثيابه فعلمت أنه زال عقله فأخرجت له ثوباً جديداً
وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل

وصلاة ثم لحق بالثوب وخرج فقلت له الى ابن تريد فقال قد صحي فلم يرك بشيء حتى جاء حل
على المأمون فسلم وقال يا طاهر وانا طاهر ان لم اقل لك يا طاهر استغفر الله من عصيانه
فيك اما اتقي الله في عاقبة هلاكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس
بالباب فاقبل عليه المأمون وقال من انت فقال رجل من السياحين فكرت في ما عمل
الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحق بهم فامر في
ضرب عنقه فاخرج وانا قاعد بالباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي
هذا فليأخذه قال حرث فاختبأت عنه فاخذه اقوام غيرنا فدفنوه وكنت
مقيما لا اعلمهم بحاله وبقيت امدا فقال من رمى الآخرة ببصره وتجافى عن الدنيا بنيته
واشتاق الى لقاء ربه تعالى ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه

القصة التاسعة

عن احمد بن ابراهيم المقري قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل
عن ما لا يعنيه ولا يفتش عن ما لا يحتاج اليه وكان اذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه
تلفه فنزل ذات يوم يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا فقال للملاح
فقال ما هذا فقال هذه ثلاثون دنا خمرا للمعتضد يريد ان يتمم بها مجلسه فاخذ النوري
عودا فضرب الدنان فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على اخرها الا دنا واحدا والملاح
يستغيث فركب صاحب الجيش فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد
سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال النوري فادخلت عليه وهو جالس
على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك
الحسبة قال الذي ولاك الامامة قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي
وقال ما حملك على ما فعلت قلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه
عنك فقصرت عنه فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه فقال كيف تخلص هذا الدن

من بين سائر

٢٣٠

من بين سائر الدنان فقلت ان في تخليصه علة اخبرك بها ان اذنت لي فقال هات فقلت
اني قدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق و
خوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا
الدن فاستشعرت نفسي كبرا انني كيف اقدم على مثلك فامتنعت ولو اقدمت عليه بالحال
الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك على ما
احببت ان تغيره من المنكر فقلت له نقض التغيير لاني كنت اغير عن الله وانا الان اغير
عن شرطي فقال له المعتضد ما حاجتك قال تأمر باخراجي سالما فامر بذلك وخرج الى
البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا ان يسأله احد حاجة فيسألها المعتضد فاقام بالبصرة
الى ان توفي المعتضد ورجع الى بغداد فانظر الى القلوب الموفقة كيف كانت تنبأ الله و
وصلت الامور فقه امرهم تعالى فيهم من اقبه اعظم التقوى وهم اعلم

القصة العاشرة

يحكى عن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس ابي جعفر الدوا
نيقي وفيه ابن ابي ذيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال له ابو جعفر ما تقول
في الحسن بن زيد قال اشهد انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه قال قد سمعت يا حسن
ما قال فيك وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن نفسك قال ما تقول في
يا ابن ابي ذيب قال تعفيني عن هذا قال سألتك بالله الا ما اخبرتني قال سألتني بالله كأنك
لا تعرف نفسك فقال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت المال من غير حله فجعلته في غير
اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في
قفا ابن ابي ذيب فقبض عليه ثم قال اما والله لولا اني جالس ها هنا لاخذت فارس
والروم والترك منك بهذا المكان فقال يا امير المومنين قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق و
قسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا انافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه

وخلا سبيله وقال رحمه الله لولا اني اعلم انك لصادق لقتلتك فقال ابن ابي ذيب رحمه الله يا امير المومنين
اني لانصح لك من ابنك المهدي ولنقتصر على هذا القدر من التنبيه على ما كان من علماء الدين في
القوة في دين الله والصلابة على نفوذ امر الله فهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين واثر الجور والظلمة لكنهم
تكلموا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية
اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الان فقد قيدت الاطماع السنة
العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا
حق العلم لافلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء باستيلاء
حب الجاه والمال ومن استولى على قلبه حب الدنيا لم يقدر على الاحتساب وانفاذ امره
على الاسافل والاراذل فضلا عن الملوك والاكابر فالله المستعان على مصائب الشدائد
في هذه الازمنة فلقد قل المعين على زوال المنكر ونصرة الدين وحيث ان الموت هو خاتمة الاعمال
وفيه طي الصحف المتضمنة للاعمال فلنجعل خاتمة كتابنا الكلام في الموت وما يتعلق به من اهوال
القيامة والله الموفق للصواب

المقالة التاسعة في بيان مقدمات الموت وتوابعه الى حالة نفخة الصور

اعلم ان المنهمك في الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت
فلا يذكره واذا ذكره كرهه ونفر عنه واولئك هم الذين عناهم الله بقوله تعالى قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم والناس في الدنيا اما منهمك او تائب او عارف فاما
المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه لا غير واما
التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة
واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسا
قط موعد

قط موعد اللقاء ولهذا قال حذيفة لما حضرته الوفاة حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم
وهذه المقالة مشتملة على تنبيهات هي وافية بالمقصود والبقية مما يرتب ذكره مفصلا
ان شاء الله تعالى

التنبيه الاول في بيان فضل ذكر الموت وتحقيقه في القلب اعلم ان الموت امره
هائل وخطره جسيم وغفلة الناس بقلة ذكرهم له ومن ذكره منهم فليس يذكره بقلب
فارغ بل بقلب مشغول لكن يتوجه ذكره من طرق في ثلاثة **الطريق الاول** ان يكثر
ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر
صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محى التراب الان محاسن صورهم وكيف
تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت
منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه
احوالهم وكيفية موتهم انغرس في قلبه ذكر الموت وتحققه لا محالة **الطريق الثاني**
ان يتذكر حال نفسه ويتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش واشتياقه اليه
ونسيانه للموت والحب على جوانب الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله
الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت البديع والهلاك السريع وانه كيف
كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه
وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج
اليه عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر واحد وهو غافل عما يراد به
الطريق الثالث دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب
حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى
عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير
والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته

وأما فضيلته فقد قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات اي منغص
اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو ان البهائم
تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد
قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن
الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة
شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له والاطلاق تحفة وقال صلى الله عليه وسلم
الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا والمؤمن صدقا الذي سلم الناس من يده ولسانه
وتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس بالمعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره ويكفره
بعد اجتنابه الكبائر واقامته للفرائض وقال انس قال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا
الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلا فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا
نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك وقال ابن عمر اتيت الرسول صلى الله عليه
وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال
اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة
وأما الآثار فقد قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا
وقال الربيع ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني
الى ربي وكتب رجل من الحكماء الى بعض اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير
الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر له الموت مات كل عضو منه وكان
عمر ابن عبد العزيز يجمع كل ليلة جماعة من الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة
ثم يبكون

ثم يبكون كأن بين ايديهم جنازة وقال بعض الزهاد شيئان قطعا لذاذة الدنيا الموت والوقوف
بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال
اشعث كنا ندخل على الحسن وانما هو النار وذكر الموت وامر الآخرة وكان عيسى اذا ذكر
عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله
واذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال مطرف ابن الشخير ان هذا الموت قد نغص
على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر ابن عبد العزيز لعنبسة اكثر من ذكر
الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وكان الربيع ابن
خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت
ويقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد **التنبيه الثاني** في بيان فضيلة
قصر الامل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك
بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك
فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروى امير المؤمنين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع
الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الدنيا
ابناء وللدين ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا
قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب
ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقال الرسول صلى الله عليه وسلم
وقد اطلع على الناس ذات عشية فقال يا ايها الناس اما تستحيون قالوا وما ذاك
يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون
وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة ابن زيد من زيد ابن ثابت وليدة بمائة دينار
الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر

ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت ان شفري
لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض
ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم
ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم في الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم
بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج يهريق
الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الماء منك قريب فيقول ما
يدريني لعلي لا ابلغه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ابن آدم ويشب منه خصلتان
الحرص وطول الامل وقال صلى الله عليه وآله وسلم نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك
آخر هذه الامة بالبخل والامل وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكلكم يحب
ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم وا
ستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من
دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع
خير العمل **واما الآثار** فقد قال بعض الزهاد لو علمت متى اجلي لخشيت ذهاب
عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش
ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولا
هما ما مشى المسلمون في الطريق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك
لم يهنه العيش وقال بعض الحكماء انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان ثلاث
اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك
ملء فيه ولا يدري أساخط عنه رب العالمين ام راض وثلاثة احزنتني
حتى ابكتني

حتى ابكتني فراق محمد وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله سبحانه لا ادري
الى الجنة يؤمر بي او الى النار وحكي عن بعض اهل الصلاح انه سأل الله ان يرفع عنه الامل [illegible]
فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى شهوة
الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال
الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انما انا كرجل مادّ عنقه
والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرأيتني
اتيت عظيما وكيف آمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعة الليل والنهار
وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما
الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل
والموت من الانسان قريب وللنقص منه في كل يوم نصيب وللبلاء في جسمه دبيب
فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن رضي الله عنه كان آدم عليه السلام قبل
ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما عصى واصاب الخطيئة حول فجعل
امله بين عينيه واجله خلف ظهره **التنبيه الثالث** في بيان سكرات الموت وشدائده
وما يلحق من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا
عذاب سوى سكرات الموت لكان جديرا بان تتنغص عليه عيشته ويتكدر عليه سروره
ويفارقه سهوه وغفلته وحقيق بان يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لا سيما
وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك
وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجأك والعجب ان
الانسان لو كان في ارغد عيش واهنأ منه في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو

فانتظر أن يدخل عليه بعض الشطار يضربه بالسيف لما تكدرت عليه لذاته وفسد عليه
عيشه وهو في كل ساعة بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بنفسه بسكرات النزع
وهو في غاية الغفلة فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور وشدة الألم في سكرات الموت
لا يعلمها على الحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها فإنما يعرفها بالقياس
وهو أن كل عضو لا روح فيه فإنه لا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالمدرك
للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق فإنه يسري الألم إلى الروح
فإذا كان المنزوع هو الروح فإنه يستغرق الألم جميع الأجزاء وكل مفصل من
المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا يسأل عن كربه وألمه
حتى قالوا إن الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض
لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء
قوته في قلبه وفي لسانه فأما المحتضر فقد انقطع صوته لأن الكرب قد بالغ
فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع فيه فهد كل قوة وأضعف كل جارحة
فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد
أبكمه وأما الأطراف فقد أضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصيا
ح ولكنه لا يقدر على ذلك فإذا بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح
وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى طاطنه على
وجهه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب فيه كل عرق على حياله فالألم
منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص
الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأنثيان إلى أعالي مواضعهما

وتقلص أنامله

وتقلص أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ثم يموت كل عضو من
أعضائه على التدريج فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة
بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن
الدنيا وأهلها ويغلق عنه باب التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال الرسول صلى الله عليه
وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر فعندئذ يبدو صفحة وجه ملك الموت فلا
تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
اللهم هون على محمد سكرات الموت وقال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين ادعوا
الله أن يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي
من الموت في الموت وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي
رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عنه صلى الله عليه وسلم
أنه كان يقول اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والأنامل اللهم فأعني على الموت
وهونه علي فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبابه من أهل خاصته وأنبيائه فكيف
حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي والغافلون عن صلاح أحوالنا ويتوالى علينا مع سكرات
الموت بقية الدواهي وجملتها ثلاث **الداهية الأولى** مشاهدة صورة ملك الموت ود
خول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم
الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روي عن الخليل صلوات الله عليه أنه قال لملك الموت
هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر فقال إنك لا تطيق ذلك
فقال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر
منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي

ابراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر
عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه **الداهية الثانية** مشاهدة
الملكين الكاتبين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان
عمله فإن كان مطيعاً قالا له جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح
أحضرتنا وإن كان فاجراً قالا له لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس سوء أجلستنا
ورب عمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً فذا
لك الذي ترى الميت عند شخوص بصر المحتضر إليهما فلا يرجع إلى الدنيا أبداً **الد
اهية الثالثة** مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة
فإنهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم
ما لم تسمع نغمة ملك الموت بأحد البشريين إما أبشر يا عدو الله بالنار
وإما أبشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا خوف أرباب العقول وأهل الأحلام وقد
قال صلى الله عليه وآله وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده
من الجنة أو النار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت فقال ليس ذلك بذاك إن المؤمن
إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه **وروي** أن
حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به في آخر الليل قم فانظر أي ساعة
هي فقام ابن مسعود فجاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح
إلى النار ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة
اللهم شدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكي حزناً على الدنيا ولا جزعاً
من فراقكم ولكن

من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أو نار **وروي** في الحديث عن
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله إذا رضي عن عبده قال يا ملك الموت اذهب
إلى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل
ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان وأصول الز
عفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة لخروج
روحه صفين معهم الريحان وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته
في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقال محمد ابن واسع
يوم موته يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع
ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قد قطع قلوب العارفين فهي من الد
واهي العظيمة عند الموت نسأل الله أن يجيرنا من عذابه وبشارة من عنده بعظيم ثوابه **وأما**
ما يستحب للمحتضر عند الموت **إعلم** أن المستحب لكل من يموت من الهدوء والسكون
ومن لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله فهذه أمور ثلاثة
أولها الحالة فقد **روي** عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ارقبوا الميت
عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهو من رحمة الله قد
نزلت به وإذا غط غطيط البكر واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد
نزل به **وثانيها إطلاق اللسان** بالشهادة فهو من علامة الخير قال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وقال عمر احضروا موتاكم ولقنوهم
وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله وقال غيره إذا احتضر الميت فلقنوه
لا إله إلا الله **وثالثها حسن الظن بالله تعالى** فهو مستحب في هذا الوقت وقد قال تعالى أنا

خبثت طرق عبيد ربي فلينطلق بي ما شاء. ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يجود
بنفسه فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف من ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم ما ا
جتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجوه وأمنه من الذي يخا
فه. ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت إلى أين يذهب بي فقالوا إلى الله قال فما كراهتي
أن أذهب إلا إلى من لا يرى الخير إلا منه. وقد فرغنا من بيان سكرات الموت وما يجب وكم

أعلم التنبيه الرابع في بيان المحتضر عند لقاء ملك الموت

سأل إبراهيم عليه
الصلاة والسلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان في وجهه وعين في قفاه فقال
يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى
الزحفان كيف تصنع قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين إصبعي هاتين
قال ودحيت الأرض فتركت مثل الطست بين يدي أتناول منها حيث أشاء
قال وهو الذي بشره بأنه خليل الله. وقال سليمان ابن داود لملك الموت عليه السلام ما لي
أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا فقال ما أنا بذلك أعلم منك إنما هي صحف
أو كتب تلقى إلي وفيها أسماء. وقال وهب ابن منبه كان ملك من الملوك أراد أن
يركب إلى الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات
وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره
نفخة فملأه كبرا. ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل
رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال له أرسل اللجام فقد
تعاطيت أمرا عظيما فقال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره
على لجام دابته فقال اذكرها قال هي سر فأدنى إليه رأسه فساره فقال أنا
ملك الموت

أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجة
وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك ومالك أبدا فقبض روحه وخر كأنه خشبة ثم مضى
فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم فرد السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك
فقال هات فساره فقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته فقال
والله ما كان في الأرض غائب أحب إلي منك أن ألقاه فقال له ملك الموت اقض حاجتك
التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر
على أي حالة أقبض روحك قال تقدر على ذلك قال نعم إني أمرت بذلك قال
فدعني حتى أتوضأ وأصلي واقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد
وقال بكر ابن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه
أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والرقيق وغيره فلما نظر إليها بكى تحسرا
عليها فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما أنا بخارج حتى أفرق
بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك
المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه. وروي أن رجلا
جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين
وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع
إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت
لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان
من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا
أفزعه وهو على فراشه فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا

بي سيدكم فقالوا والا فتلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال قولوا له
وضيقته فقرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب اليه الحرس فقال أخبروه
أني ملك الموت فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال
قولوا له قولا لينا وقولوا هل يأخذ معه أحدا فدخل اليه فقال اصنع في مالك ما أنت
صانعه فاني لست بخارج حتى آخذ روحك فأمر بماله فوضع بين يديه فقال حين
رآه لعنك الله من مال شغلني عن عبادة ربي ومنعني أن أتخلى لربي فأنطق الله
المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي وتطرد المتقين عن أبوابك
بي وقد كنت تنكح المتنعمات وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقين عن ذلك وتنفقني في سبيل
الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت أنا وأنت من تراب
فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه
قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ليس مثله في الأرض مثله ثم عرج به الى السماء فقالت
الملائكة لمن كنت أشد رحمة حين قبضت روحه قال أمرت بقبض روح امرأة في
فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره
وكونه في فلاة لا متعهد لهما فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك
المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال يزيد الرقاشي بينما
جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله اذ نظر الى شخص
قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن أدخلك علي داري
فقال أما الذي أدخلني عليك الدار فربها وأما أنا فأنا الذي لا يمنع مني كل جبار عنيد
ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارتعد حتى سقط مكبا على وجهه
ثم رفع اليه

ثم رفع اليه رأسه متخشعا متذللا له فقال له أنت اذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي
حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك
فليس الى التأخير من سبيل قال فإلى أين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك
الذي مهدته قال فاني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد حسنا قال فإلى لظى نزاعة للشوى
ثم قبض روحه فسقط بين أهله من بين صائح وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون
سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر **التنبيه الخامس** في بيان وفاة الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين من بعده **اعلم** ان في الرسول صلى الله عليه وآله
أسوة حسنة وقدوة مستحسنة حيا وميتا وفعلا وقولا فان جميع أحواله عبرة
للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ لم يكن أحد أكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل
الله تعالى وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله ونبيه وجملة ما نذكره من ذلك وفيات خمس
الوفاة الأولى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اختار الله تعالى له جواره وأقام
في الدنيا بعد تبليغ الرسالة ونقله ثم الى رحمته فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء
مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح
الأنام فجدوا بروحه الزكية لينقلوها وعالجوها لينقلوها عن جسده الطاهر الى رحمة
ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد عند ذلك النزع
كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه واضطرب في الانقباض والانبساط
شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهده فهل
رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا
وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات هيهات بل امتثل

ما كان به مأموراً او اتبع ما وجب في اللوح المحفوظ مسطوراً منهما كان خاتم وهو عند الله ذو المقام الكريم
المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض وا
نحن انا لا نصبر به ولسنا على ثقة في ما نلقاه بل نحن اسرى الشهوات وقرناء المعاصي
والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا
نظن انا مخلدون او نعتقد انا مع اسواء افعالنا مكرمون هيهات هيهات ثم هيهات ما ابعد هذا
الوهم بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود
مستيقنون وللصدر عنها متوهمون فما نحن وكيف من المتقين ولا نرجو النجاة الا برحمة
من جهة ارحم الراحمين فلينظر كل عبد الى نفسه هل هو الى الظالمين اقرب ام الى المتقين
وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الايقان
ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وامام المتقين
فانظر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة المأوى
وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رأت الانصار ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يزداد ثقلا فدخل عليه الفضل ابن العباس فاعلمه بذلك ثم دخل عليه امير
المؤمنين كرم الله وجهه فحدثه فقال لهما فتناولاه فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
متوكئا على امير المؤمنين والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر فحمد الله واثنى عليه
وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون علي الموت كأنه استنكار للموت وما تنكرون
من موت نبيكم ألم انع اليكم وانع اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم
الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به وروي في صحيح [illegible] عنه ان الرسول

صلى الله عليه قال لابي بكر

صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي بكر سلني يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا
الاجل وتدلى فقال ابو بكر ليهنئك يا رسول الله ما عند الله فليت شعري ما منقلبك فقال
الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق
الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال ابو بكر من يلي غسلك يا رسول الله فقال
رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه او في حلة يمانية
او في بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم
الله عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري
ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته
ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبرئيل
وميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا
علي افواجا وسلموا تسليما وليبدأ منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر
النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى
قالت عائشة لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اغمي عليه
هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت
في ناحية البيت فناجاه الملك طويلا ثم انه دعاني واعاد رأسه في حجري ثم
قال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبرئيل فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل ارسلني وامرني ان لا ادخل
عليك الا باذن فان لم تأذن لي رجعت وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى
تأذن لي فماذا امرك فقلت اكفف حتى يأتي جبرئيل فهذه ساعة جبرئيل فجاء جبرئيل

في ساعته فعرفت حسّه وخرج اهل البيت فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن
عليّ فقال جبريل ان ربك لمشتاق اليك فانه فيما سيرتك وكرامتك وما استأ
ذن على احد قبلك ولا يستاذن على احد بعدك فقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم يا
جبريل لا تبرح حتى يجي اذ او عند هذا أذن للنساء بالخروج قالت وجاء ملك الموت
فسلّم على الرسول صلى الله عليه واله وسلم واستاذن فأذن له فقال الملك ما تأمر يا حبيب
الله الحق بربي الآن قال بلى من يومك هذا اما ان ربك لمشتاق اليك فقبض الملك
روحه الكريمة ثم خرج جبريل وقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما انزل
فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك
ثم ترددوا موقفي فيهم كذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد حذفنا كثيرا
من الحكايات ميلا الى الايجاز ولم يترك صلى الله عليه واله سيدا ولا لبيدا ولم يترك بعد وفا
ته مالا ولا بنا في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة
لسائر المسلمين **الوفاة الثامنة** وفاة امير المومنين كرم الله وجهه ولقد
كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم اخبره بذلك ونعى اليه نفسه حيث قال اشقى
الناس رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذه فيبل منها هذه
أراد على قرنه فيبل منها اللحية ولما كانت الليلة التي اصيب فيها عليه السلام
أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية
وهو كذلك فعاد الثالثة فقام عليه السلام يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا ولقد كان عليه السلام يقول بعد ان
ضرب على ام راسه كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر فأبى الله الا اخفاءه
فلما بلغ الباب الصغير شد عليه اللعين ابن ملجم فضربه حتى خرجت ام راسه

فرجته ام كلثوم

فرجته ام كلثوم فقالت اي والصلاة الصباح قتل فيها زوجي وقتل فيها ابي **وروي**
انه عليه السلام لما ضرب قال فزت ورب الكعبة **وروي** لما ضرب ما زال ينطق
لسانه بالشهادة حتى قبض **ولما ثقل الحسن** ابن علي رضي الله عنه دخل عليه
اخوه الحسين فقال يا اخي لاي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعلى
علي ابن ابي طالب وهما ابواك وعلى فاطمة بنت اسد وخديجة بنت خويلد وهما
امّاك وعلى جعفر وحمزة وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله
الوفاة التاسعة وفاة ابي بكر ولما احتضر ابو بكر قال وانظروا ثوبي هذين فاغسلوهما
وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج وقال له ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله
الا ندعو لك الطبيب ينظر فقال قد نظر الي وقال اني فعّال لما اريد ولما ثقل في مرضه
واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا
تقول لربك قال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاءه فقال
اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا في الليل لا يقبله
في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت
موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه
الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل
وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله تعالى ذكر اهل الجنة
باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون هؤلاء ولا ابلغ هؤلاء
وان الله تعالى ذكر اهل النار باسوأ اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوه فيقول

القايل انا افضل من هولاء وان الله تعالى ذكر اية الرحمة واية العذاب فيكون المومن راغبا
راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي فلا يكون
غايب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غايب ابغض
اليك من الموت ولست بمعجزه فقبل وصيته عند موته **الوفاة الرابعة** وفاة عمر
قال عمرو بن ميمون كنت قايما ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس غداة اصيب عمر وكان
اذا مر بين الصفين قال استووا حتى اذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر قال وربما
قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته
يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لولوة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر
على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة وفي رواية
اخرى سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ
نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما
رايت واما من كان في نواحي المسجد فانهم لا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت
عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا
قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن
شعبة فقال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي
على يد رجل مسلم يحاجني بلا اله الا الله فشرب لبنا فخرج من جرحه فعلم الناس انه ميت
ثم استاذن عايشة ان يدفن في بيتها فاذنت له ثم جاءت بنته حفصة فدخلت
عليه فبكت ساعة ثم خرجت من عنده فقالوا له اوص يا امير المومنين واستخلف فقال
ما اجد احق بهذا الامر من هولاء النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض

فسمى عليا

فسمى عليا وعثمن وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقال اوصي
الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه
بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان **الوفاة الخامسة** وفاة عثمن
رضي الله عنه عن ثمامة القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمن فقال انشدكم
الله الا ما ائتموني بصاحبيكم اللذين البّاكم علي فجيء بهما كانهما جملان او حماران
فاشرف عليهم عثمن فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بير رومة فقال من يشتري بير رومة
فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني
ان اشرب منها حتى اشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله هل تعلمون ان المسجد ضاق
باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها
في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا
اللهم نعم قال انشدكم بالله هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم
قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير ومعه ابو بكر
وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه الرسول برجله وقال اسكن
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا ورب الكعبة
اني شهيد **وروى** عن شيخ من بني ضبة ان عثمن حين ضرب والدم يسيل
على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم
واستعينك على ما ابتليتني واسالك الصبر على امري وقال عبد الله بن سلام لمن
حضر تشحط عثمن في المدينة حين خرج ماذا قال عثمن وهو يتشحط قالوا سمعناه

يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو علمتم ان لا تجمعوا
ابدا ما اجتمعتم الا يوم القيمة فهذا ما اردنا ذكره من وفاة الانبياء وانما اوردناه لما فيه من
الموعظة والذكرى لمن كان له قلب فلينظر الا تلك المنازعة لاشرف الخلق فيعلم انه لا فائدة في طول
الدنيا ولما فيه من سجاياهم وخلائقهم من الاعراض عن الدنيا والزهد فيها **التنبيه السادس**
في بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من اهل الزهد
والعبادة عند الاحتضار للموت وعند القبور وعند موت الاولاد وفيه مقامات ثلا
ثة نذكر ما يتعلق بكل واحد منها من كلماتهم النافعة الواقعة في القلوب
المقام الاول في ذكر اقوالهم عند الموت حكي انه لما حضرت معاذا الوفاة رضي الله عنه قال
اللهم اني كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء
فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظماء الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء
بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من
غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنق خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك
ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان
نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته
واحزناه قال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ولما حضرت ابراهيم النخعي
الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني من ربي بالجنة او النار وحضر
ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكني
اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضرت عامر بن عبد قيس الوفاة

بكى فقيل ما يبكيك قال

بكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ما يفوتني من ظماء الهواجر
وعن قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد
سفري وقلة زادي ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب
فبكى نصر فقيل ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا
قال اسكت فاني سألت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال
لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال
اية في كتاب الله انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن عليه السلام على رجل يجود بنفسه
فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لجدير ان
يزهد في اوله وقيل لبشر الحافي لما احتضر وكان يشق عليه الكلام كأنك تحب الحياة قال
القدوم على الله شديد وقيل لصالح الا توصي بابنك قال اني استحيي من الله ان اوصي
بابني وعيالي غيره ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم
الى رب كريم غفور رحيم فقال الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسب
على الصغير ويعاقب على الكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا
حدود الحق فبكى واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت عليك ابكي
فقال ابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة ولما حضرت يوسف
ابن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق
والجزع فقال يا ابا عبد الله كيف لا اقلق ولا اجزع وانا لا اعلم اني صدقت
الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه ما صدق في

في شيء من عمله واحتضر بعض الزهاد في وقت وفاته فقال يمكنك ان تعمل ما تريد فان
فقد بي ودخل المزني علا الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت
يا ابا عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا
ولكاس المنية شاربا وعلا الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الا الجنة فا
هنيها ام الا النار فاعزيها ومما احتضر بعض الزهاد سيل عن مسئلة فدمعة عيناه
وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وستين سنة هو ذا يفتح لا ادري ايفتح
لي بالسعادة او بالشقاوة فانا لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم عند الموت وتختلفه
وانما كان اختلافها بحسب اختلاف احوالهم في الخوف والرجاء والشوق والمراقبة فكل
واحد منهم يجيب علا ما يغلب من حاله فنسال الله تعالى ان يرزقنا حسن الرجاء فيه وان
يمنحنا حسن الخشية والخوف منه بمنه وطوله **المقام الثالث** في بيان اقاويلهم علا
الجنائز والمقابر اعلم ان الجنائز عبرة لكل بصير وفيها تنبيه للغافل وتذ
كرة وفيها موعظة وتذكير الا لاهل الغفلة فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة
لانهم يظنون انهم ابدا الا جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة علا الاعواد
محمولون او يحسبون ذلك ولكنهم علا القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين علا الجنا
يز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض علا القرب زمانهم فلا ينظر
عبد الا جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها الا انه علا
القرب وكان قد فقد **روي** عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا راى جنازة قال
امضوا انا علا الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا انا رائحون
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وقال اسيد
ابن حضير وما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به
وما هي صايرة

وما هي صايرة اليه ولما مات اخ لمالك بن دينار خرج مالك في جنازته وهو يبكي ويقول
والله لا تقر عيني حتا اعلم الا ما ذا صرت ولا اعلم ذلك ما دمت حيا وقال الاعمش
كنا نحضر الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع فهكذا كان خوفهم من الموت
والان لا ننظر الا جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون
ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر احد منهم في نفسه و
نظر ابرهيم الزيات الا اناس يترحمون علا ميت فقال لو ترحمتم علا انفسكم
لكان خيرا لكم انه قد نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة
الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال الضحاك قال رجل يا رسول الله
من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلا وترك فضل زينة الدنيا ولم
يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لامير المومنين ما شانك
جاورت المقبرة فقال اني اجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون
الاخرة وقال رسول الله صلى ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وروي
عن الرسول صلى الله عليه واله انه خرج الا المقابر والا قبر امه امنة بنت وهب فبكى وابكانا
ثم قال اني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي في زيارتها ولم ياذن لي
في ان استغفر لها فادركني ما يدرك الولد من الرقة وعن عثمان انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه واله يقول القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه فما
بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول
ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة
وبيت الظلمة فهذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو الدرداء الا اخبركم

يوم فقري يوم أوضع في قبري وكان الحسن ابن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما أ
حسن هذه الظواهر وانما الدواهي في البواطن وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل
خرج الى المقبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم فواعملاه
ثم يقول عطاء في القبر فلا يزال ذلك دأبه حتى يطلع الفجر وقال سفيان من اكثر
ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النار
وقال بعض الدعاة تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويتهيأ لفراشه للنوم
فتقول الارض يا ابن آدم الا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون ابن
مهران خرجت مع عمر ابن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل فقال
يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كأنهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم و
عيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلاء وأصاب الهوام
مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد
أمن من عذاب الله فهذه مقالاتهم على الجنائز والقبور تدل على الاحزان في قلوبهم
وثم قد انتهى في أ[illegible] **المقام الثالث** في بيان مقالاتهم عند موت
الاولاد حق على من مات ولده او قريبه ان يكون له في فقده حلم عليه في الحزن له
قال كان في نفس فليحفظه الى الغاية الذي هو مستقره وموطنه فانه لا يفوقه عليه
تأسفه لعلمه انه لاحق به على القرب فليس بينهما الا تقدم او تأخر وعلى
حال الموت فان مفقوده لسبقه الى الموطن الى يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قلّ
جزعه لاسيما وقد ورد في حديث الولد من الثواب ما يخفف اليه كل مصاب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل
في سبيل الله وانما ذكرت السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل

الولد من القلب

الولد من القلب وقال زيد ابن اسلم توفي ولد لداود عليه الصلاة والسلام فحزن عليه حزنا
شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر
مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم
الا كانوا جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه واثنان قال واثنان
وليخلص الوالد الدعا لولده عند الموت فانه ارجى دعائه واقرب الى الاجابة ووقف ابن
سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك واخافك فحقق رجائي وامن خوفي
ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب
لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر
فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر ابن عمر ابن ذر قام ابوه عمر الى
ذره بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري
ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله
ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر
في مصيبتي فقد وهبته ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال بعد
انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله من حاجة
فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال
ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن
ما شركني فيه احد قال وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان
لي صبيان مليحان يلعبان فقال الاكبر منهما للاخر أتريد ان اريك كيف ذبح
ابي الشاة قال نعم فاخذه فذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما

ارتفع الصراخ فخرج الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه في طلبه
فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر بأمثال هذه المصائب وفي الحديث
عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا يموت لأحد ثلاثة من الولد فتمسه النار
الا تحلة القسم وقال صلى الله عليه وآله اذا أمر الله الملائكة بقبض روح ولد الرجل فقبضوا
روحه فيقول الله تعالى ماذا قال والده فتقول الملائكة صبر واحتسب فيك
فيقول الله تعالى اشهدكم اني قد جعلت ثوابهما الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم زوروا القبور
تذكركم بها الآخرة واغسلوا الموتى فان معالجة جسد خاو فيه موعظة بليغة وصلوا
على الجنائز لعل ذلك ان يحزنكم فان الحزين في ظل الله تعالى فالمستحب في زيارة القبور
ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ويمسح القبر ولا يقبله
ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة
اذا كان يجيء الى القبر يقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على أبي وينصرف
وعن ابي امامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم
انصرف وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المستغيث ينتظر دعوة
تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان
هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار ويستحب الثناء على الاموات وان لا يذكروا
الا بالجميل قالت عائشة رضي الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا مات صاحبكم فدعوه
ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الاموات فقد أفضوا الى ما قدموا
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تذكروا امواتكم الا بخير فان يكونوا من اهل الجنة تأثموا
وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه

ان العبد ليموت

ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة
اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي فهذا اما
ما ذكرناه من ذكر الاقاويل عند الموت وعلى الجنائز والمقابر تبيان من اعظم الدواعي
والكبر فان الانسان لا يرضى ان يموت على حالته التي هو عليها ومع ذلك يعلم قطعا
يقينا انه الاضعف وعوائد وشيخوخة ونقصان فهذا اجمل فقرا وحمق متولي
فلا حول ولا قوة الا بالله وانا اليه راجعون التنبيه السابع في بيان ما تلقاه
في القبر الى نفخة الصور اعلم انا قبل الخوض فيما نريده نذكر حقيقة الموت
ففيها خبط عظيم بين العلماء وفيه مذاهب ان بعض المذهب الاول ان الموت
هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات
وجفاف الاشجار وهذا هو رأي الملاحدة وكل من مات لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر
وهذا هو رأي الفلاسفة ايضا فانهم زعموا انكار البعث الآخر على ما جاء به الرسل صلوات
الله عليهم ونطق به ظواهر الشريعة ورجعوا الى هذيانات باطلة وتمويهات كاذبة
المذهب الثاني زعم قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا ينعم
بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وهذا هو رأي المنكرين لعذاب القبر
المذهب الثالث قال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم
بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا
تحشر اصلا المذهب الرابع وهو المختار الذي نطقت به الآيات وشهدت به الاخبار
ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة
واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد هو انقطاع تصرفها عن الجسد لخروج الجسد
عن طاعتها فان الاعضاء للارواح يستعملها حتى انه يبطش باليد ويمشي بالرجل ويسمع

بالأذن ويبصر بالعين وكذلك فإنه يتنعم بأنواع الفرح والسرور ويتألم بأنواع الأحزان
والغموم فكل ما كان وصفاً للروح بنفسه فهو باقٍ معه بعد مفارقة الجسد وما هو
لكمال بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد وبعد هو الذي
يريده أهل العدل بقولهم إن الإنسان بنيته صفته هي المثابة المعاقبة المخاطبة
وعلاوة على الجمل ما ورد في الآيات والأخبار وفيه كلام كثير لا حاجة بنا إلى استقصائه
ومقدار الغرض حاصل بما ذكرناه هاهنا فإذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر كلام القبر للميت
ثم نردفه بالكلام في عذاب القبر ثم نذكره على أثر سؤال منكر ونكير فههنا مقامات ثلاثة نفصلها
بعون الله تعالى **المقام الأول** في بيان كلام القبر للميت إما بلسان المقال وإما بلسان الحال قال
الرسول صلى الله عليه وآله يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم
أني بيت الوحدة وبيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر علي فذاً
والفذ هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي فإن كان مصلحاً
أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر
إني إذاً أتحول عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى وقال بعض
الزهاد ما من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحشة
والانفراد وقال يزيد الرقاشي بلغني أن الميت إذا وضع في قبره واحتوشته
أعماله ثم أنطقها الله تعالى فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء
والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته
أعماله الصالحة الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب
من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما
فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه في دار الدنيا فيأتونه
من قبل جسده فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد

لا سبيل لكم عليه

لا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة
خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه فيقال له
هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً
من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء
بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره فهذا كلام القبر كما ترى **المقام الثاني** في بيان
عذاب القبر قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة
رجل من الأنصار فجلس رسول الله على قبره منكساً رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك
من عذاب القبر ثلاثاً ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله سبحانه ملائكة
كأن وجوههم الشمس بحنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه
صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس
منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب
عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته بقولي
منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال
يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى
الله عليه وآله فينتهرانه انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى
منادٍ أن صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول
أبشر برحمة من ربك وجنات لهم فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير
من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله إن كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصيته

فجزاكم الله خيرا قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة ~~فيقول اللهم عجل قيام~~
وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب من الجنة فيقول اللهم عجل قيام
الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي وأما الكافر فإذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا
نزلت ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا
خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب
السماء فليس منها باب إلا ويكره أن يدخل بروحه منه وقيل رب إن عبدك فلان
لم تقبله سماء ولا أرض فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته بقولي
منها خلقناكم وفيها نعيدكم وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له
يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري ثم يأتيه آت قبيح الوجه
منتن الريح قبيح الثياب فيقول له أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم فيقول بشرك الله
بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله إن كنت في معصية الله بطيئا عن طاعته
فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من
حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يرفعوها ما استطاعوا أو لو ضرب بها جبل
لصار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم يعيد فيه الروح فيضربه بها ضربة
يسمعها من على وجه الأرض ليس الثقلين ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين
من نار وافتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار وقال
محمد بن علي ما من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة
قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال أبو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وسلم
إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل
روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية
مرضية ومرضيا عنك إلى روح الله تعالى وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت
على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين وإن الكافر

إذا احتضر أتته

احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال
أيتها الروح الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك إلى هوان الله تعالى وعذابه فإذا
أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذ
هب بها إلى سجين حيث تكون أرواح الشياطين ونكتفي بهذا القدر في عذاب القبر
ففيه كفاية في مقدار غرضنا ولكن اعلم **المقام الثالث** في بيان سؤال
منكر ونكير وضغطة القبر وبقية الكلام في عذاب القبر قال أبو هريرة قال الرسول
صلى الله عليه وسلم إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر
وللآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في النبي فإن كان مؤمنا ثبته الله وعباده للصدق
فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان
له إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا
وينور له في قبره فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال له لا سبيل لك
إلى الرجوع ولكن نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه
حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لا أدري سمعت الناس
يقولون شيئا فكنت أقوله فيقولان له إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض
التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا
حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب
يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع
وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك

فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك واذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر
نكير ومنكر اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران
اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فيتلتلانك وترترانك كيف بك عند ذلك
يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الان قال نعم قال واذا اكفيكهما وهذا
نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت وانما يتغير الاعضا والبدن والقائل
هو الروح وعلى هذا يكون الميت عاقلا مدركا عالما بالالم واللذة الا انما كان
لا يتغير من عقله شيء وليس العقل متغيرا بحاله قال محمد بلغني ان الكافر يسلط
عليه دابة في قبره عميا صما في يدها سوط من حديد في راسها مثل عرف
الخيل تضربه به الى يوم القيمة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه اللهم
سلط شيئا علينا وقال شعبي لا تنجي الاعمال الصالحة عنه كما يخاف الرجل عن
اخيه واهله وولده ثم يقال له بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم
الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى في جنازة فجلس على راس
القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط قد اجيب عن هذا في شرح الصدور المومن
في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة رضي ان للقبر ضغطة ولو سلم او نجا
منها احد لنجا منها سعد بن معاذ وعن انس بن مالك قال توفيت زينب بنت رسول
الله صلى وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى فساءنا حاله فلما انتهينا الى
القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا
منك شيئا فما ذلك قال ذكرت ضغطة القبر ابنتي وشدة عذاب القبر
فاتيت فاخبرت

ان الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها من بين الخافقين عليه الجن والانس
وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في لحده جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه
من قبل راسه جاءت قراءته القران وان جاء من قبل رجليه جاء من اجل قيامه وان اتاه
من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطهما للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه
وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصبر بناحيته فيقول اما
اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه وقد فرغنا من هذه المقالة التي جعلناها
خاصة لاحوال الميت من حين الانفخة الصور ونشرع الان في نفخة الصور الاخر
الاستقرار المقالة العاشرة من علوم الكتاب وهو اخر الديوان

في ذكر احوال الميت من نفخة الصور الاخر الامر في ذلك من الاستقرار في الجنة او النار
وتفصيل ما يجري بينه من الاهوال والاخطار واعلم ان هذه المقالة مشتملة على
شرح الخطايا التي من مقابله تعالى وجملة ما نورد من ذلك يحصل في تنبيهات
عشرة نوضحها بعون الله تعالى **التنبيه الاول في بيان نفخة الصور**
اعلم انا قد ذكرنا فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت ومشاهدة الملائكة
ثم مقاساة ظلمة القبر ووجدانه ثم منكر ونكير وسؤالهما ثم عذاب القبر
وخطره واعظم من ذلك الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور
والعرض على الجبار والسؤال على القليل والكثير ونصب الميزان ثم انتظار النداء
عند فصل القضاء اما بالسعادة واما بالشقاوة فهذه احوال واخطار لا بد
لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر

فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد واكثر الخلق لم يدخل الايمان باليوم الآخر
صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء قلوبهم واذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به
السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن شاهد عجائب الخلقة في النطفة القذرة ثم
تركيبها على هذا التركيب العجيب ولقد شاهدت المخلوقات لم يستبعد النشأة الثا
نية فانها مثل الاولى واسهل منها واذا كنت قويا في الايمان فاشعر قلبك تلك
المخاوف والاخطار واكثر فيها الفكر والاعتبار وتفكر اولا فيما يقرع سكان
القبور من شدة نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس
الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا
بدنك من قرنك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين
نحو النداء وقد ثار الخلائق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم
الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة
الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ
يوم عسير ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة
تاخذهم وهم يخصمون الى قوله وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا
هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في
السموات ومن في الارض اي يموتون بها الا ما شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك
قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة
واصغى بالاذن منتظرا يؤمر فينفخ وقال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل
واضع

واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو
شاخص ببصره نحو العرش فينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى واذا نفخ صعق
من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبرئيل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض روح جبرئيل ثم روح ميكا
ئيل واسرافيل ثم يامره فملك الموت فيموت ثم يلبث الخلائق بعد النفخة الاولى في البرزخ
اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون على ارجلهم فيمشون على ارجلهم الى البعث وقد قال
صلى الله عليه وسلم حين بعثت الا بعث صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى
ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتق النفخ فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم
واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعا
دة او شقاوة وانت بائس فيما بينهم منكسر مثل انكسارهم متحير مثل تحيرهم
بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم هم
اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الو
حوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها
ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة
وهول النفخة وشغلهم عن النفرة من الخلق والتوحش بهم وذلك قوله واذا الوحوش
حشرت ثم اقبلت الشياطين المتمردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خا
شعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشيا
طين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك بها بالحقيقة من الطين

والفشل والانزعاج **التنبيه الثاني** في بيان صفة ارض المحشر واهله ثم انظر كيف
يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع
صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها ربوة يختفي الانسان وراها ولا
وهدة تنخفض عن الاعين بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه
زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارضين اذ ساقهم
بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية
وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة
قال الرسول صلعم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة نقي قال
الراوي ليس فيها علم لاحد اي بناء كذا في كتب الجوانب ولا احد والعفر
بياض ليس بالناصع والنقي هو الخالص من القشر والنخالة فلا ابنا ستر ولا تفاوت
في البصر والسموات بعد هدم سمائها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول
ذلك اليوم وشدته فاذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم
السماء وانطمست الشمس والقمر واظلمت الارض بخمود سراجها فبينما انت كذلك
اذ تزلزلت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها وغلظها
خمسمائة عام والملائكة على ارجائها وارجائها تنهار وتسيل كما الفضة
المذهبة في الطرها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل
وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة
مشاة قال رسول صلعم يبعث الناس عراة حفاة غرلا قالت سودة واسو
تاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه قال ابو هريرة قال الرسول صلعم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف
ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم

فقال الذي

فقال الذي قدر على ان امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع
الادمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية لانكر مشيها على بطنها
كالبرق الخاطف والمشي بالرجل مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر
شيئا من عجائب القيمة واهوالها لمخالفته لقياس الدنيا فاخطر في قلبك صورتك وانت
واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من الاهوال
ولحق في قرناش تنهكك مما ترى من تغير الاحوال واعظم ما يجري عليك هو سماع النداء
والقضاء بالسعادة او الشقاوة فاعظم بهذه الحالة فانها لعظيمة واستعد لها وليها
فانها منا بقريبة والله اعلم بالصواب **التنبيه الثالث في بيان صفة العرق
يوم القيمة** ثم تفكر في نفسك عند ازدحام الخلائق واجتماعهم الذين حصلوا
في الموقف وازدحموا عليه اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس
وشيطان ووحش وسبع وطاير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت
عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين قاب قوسين فلم يبق على
الارض ظل الا ظل العرش ولا يستظل به الا المقربون ثم بين مستظل بالعرش ومضحى
بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تزاحمت الخلائق
ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجل
والحياء من الافتضاح والخزي عند العرض على جبار السماء واجتمع وهج الشمس وحر الانفاس
واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال ذلك
على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق
ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه وقال

ابو هريرة قال رسول الله صلى يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا
ويلجمهم ويبلغ آذانهم هكذا رواه البخاري في صحيحه اعتمادا الامام على صحيح البخاري
رحمه الله تعالى وقال عقبة ابن عامر قال رسول الله صلى تدنو الشمس يوم القيمة من الارض فيعرق
الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم من يبلغ فخذيه
ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها ومنهم من يغطيه عرقه
وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان
فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك
ولم يلقوا حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغك العرق واعلم ان كل
عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء
حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف او نهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد
القيمة ويطول فيه الكرب وتعظم فيه الاحزان فنسأل الله النجاة من
أهواله والفوز بجوائزه وكرمه وإفضاله

التنبيه التاسع في بيان حال يوم القيمة

وما يجري فيه اعلم ان هذا اليوم قد عظم الله شانه واوضح على السنة الرسل
علامته وبرهانه فلنذكر صفة طوله وما يجري فيه من الدواهي فهذان مقامان
نوضحهما بعون الله تعالى

المقام الاول في بيان صفة طوله

فقد قيل ان
الخلائق يقفون شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امرهم
ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح
نسيم قال كعب وقتادة في تفسير قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
قال يقومون ثلثمائة عام وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله كيف بكم اذا جمعكم الله

كما يجمع

كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بقوم قاموا على
اقدامهم خمسين الف سنة لا ياكلون فيها اكلة ولا يشربون فيها شربة حتى انقطعت
اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا ثم ينصرف بهم الى النار فيسقون من عين
آنية قد آن حرها واشتد نضجها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم
بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني
نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد منهم بشدة غضب
الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لمن يؤذن فيه حيث الاية الكريمة يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا واعلم ان كل من طال انتظاره في الدنيا
للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة
قال رسول الله صلى لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال هذا الخلق للكلام الاول في الاهوال ان المؤمن
يلحق منها جعلنا الله ممن يخلفه وينجيه من كل فتنة برحمته والذي نفسي بيده انه ليخفف
عن المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك
المؤمنين فمهما بقي لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد كله بيدك فاعمل في ايام
قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف
سنة لتتخلص من يوم مقداره خمسين الف سنة فلولا تفضل الامكان الخلاص من ذلك اليوم دون
تجار الجنة والحذر من النار لكان يزيدك كثيرا وتعذيب يسير ان نكيف ما ينطق اليه من الاهوال العظام
والدواهي التي تعب العقول والاحلام

المقام الثاني في بيان ما يجري فيه من الدواهي

الفاجعة فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد وقته والقاهر سلطانه
القريب اوانه يوم السماء فيه انفطرت والجبال سيرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم

الذنوب مكفرات والشمس فيه مكورة والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت
والنفوس زوجت والجحيم سعرت والجنة أزلفت والجبال نسفت والأرض قد مدت يوم
زلزلت فيه الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ
تحدث أخبارها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم حملت الأرض والجبال
فدكتا دكة واحدة يوم وقعت فيه الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ وا
هية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى
منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة يوم رجت فيه الأرض رجا وبست الجبال
بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش
يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم ينسف
الجبال نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب يوم انشقت السماء فيه فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسأل عن ذ
نبه إنس ولا جان يوم يمتنع الفصيح فيه من الكلام ولا يسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ فيه بالنواصي
والأقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد بما قدمت
وأخرت يوم تخرس فيه الألسنة وتنطق فيه الجوارح يوم شيبت ذكره شيبة المرسلين
إذ قال له الصديق يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت
فيا أيها القارئ العاجز حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحريك به اللسان ولو كنت مؤمنا
في ما تقرأ لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين وإذا قنعت بحركة
اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن والقيمة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر
من ذكر أساميها لتقف من كثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير
الألقاب بل الغرض من التنبيه لذوي العقول والألباب فتحت كل اسم من أسمائها أسرار ومعان
وفي كل نعت

وفي كل نعت من نعوتها معان وفوائد فاحرص على إدراك معانيها. **التنبيه الخامس في بيان**
أسماء القيامة وألقابها اعلم أن اختلاف الألقاب عليها وانتاج الأسماء الكثيرة إليها إنما هو
من أجل ما يحصل فيها من الأهوال وما لنا يجب فيها من تغير القلوب والأحوال وهي يوم القيامة
يوم الحسرة يوم الندامة يوم المحاسبة يوم المسائلة يوم الصاخة يوم الجمع يوم الموعود يوم
المسابقة يوم المناقشة يوم الدين يوم معلوم يوم المنافسة يوم الحساب يوم القرار يوم المصير
يوم لا ريب فيه يوم المنافسة يوم البقاء يوم الرجفة يوم السكرة يوم القارعة يوم
البلاء يوم الزلزلة يوم الراجفة يوم الوعيد يوم الفزع يوم المنتهى يوم الداهية يوم الحق
يوم الطامة يوم عظيم يوم المآب يوم الميقات يوم الفراق يوم الجزاء يوم المرصاد يوم الفرق
يوم التناد يوم عسير يوم الاختفاء يوم الافتقار يوم العذاب يوم النشور يوم اللقاء
يوم الصاخة يوم الانشقاق يوم الانتشار يوم الخزي يوم الدعة يوم الخلود يوم الخروج
يوم التغابن يوم الحشر يوم الغاشية يوم عبوس يوم موعود يوم الوزن يوم القاضية
يوم الفصل يوم الحاقة يوم مشهود يوم تبلى السرائر يوم الفتح يوم التلاق يوم الآزفة
يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا يوم عقيم يوم القصاص يوم الحرج يوم النفخ يوم المآب
يوم الميقات يوم تشخص فيه الأبصار يوم التهلكة يوم القرار يوم الزلزلة يوم القضاء يوم القلق
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم الواقعة يوم البكاء يوم الانكدار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
يوم الراجفة يوم الصرخة يوم الوقوف يوم الآزفة يوم الحكم يوم الوعيد يوم يدعون إلى نار جهنم
دعا يوم الغضب يوم تسحبون في النار على وجوههم يوم يكشف فيه الأستار يوم الختم يوم
تقلب وجوههم في النار يوم خشعت فيه الأبصار يوم يقل فيه الالتفات يوم لا يجزي والد
عن ولده يوم تبرز فيه الخفيات يوم ينادي فيه العباد يوم الغضب يوم يفر المرء من أخيه
يوم يظهر فيه الاستشهاد يوم يكثر فيه البكاء يوم الشاهد يوم لا ينطقون يوم لا يؤذن

لهم فيعتذرون يوم توضع فيه الموازين يوم تبرز فيه الجحيم يوم الكلام يوم لا مرجع ولا
يوم يغلي فيه الحميم يوم ييأس فيه الكفار يوم الملاقية يوم هم بارزون يوم تشقق فيه
النيران يوم تزل فيه الركبان يوم الشدايد يوم هم على النار يفتنون يوم تسير الجبال
يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم تنطق فيه الجوارح يوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار يوم تسكن فيه الاصوات يوم تظهر فيه الخطيئات يوم يشيب فيه الصغير
يوم ترجف فيه المعاذير يوم تبلى السرائر يوم تنشر فيه الدواوين يوم تطوى فيه
الضماير يوم تزفر فيه النار يوم تتغير فيه الالوان فيا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم حين أغلقت الابواب وأرخيت الستور واستترت على الخلايق ولابست الفجور
فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل
الله الينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بدنو القيامة ونعوت يوم
الدين ثم يخبرنا غفلتنا ويقوله اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يخبرنا قرب يوم القيامة
بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل
الساعة قريب ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة القرآن عملا فلا نتدبر معانيه
ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للفرار من عقابه ودواهيه نعوذ
بالله من غفلة مستولية على القلوب ونستجير بالله من استحكام الزلل وغلبة الذنوب التنبيه

السادس في بيان صفة النار واهوالها وانكالها ايها الغافل عن نفسه

المغرور بما هو فيه من شواغل الدنيا المشرفة على الانقضاء دع الفكر في ما انت مرتحل عنه وافرغ
فكرك في الاهوال ... فانك اخبرت ان النار مورد للجميع حيث قال تعالى وان منكم الا
واردها فانت من الورود على يقين فكيف حالك القبور وتامل في حال الخلايق وقد قاسوا

من دواهي

من دواهي القيمة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين اذ احاطت بالمجرمين سوء
اعمالهم ونحن الآن نشير الى صفاتها على جهة الجملة وعلى جهة التفصيل فنقدم في تقريرين

التقرير الاول في ذكر صفاتها على جهة الاجمال

اعلم ان حال النار اعظم من ان يوصف
وعذابها اكبر من ان يكتنف فبينما اهل الاجرام والاثام في المحشر على ما اصابهم من تلك الكائنات
اذ غشيتهم ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة
تفصح عن شدة الغيظ والغضب فايقن المجرمون عند ذلك بالعطب وجثت الامم
على الركب واشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قايلا
اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل
فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه الى العذاب
الشديد ويزجونه في قعر جهنم ويقولون ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا
دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد
فيها السعير فشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم
امانيهم فيها الهلاك وما لهم عنها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت
وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون من اطرافها يا مالك قد حق
علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها
فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات هيهات ولات حين امان ولا خروج لكم من دار
الهوان فاخسؤوا فيها ولا تكلمون لو اخرجتم لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدين فعند ذلك
يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون فلا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون
في النار على وجوههم وظلل من النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار
عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم

نار منهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل منهم
يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي
بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل وصراخهم عند بالثبور صب من فوق
رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ثم يضربون بالمقامع فتهشم فيتفجر الصديد
من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم وتسقط من الوجنات
لحومها وتتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها وتعرى من اللحم عظامهم فتبقى الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي في
ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا
من الحممة وأعميت ابصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت
عنهم آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم واقدامهم
وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في
بواطن احداقهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة
احوالهم على جهة الاجمال فيما يتصل بهم من النكال **المقصد الثاني** في بيان ذكر
صفاتهم على جهة التفصيل وتفاصيل النكالات التي حلت بهم لا يعلم كنهها الا الله تعالى ولكن
نشير منها الى انواع عشرة **النوع الاول** امكنة النار فهي دركات بعضها فوق
بعض فالاعلا جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية قال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب
سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي المنافق والكافر حتى يواقع
ذلك كله وقال صلى الله عليه وآله وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما جب
الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة اعده الله للقراء
المرائين **النوع الثاني** طعامهم وهو الزقوم قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على اهل الدنيا معايشهم وقال الله تعالى ليس لهم
طعام

طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وقال تعالى وطعاما ذا غصة **النوع الثالث**
شرابهم وهو الحميم والغساق وهو الصديد الذي يسيل من ابدانهم قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
لو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن اهل الارض والصديد في قوله تعالى ويسقى
من ماء صديد والمهل في قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب
النوع الرابع الجوع قال الرسول صلى يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من
العذاب فيستغيثون بالطعام والشراب فاما الطعام فيرفع اليهم الزقوم بكلاليب من
نار حديد فاذا دنا من وجوههم شوى وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع امعاءهم
كما حكى الله تعالى فقطع امعاءهم واما الشراب فهو الحميم **النوع الخامس** حيات النار
وعقاربها قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن
اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن
اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا **النوع السادس** تعظيم اجسامهم
فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يعظم عذابهم بلسع العقارب والحيات
ولفح النار قال الرسول صلى ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث
النوع السابع البكاء والشهيق والعويل الذي لا ينفع قال الرسول صلى يرسل
على اهل النار البكاء حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة
الاخاديد حتى لو ارسلت فيه السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والعويل
والشهيق والزفير والدعاء بالويل والثبور لكن فيه سرور وخير ولكنهم ممنوعون من
ذلك **النوع الثامن** الحسرة العظيمة بفوات الجنة ونعيمها قال الرسول صلى الله عليه
يؤتى يوم القيامة بناس من اهل النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا

الا قصورنا فقالوا ما أعجب الله لا نعلمها فيها فتحرق وجوههم عندها فيرجعون بحسرة ما رجع
الأولون بمثلها النوع التاسع القيود في أرجلهم والسلاسل في أعناقهم والأ
غلال يسحبون بها في النار على وجوههم قال الله تعالى مقرنين في الأصفاد وقال إذ
الأغلال في أعناقهم والسلاسل النوع العاشر اللباس قال تعالى سرابيلهم من
قطران وإنما قال من قطران لأن النار إلى القطران أسرع ما يكون وأشد حرا فهذه
أوصاف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية
له لهما وقد قال صلى الله عليه وآله يؤتى يوم القيامة بكبش أملح فيذبح بين النار والجنة
ثم يقال يا أهل النار خلود ولا موت ويا أهل الجنة خلود ولا موت قال مالك ابن
أنس في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال يصبرون مائة
سنة ثم يجزعون مائة سنة ثم يقولون بعد ذلك ما لنا من محيص فانظر أيها الغا
فل المسكين في هذه الأهوال واعلم أن النار خلقها الله تعالى بأهوالها وخلق لها
أهلا لا يزيد ولا ينقص وأن هذا أمر قد قضي وفرغ منه فانظر الأحوال وأعمالك
فإن كلا ميسر لما خلق له فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر بالنجاة
الأبدية والبعد من النار وإن كنت لا تقصد خيرا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه
عنك ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك فاعلم ذلك أمارة الخاتمة فنسأل الله تعالى
التوفيق في خلقه والعمل الصالح لوجهه وحسن التأدب بآدابه ونعوذ به من عقابه التنبيه
السابع في ذكر صفة أهل الجنة ونعيمها اعلم أن هذه الدار
التي عرفت غمومها وشرورها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها
فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول
الفكر في الجحيم الأليم واستثر الرجاء بطول الرجاء للنعيم المقيم لأهل الجنان

وسوق نفسك

وسق نفسك بزمام الخوف وزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم
وتسلم من جملة من العذاب الأليم وتفكر في أهل النعيم أهل الجنة تارة على
جهة الإجمال وتارة على جهة التفصيل فنذكر مقامات المقام الأول وجه
الإجمال فاعمل فكرك في أهل الجنة فيجب لما فكرته سبحانه تعرف في وجوههم نضرة
النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك جالسين على منابر من الياقوت الأحمر
في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر متكئين على
أرائك منصوبة على أطراف الأنهار المطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والو
لدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن
إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل
أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه
الأبصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غطرات عجبات
آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت في وسط روضات
الجنان قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأبا
ريق وكأس من معين ويطوف عليهم خدم وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء
بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في مقعد صدق عند مليك مقتدر
ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون
وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون
فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا

في الثمار أرضها فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرجائها تلالها مسك أذفر ونباتها
زعفران ويمطرون من سحائب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب وأي
أكواب أكواب فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم
ممزوج بماء السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفائه حد تعرك به يبدو الشراب
من وراء أمثاله رقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسويته صنعته وتحسين عمله
عليه في كف خادم يحكي ضياؤه وجهه الشمس في إشراقها ولكن أين الشمس من حلاوة صورته
وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فيا عجبا لمن يؤمن بهذه الدار التي وصفناها
ويوقن أنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع فيها ثم تنزل بفنائها ولا تنظر الأحداث
بعين التغيير إلا أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله بخرابها وبتهيئة العيش
دونها ومنه لم يكن فيها الاستلذاذ بالأبدان مع الأمن من الحزن والجوع والعطش وسائر
أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها دار
التصرم والتنغيص من طرو زينها فكيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور
متنعمون لهم فيها فاكهة ولهم ما يشتهون في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى
جمال الكريم وثوابه ينظرون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم مترددون ومن زوال
النعيم آمنون لا يمسهم فيها نصب وهم فيها خالدون قال أبو هريرة قال الرسول صلى
إذا أصاب أهل الجنة في الجنة نادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا
فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وتنودوا أن تلكم الجنة أورثتموها
بما كنتم تعملون فهذه أبيات وصفها على جهة الإجمال فقد أشرنا إليه بما ذكرناه
والله أعلم **المقام الثاني** في ذكر أحوالها على جهة التفصيل فتأمل عجائبها

فهي كثيرة

فهي كثيرة جنة الفردوس وجنة المأوى وجنة عدن وجنة الخلد وجنة النعيم وفي قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما
وما فيهما ونحن الآن نشير إلى التفصيل نعيمها ونشير إلى أصناف عشرة **الصنف الأول**
في صفة أبواب الجنة وهي كثيرة بحسب أصول الطاعات فمن كان من أهل الصلاة دعي
من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة فهو
دعي من باب الصدقة وإن فعل هذه الطاعات كلها دعي منها كلها وهي ثمانية وأبواب
النار سبعة **الصنف الثاني** حيطانها وقد قال صلى الله عليه أن حائط الجنة
لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل رسول الله عن
تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص والله أعلم **الصنف الثالث**
أشجارها وأنهارها قال رسول الله صلى الله أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو من تحت
جبال المسك وقال أبو هريرة أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها
اقرؤوا إن شئتم وظل ممدود وفي قوله تعالى وسدر مخضود أي يخضد الله شوكها فيجعل
مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمرة عن اثنين وسبعين لونا ما فيها لون يشبه
الآخر **الصنف الرابع** لباس أهل الجنة قال الله تعالى يلبسون من سندس وإستبرق
متقابلين وقال ولباسهم فيها حرير وقال متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان
وقال رجل أخبرنا يا رسول الله عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا فسكت
رسول الله صلى الله وضحك بعض القوم فقال صلى الله عليه وآله مم تضحكون من جاهل سأل عالما
ثم قال صلى الله عليه بل تنشق عن ثمر الجنة من بين أكمامها ويتفلق عنها **الصنف الخامس**
حلية أهل الجنة قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا وقال الرسول صلى
الله عليه إن التيجان أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى من يدخل الجنة ينعم

ولا يبقى من بأس فقر واشتدت حاجته تبشر ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

الصنف السادس

فرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم قال الله تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين وقال تعالى فيها سرر مرفوعة وقال تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان وقال صلعم ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض وقال تعالى متكئين فيها على الأرائك وقال تعالى حور مقصورات في الخيام قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وفي حديث آخر الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يرونه الآخرون

الصنف السابع

طعام أهل الجنة قد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم كقوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وقال تعالى ولحم طير مما يشتهون وقال تعالى وفاكهة ولحم مما يشتهون وقال تعالى وأتوا به متشابها وقال الرسول صلعم تحفة أهل الجنة عند دخولهم الجنة زائدة كبد الحوت وغداؤهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها وقال الرسول صلعم إن الرجل من أهل الجنة لينظر إلى الطير في الجنة فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا وما يأكل منه من الطعام فإنه يعود غضا فيفيض من جلوده مثل المسك وقال الرسول صلعم عليه إن في الجنة طيرا أمثال البخاتي فقال أبو بكر إنها لناعمة فقال صلعم أكلها أنعم منها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر وقال عبد الله ابن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليه بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى

الصنف الثامن

شرابهم وعيونهم قال الله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وقال تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وقال تعالى يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك

ختامه مسك وقال تعالى ومزاجه من تسنيم وقال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا وقال تعالى إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقال أبو الدرداء في قوله ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها

الصنف التاسع

صفة الحور العين والولدان وهم كما حكى الله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال كأنهن الياقوت والمرجان وقال تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين وقال الرسول صلعم لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها وقال صلعم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذ بصره حتى يرى مخ ساقيها من وراء ذلك وقال الرسول صلعم لما أسري بي دخلت موضعا يقال له البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء فقال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا وقرأ الرسول صلعم حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد ولهم فيها أزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والمني والولد وقال الأوزاعي في قوله في شغل فاكهون قال إن شغلهم كان في افتضاض الأبكار

الصنف العاشر

في بيان جمال ووصف الجنة قال الرسول صلعم لأصحابه ألا هل مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة

وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية قالوا نحن
المتمرون لما قال قولوا ان شاء الله تعالى وجاء رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة خيل فانها
تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت
وجاء رجل فقال هل في الجنة ابل فان الابل تعجبني فقال يا عبد الله ان دخلت الجنة فلك
فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون
الف خادم وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين
الجابية وصنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق
والمغرب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن
يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار
سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التوراة
بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذا ما اردنا ذكره
في صفة الجنة واهلها على جهة الاجمال والتفصيل والله اعلم

التنبيه الثاني

في باب ذكر الميزان والصراط والحوض اعلم ان هذه الامور الثلاثة لا بد
منها في يوم القيامة وقد وردت بها الاخبار فلا حاجة بنا الآن الى بيانها بل بقدر ما تعلق
بظواهرها لما فيها من الزجر والتحفظ على الاعمال ونذكرها في مقامات ثلاث

المقام الاول في ذكر الميزان وصفته ثم اعلم ان الناس في الميزان وتطاير الكتب على
الشمائل والايمان فان الذي بعد السؤال فرق ثلاث فرقة ليس لهم حسنة

يخرج من النار عنق

يخرج من النار عنق اسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم فيلقيهم في النار فتبت
لفح النار وينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها وفرقة اخرى لا سيئة لهم فينادي
ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام
الليل ثم من لم تشغله تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي عليهم بالسعادة لا شقاوة
بعدها وفرقة ثالثة هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى
على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن الله يأبى الا ان يعرفهم ليبين لهم فضله
بالعفو وعدله بالعقاب فعند ذلك تتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات
والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين او في الشمال ثم
الى لسان الميزان أيميل الى جانب الحسنات او الى جانب السيئات وهذه حالة عظيمة
تطيش فيها عقول الخلائق وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى
ابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوزن اعماله ويوكل به ملك فان
ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا شقاوة
بعدها وان خف ميزانه نادى بصوت يسمعه الخلائق شقي فلان شقاوة لا سعادة
بعدها وعند خفة الميزان اقبلت الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب
من نار فياخذون نصيب النار الى النار وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل يذكرون اهليهم يوم القيامة فقال والذي نفسي بيده اما في ثلاثة مواطن
فلا احد يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم
أيخف ميزانه او يثقل وعند نشر الصحف حتى ينظر ايأخذ كتابه بيمينه ام
بشماله وعند الصراط وليستا قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

المقام الثالث في ذكر الصراط وهو من الاهوال العظيمة فان الناس بعد هذه الا
هوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق
من الشعر فمن استقام في الدنيا على الصراط المستقيم فانه يخف على صراط الآخرة
وينجو ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى فانه يتعثر
على اول قدم من الصراط ويتردى فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع لفؤادك
اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك
شهيق النار وزفيرها وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف
حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدميك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك
عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى
رجليك فاحسست بحدته واضطررت الآن ترفع القدم الثانية والخلائق بين
يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية جهنم بالخطاطيف والكلاليب وانت
تنظر اليهم كيف يتنكسون فتستفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فيا له
من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت
تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق
وهم يتهافتون والرسول صلعم يقول رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد
ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف لو زلت بك قدمك
ولم ينفعك ندمك و[illegible] فقلت وا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني
قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي
المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس

والاستغاثة

والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن به فما اطول
مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له
متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يكن باعثا لك
على السعي في طلب رضاه بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط
واضطراب قلبك من حدته وفزعه عند المرور مع السلامة لكان كافيا هولا وفزعا
قال الرسول صلعم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز
بامتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم
وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا
رسول الله قال غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق
بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلعم يمر الناس
على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا
جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم
من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي
مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم
اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه يجمع الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة
شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وان المؤمنين يعطون
انوارهم مقلا فربما يحصل لهم من تلك الانوار بقدر حوائجهم على الصراط فمنهم من
يمر كطرف العين ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم
من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل ومنهم من يحبو على وجهه ويديه

ومن حلقه يجري به ويعلقه بيده ويجر رجلا ويعلق اخر وتصيب حوائله ورجليه
فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليهما ثم قال الحمد لله لقد اعطاني ما لم يعط
احدا اذ نجاني منهما بعد اذ رايتهما فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل
فيه وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف وكحد الشعرة
وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب
سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ خلق كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه
فطول فيها فكرك فانه لا ينجو منها الا من طال فكره فيها فاما من غفل فليس
سالما

المقام الثالث في بيان ذكر الحوض واوصافه

اعلم ان الحوض مكرمة
عظيمة خص بها الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو
ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه وان من صفاته ان كل من شرب
منه لم يظمأ ابدا قال انس بن مالك اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه
متبسما فقلت يا رسول الله لم ضحكت قال آية انزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن
الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله
اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير حوض ترد عليه
امتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا
اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل فقال
هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة او ما بين المدينة وعمان
وروي ابن عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في
الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل

ومن شرب منها

واشذى ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من
اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها
ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين قال عمر بن الخطاب من هم يا رسول الله قال
هم الشعث رؤوسا المغبرون الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم
السدد فقال عمر بن عبد العزيز وهو يبكي لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك
وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا اغسل راسي حتى يشعث ولا
اغسل ثوبي على جسدي حتى يتسخ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم ليتبا
هون ايهم اكثر واردة واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان حوضي يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة
فهذه هي صفة الحوض

التنبيه الرابع في ذكر المسالة و

بيان صفاتها اعمل فكرك ايها الغافل المسكين بعد وقوع هذه الاهوال في ما يرد
عليك من السؤال شفاها ومواجهة من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير والنقير
والقطمير فبينما انت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة
من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا
بنواصي المجرمين الى الموقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ما بين شفري
عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا
اليك لياخذوك الى مقام العرض الاكبر وترى على عظم اشخاصهم وكبر اجسامهم
منكسرين تحت الهيبة والجلال لشدة ذلك اليوم فتنتظر ما بدا من غضب

الجبار على عباده وعند ذلك ولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا وجثا على ركبتيه
خوفًا من أن يكونوا هم المأخوذين فهنا قال المقربين فما ظنك بالقضاة المجرمين
وعند ذلك يبادرون قيامًا من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك
لما يشاهدون من عظم تركيبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة من سؤالهم
إجلالًا لربهم القديم عن أن يوصف بصفات الوصف ويشار إليه بهذه الكيفية فينادون
بأعلى أصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض ويقولون سبحان ربنا
ما هو فينا ولكن يأتي أمره بإنفاذ قضائه في خلقه وعند ذلك تقوم الملائكة
صفوفًا محدقين بالخلائق من الجوانب ويكون على جميعهم شعار الذل والخضوع
والهيبة والخشوع وتظهر المهابة والخوف والجزع من شدة ذلك اليوم وفزعه وعند
ذلك يصدق قول الله فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين الأولين
وما كنا غائبين وقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ بالأنبياء
وهو قضاء قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا من عظم شدة
يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة وعظم الخجل والوجل
إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتذهب عقولهم
فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة إذا قيل لهم ماذا أجبتم لا علم
لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون لأن العقول فيه طائرة
والعلوم عنهم ممحوة حتى يقويهم الله تعالى فيبدأ بنوح فيقال له هل بلغت فيقول
نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير ويؤتى بعيسى فيقول الله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فيبقى متحيرًا تحت الهيبة
لأجل هذا السؤال منفاجًا في أسر الذل من عظم ذلك المقام والمقال فما أعظم هذا
اليوم

هذا اليوم الذي يقام فيه المسائلة على الأنبياء بمثل هذا السؤال مع عظم حالهم
عند الله تعالى ثم تقبل الملائكة فينادون واحدًا واحدًا يا فلان ابن فلان هلم
الآن في العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول
ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الملك الجبار
ولا تنكشف أستارهم على رؤوس الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يطلع نور العرش
وأشرقت الأرض بنور ربها وأيقن قلب كل عبد بإقبال الملك الجبار لمسألة العباد
وظن كل واحد أنه ما يراد به أحد سواه وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من
عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فيأتي بها بالأمر الإلهي وقال
لها يا جهنم أجيبي خالقك ومليكك فيقادها جبريل على غيظها وغضبها فلم
تلبث بعد إتيانها أن تزفر وتزفر زفرة إلى الخلائق وتشهق وتسمع الخلائق
تغيظها وزفيرها وانتشر خزانها متوثبة إلى الخلائق غضبًا على كل من عصاه
وخالف أمره ما خطر ببالك وأحضر في قلبك تلك العباد وقد امتلأت
هم قلوبهم فزعًا من زفراتها ولها ثلاث من زفرات **الزفرة الأولى** يتساقطون على
ركبهم ويقولون صدقت رسلنا وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى
كتابها ويسقط بعضهم على بعض للوجوه منكبين ونادى الخلائق بالموت والقضاة المجرمون
بالويل والثبور وينادي الصديقون والأولياء والصالحون نفسي نفسي فيبقى
كذلك على تلك الحال إذ زفرت **الزفرة الثانية** ثم تتضاعف فيها أحوالهم
وتتناهى لهم شدائد وظنوا أنهم مأخوذون وأشفقوا غاية الإشفاق وحصل

عليهم من الذلة والخزي فرقاً من فضائحها وجزعاً من شدة ما يرون من غيظها
يتساقط الخلائق على وجوههم ويشخصون بأبصارهم ينظرون من طرف
خفي فانصدعت لذلك قلوب الظالمين فبلغت الأفئدة لدى الحناجر كاظمين وذهلت
العقول من السعداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله على الرسل قال ماذا
أجبتم فاذا رأوا ما أقيمت من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع فما القضاة
فعند ذلك يفر الولد من الوالد والأخ من أخيه والزوج من زوجته ويبقى كل واحد
منتظراً للأمر ثم يؤخذ واحد واحد ويسأله الله تعالى شفاهاً عن كل عمل قليله
وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الله للعبد ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك
الخيل والإبل وأذرك ترأس على أحسن حالة وأكرم عيشة فيقول العبد نعم فيقول الله تعالى
أفظننت أنك ملاقيّ فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني فما ظنك يا مسكين
وقد أخذت الملائكة بضبعيك وأنت واقف بين يدي الله يسألك شفاهاً
فيقول الله ألم أنعم عليك بالشباب ففيم أبليته ألم أمهل لك في العمر ففيم
أفنيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيم أنفقته ألم أكرمك
بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى خجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك
وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلقين أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له
ألم أوتك مالاً فيقول بلى فيقول الله ألم أرسل إليك رسولاً فيقول بلى ثم ينظر
عن يمينه فلا يجد إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يجد إلا النار فليتق أحدكم
النار ولو بشق تمرة

النار ولو بشق تمرة أو بكلمة طيبة إن وجدها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم من أحد إلا
ويقول الله عز وجل له يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت
المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت تنظر إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيباً
على أذنيك وأنت تستمع إلى ما لا يحل لك وهكذا الأمر في سائر الأعضاء فأعظم
أيها المسكين الغافل عما يظلك وعما يغشاك من الحياء من أجل ذلك وبعد ذلك فإنك
بين حالتين عظيمتين إما أن يقال لك قد سترتها لك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم وعند
هذا يعظم سرورك ويبتهج صدرك وفرحك يغبطك الأولون والآخرون بما حصل
لك من الفوز بالمغفرة والرضوان وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء
الذي بارزني بالمخالفة والمعصية فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك
السموات والأرض وما فيهن لكان جديراً بك وتعظم مصيبتك وتشتد حسرتك على ما
فرطت من طاعة الله وعلى ما بعت بها آخرتك من دنياك الدنية ليست باقية لك ولا لأ
حد غيرك فنعوذ بالله من خسارة الأنفس في الآخرة واستحقاق العقوبة الأبدية
والنكال الشديد

التنبيه العاشر في بيان الإنصاف وصفة المخاصمة ورد المظالم

قد عرفت بما ذكرناه من قبل هول
الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان وشوكته فمن ثقلت
موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فأمه هاوية وما
أدراك ما هيه نار حامية واعلم أنه لا ينجو من خطر الحساب والميزان إلا من
حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته
ولحظاته كما قال عمر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل

ان تؤدوا وانما نجا به نفسه ان يتوب به عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدا
رك ما فرط من تقصير في فرايض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل من
كل ما تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه ويطيب قلوبهم حتا يموت ولم يبق عليه فريضة
ولا مظلمة فمن فعله كذلك فانه يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم
احاطت به غرماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق
بتلبيبه وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي
وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوء لي وهذا يقول جاورتني فاسات جواري
وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني
عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا
وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول رايتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم
عني فداهنت الظالم وما راعيتني فبينما انت كذلك وقد انشبت الخصوم فيك
مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتا لم يبق في
عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة
بغيبة او جناية او نظر بعين الاستحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق
الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب فعند ذلك ينخلع قلبك و
يضطرب فؤادك وتيبس من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله به على
لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار الاية وانظر اليوم لهذا الا ما اشد فرحك اليوم بتمضمضك با
عراض الناس في تناولك اموالهم وما اشد حسرتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على
بساط العدل

بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين
لا تقدر على ان ترد حقا وتظهر عذرا فحينئذ يطلب القصاص وتوفر
الحقوق منك ولات حين مناص قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون
من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال المفلس
من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ثم ياتي قد شتم هذا وقذف
هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت
عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة
سالمة من افات الرياء ومكايد الشيطان بالغضب والحسد فان سلمت واحدة
في مدة طويلة استحقها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حا
سبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا
ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من
اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم يوم ينتقم
فيه للجماء من القرناء وقال ابو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر
يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدو
اب والطيور والوحوش وكل شيء فيقتص فيما بينها حتا يبلغ من عدل الله تعالى
ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول لها كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا افانت تقف عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض
لاعراضهم وتضييق قلوبهم والاساءة على الخلق في معاشرتهم فان ما بين
العبد وبين الله تعالى خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم

وقد تاب عنها وعزم عليه استجلاب ابن باب المطالب فانه تعالى بسعة كرمه وفضله العفو
عنه وليكثر من الصلوات التي بها ينال لطفه الذي ادخره لاحبائه المومنين وا
صفيائه المتقين وقد نجز غرضنا مما اردنا ذكره
في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين ولنختم كتابنا هذا بالابتهال الى الله تعالى
والاعتذار اليه فنقول اللهم انا نستغفرك من جميع ما هجس في الافئدة والخواطر
واشتغلت به الجوارح في الامكنة الخالية والحجب الساترة بحيث لا يطلع عليه
سواك ولا يستاثر بعلمه الا اياك ونستغفرك من كل ما زلت به الاقدام وطغت
به الاقلام ونستغفرك من الاقوال التي لا توافقها الاعمال ونستغفرك من كل
علم وعمل قصدنا به وجهك الكريم فخالطه ما يغيره عن بلوغ فضلك العظيم
ونستغفرك من كل تقصير اخذ ثناه او تصنع وتكلف اثرناه ونرجو بعد
الاستغفار ممن وقف على كتابنا هذا فاستفاد منه موعظة او اطلع
فيه على صفة في الدين ان يتكرم بالدعاء بالعفو والمغفرة والتجاوز من جميع
السيئات وقضاء الحاجة القصوى وحسن الخاتمة الحسنى فانك الكريم عميم
الرحمة واسعة والجود على الخلق قد تم كتاب تصفية القلوب
عن درن الاوزار والذنوب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فالمصنف
لهفي مولانا الامام المؤيد بالله امير المومنين عليه السلام وكان تاليفه
في حال الاشتغال باصلاح حال الشرف واقامة الدين فيه وتنفيذ احكام الشريعة
والدعوا الى [illegible] ذلك وانجز الفراغ من تاليفه في الثلث الاول من شهر رمضان المعظم
اعاد الله علينا من بركاته من سنة ست وثلاثين وثمن يوم [illegible] في شهر رمضان
ناسخه [illegible] وانا [illegible] وفقه [illegible] الارضاه وتقواه [illegible]